حصاد الكراهية

صورة العربى فى الأدبيات الإسرائيلية

بقلم

هالة فؤاد

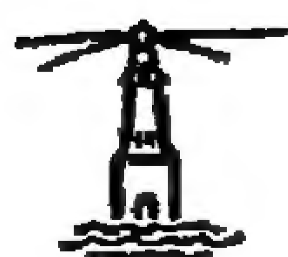


دار المعارف

حصاد الكراهية

صورة العربى فى الأدبيات الإسرائيلية

بقلم :
هالة فؤاد



دار المعارف

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

فؤاد ، هالة .
حصاد الكراهية : صورة العربى فى الأدبيات الإسرائيلية .
بقلم : هالة فؤاد .
- القاهرة : دار المعارف ، (٢٠٠٨) .
١٤٠ ص ؛ ٢٤ سم .
تدمك : ٠ – ٧٧٥٦ – ٠٢ – ٩٧٧ – ٩٧٨ .
١ - الأدب العبرى .   ٢ - العرب فى إسرائيل .
أ) العنوان .

ديوى ٨٩٢,٤

رقم الإيداع ٢٤٠١٨ / ٢٠٠٨   ٣/ ٢٠٠٨ /١

تصميم الغلاف : شريف رضا

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة - ج . م . ع
هاتف : ٢٥٧٧٧٠٧٧ - فاكس : ٢٥٧٤٤٩٩٩ E-mail: maaref@idsc.net.eg

إهـــداء

إلى أمي وأبي
كنت أتمنى أن تكـون أيديهما أول
من يحتضن هذا الكتاب.

المقدمة

المتابع للأدبيات الإسرائيلية جيدا يكتشف بسهولة الصورة النمطية المشوهة التى رسمت للشخصية العربية، فهى دائما تتجسد فى صفات الجبن- الكذب- الخيانة- الإجرام- القذارة واغتصاب حقوق الغير.

على النقيض تماما تأتى صورة الإسرائيلى، الذى يتحلى بدرجة كبيرة من الشجاعة والتفوق والتضحية والرقى والذكاء، فلا تخلو قصص الأطفال ولا المناهج التعليمية الإسرائيلية- فى مراحلها المختلفة- من هذه الصور، التى تتعمد الدولة الصهيونية غرسها فى نفوس وعقلية الإسرائيلى منذ الطفولة، حيث تركز هذه المناهج بشكل كبير على الأسطورة الصهيونية: «شعب بلا أرض، لأرض بلا شعب»، بهدف إنكار حق الشعب الفلسطينى فى أرضه وإثبات حق اليهود وحدهم فيها.

وفق هذه الرؤية يتم تبرير المعارك والاعتداءات التى تقوم بها إسرائيل على الأراضى العربية باعتبارها حربا وقائية تخوضها الدولة العبرية لحماية أراضيها ووجودها المهدد من قبل الدول العربية، وهذه القناعات تعمل إسرائيل على ترسيخها فى نفوس تلاميذ المدارس، وهو ما يجعل الخوف من الغير والتوجس من الإبادة أكثر السمات التى تسيطر على عقولهم.

ليس غريبا أن تصبح الخدمة العسكرية ملزمة لجميع أفراد الدولة العبرية، فبعد أن تحول هاجس الأمن إلى عقيدة راسخة أصبحت عملية عسكرة المجتمع من أهم سمات هذا الكيان الصهيونى خاصة المؤسسة التعليمية، ومن يطلع على مناهج التعليم فى المدارس سرعان ما يكتشف أن الهدف الرئيسى الذى تسعى إليه إسرائيل هو إعداد الطفل كى يصبح مقاتلا، أو بمعنى آخر إعداده ليكون مقاتلا لكل من ينطق بالعربية.

والمدارس الدينية تلعب دورها لتحقيق هذا الهدف، وتعد من أخطر مظاهر عسكرة التعليم فى المجتمع الإسرائيلى، حيث تغرس مقرراتها التعليمية كل ما يدفع إلى تحقير العربى وإظهاره فى مرتبة أدنى، بالإضافة إلى نشر روح العداء والكراهية، وباعتراف حاخاماتهم فإن طلاب هذه المدارس ما هم إلا جنود نظاميون، يميزهم عن المجندين فقط الملابس المدنية والطاقية التى يضعونها على رءوسهم.

ولا تختلف المدارس العلمانية كثيرا عن مثيلتها الدينية، حيث يتولى إدارتها العديد من الضباط المتقاعدين.

ولا تقتصر النظرة العدائية للعرب على ما تحمله المناهج التعليمية فالأخطر من ذلك أن العديد مـن الأعمال الأدبية والفنيـة تعكس هذه النظرة العدائية، وتكرس هى الأخرى لروح الاسـتعلاء واحتقار الآخرين، بل وتلعب دورا كبيرا فى ترسيخ الأكاذيب والترويج للأساطير الصهيونية.

وباتفـاق النقـاد والمهتمين فقد تحول الفن والأدب العبرى إلى مجرد بوق للفكر الصهيونى، وأداة فى خدمة السياسة، تعمل على خلق رأى عام محلى ودولى يدعم مخططات الكيان الإسرائيلى. الخطورة أن هذه العنصرية أصبحت جزءا أساسيا فى نسيج هذا المجتمع، إزاء هذا أصبح من الواجب علينا التصدى لهذه الثقافة، وكشف الوجه القبيح الذى تخفيه دولة الكيان الصهيونى خلف مئات الأقنعة.

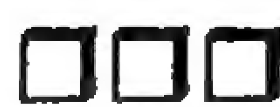
ربمـا هـذا هو ما دفعنى للبحث عـن صورة العربى فى الكتب المدرسـية وفى قصص الأطفال والروايات والأفلام السينمائية، بهدف رفع القناع وفضح وجه العنصرية الصهيونية القبيح.

وأعـترف أن الأمر لم يكن سـهلا بالنسـبة لى نظرا لقلة المراجع التـى تعرضت لهذه القضية. وبمساعدة الكاتب والباحث الفلسطينى عبد القادر ياسين، والدكتور محمد أبو غدير أستاذ الأدب العـبرى تمكنت مـن الحصول على عدة مراجع، اسـتطعت من خلالها كتابـة عدة موضوعات صحفية نشرتها مجلة آخر ساعة عام ٢٠٠٣، فلهما جزيل الشكر، والشكر موصول أيضا للكاتب الصحفى محمد بركات رئيس تحرير الأخبار، الذى شـجعنى على نشـر هذه الموضوعات بمجلة آخر سـاعة- أثناء توليه رئاسـة تحرير المجلة فى ذلك الوقت، فكانت هذه الموضوعات بمثابة النواة التى ساعدتنى كثيرا على إنجاز هذا الكتاب.

والشـكر الجزيل لزوجى وأبنائى رؤى وحسـام الذين انشـغلت عنهم واسـتقطعت من وقتهم واهتمامى بهم.

والكتاب يقع فى مقدمة وسـتة فصـول، الأول يتناول قصص الأطفال ويظهر كيف صورت إسـرائيل الشخصية العربية بشكل مشوه يدفع الصغار إلى تحقيرها ونبذها، والفصل الثانى يتعرض للكتب المدرسية، والفصل الثالث يتناول عسـكرة المناهج فى المدارس الإسرائيلية وكيفية توظيفها لتخريج عسكرى محارب يكره العربى ويسـعى لقتله، أما الفصل الرابع فيتحدث عن مراكز الاستشراق داخل إسرائيل ودورها فى خدمة الأهداف التوسـعية الصهيونية والفصل الخامس من الأدب العبرى، وفى الفصل السـادس تحليل للسينما الإسرائيلية التى تحولت الأعمال فيها: إلى مجرد بوق لترويج الأساطير الصهيونية.

ولا يسـعنى فى النهاية سـوى تقديم الشـكر لكل من عاوننى فى توفير بعض مواد الكتاب. وأتمنى من الله أن يغفر لنا بعض الأخطاء التى قد نقع فيها عن غير عمد، كما نتمنى أن تضيف هذه الدراسة ما يفيد إلى المكتبة العربية.



الفصل الأول

قصص الأطفال الإسرائيلية
واللعب على أوتار العنصرية

مـن الملاحظ أن الإسـرائيليين يجيدون دائماً ركـوب الموجة والاصطياد فى الماء العكر لنشـر الأكاذيب والادعاءات وترويج الأسـاطير، وجاءت أحداث سـبتمبر لتقدم لهم على طبق من فضة وجبة دسمة تثير شهيتهم الباحثة دوماً عن ضحية تنكل بها.

فما إن وجهت أمريكا أصابع اتهاماتها السريعة والمتعمدة للعرب والمسلمين وتصاعدت دعواتها لتغيـير مناهـج التعليم فى بعض الـدول العربية لتتفق مع ما أطلقت عليه «ثقافة السـلام» حتى أسـرعت إسـرائيل بدورها لركوب الموجة... فأخرجت جعبة اتهاماتها الجاهزة لكل من يحاول الاقتراب وكشف زيفها وفضح جرائمها الوحشية متهمة إياه بمعاداة السامية.

وبدورنا نتسـاءل: ماذا عن معاداة العرب والمسلمين والتى تزخر بها مناهج التعليم الإسرائيلية وكتابات أدبائها وباحثيها المستشرقين، بل وحتى قصص الأطفال هناك لم تسلم من ذلك التشويه لصورة العرب والمسـلمين ووصفهم بأبشـع صفات لبث الكره والنفور منهم وزرع بذور الاسـتعلاء والغطرسة فى نفوس الصغار.

فمن منا إذن يحتاج أن يتحلى بثقافة السلام؟ من منا يحتاج إلى تعديل مناهجه وكتبه لغرس روح التسامح فيها؟

من المؤكد أن العنصرية هى الدرس الأول الذى يلقنه الإسرائيليون لأطفالهم. منذ نعومة أظافرهم يغرسـون فيهم كره الأغيار. وعندما يشتد عودهم يقدمون إليهم الرشاشات ليتعلموا كيفية الضغط على الزناد لتنطلق رصاصات الغدر فتصيب قلوب الأبرياء.

بدلاً من الزهور يحملون البنادق، وبعيداً عن الأوراق يرسمون بفرشاتهم الدامية على الداتات.. هى لوحاتهم المفضلة يسطرون عليها كلمات تفضح سواد قلوبهم المريضة وحقدهم الأعمى.

رسـائلهم تحمل الرغبة فى الخراب، وتعد بالتدمير وتتمنـى الإبادة والفناء قانية بلون الدم، لا يظهر فيها سـوى اللونين الأسـود والأحمر، لا يعرفون اللون الأبيض، ويجهلون رسم أغصان الزيتون وحمام السلام.

لن تختفي من ذاكرتنا طويلاً صورة تلك الطفلة الإسـرائيلية التى أخذت تسـطر على دانات المدافـع والدبابـات بكلمات كالسـم، مفرداتها غريبة على لغة الأطفال، اسـتعارتها من قاموس جنرالات الحرب فى دولة الإرهاب.

عيونهـا اختفت منها براءة الطفولة لتنطق بالغل والحقد والكره، ابتسـامتها الباهتة المتوعدة تعكس اضطراب نفس مريضة لا تعرف هدوء التسامح أو معنى الحب.

صورة هذه الفتاة التى نشرتها الصحف أثناء الحرب الإسرائيلية على لبنان- صيف ٢٠٠٦- ربمـا كانـت صادمة للبعض، لكنها لم تكن كذلك بالنسـبة للكثيرين ممن يعرفون ما يحدث فى المدارس الإسـرائيلية ومـا تحمله مناهجها من دعوة صريحة لكره العرب والمسـلمين. بل وحتى قصص أطفالها لا تخلو من ذلك.

الكاتب الإسـرائيلي أوري أفنيري اعـترف صراحة بالعنصرية والعنف التى تمتلئ بها قصص الأطفال بقوله: إذا أردت أن ترى فى بيتك فاشـياً أو نازياً صغيراً فما عليك سـوى أن تذهب إلى مكتبات الأطفال وتشـترى واحداً من الكتب العنصرية والإرهاب والتى صوروا فيها جرائمنا على أنها دفاع عن النفس[1].

فمنذ نعومة أظافرهم تلاحقهم إسرائيل بعمليات غسيل المخ لتشويه كل ما هو مرتبط بالعربى، وفى المقابل تمجد وتعظم كل ما هو إسرائيلى صهيونى.

ويعد أدب الأطفال أحد أهم الوسائل المستخدمة فى ذلك، حيث يوجه هذا الأدب للنشء وهم فى مراحل حياتهم الأولى التى يكتسبون فيها القيم والتقاليد والعادات، لذلك تفننت إسرائيل فى بث كل ما تريده من أفكار فى نفوس أطفالها من خلال ما تقدمه من كتب وقصص مسـلية وشـيقة تغرس فيها أفكارها الصهيونية لينشئوا منذ الصغر على الكره والحقد والنفور من كل ما هو عربى وإسلامى[2].

فتصـف قصـص الأطفال العربـى بأنه- جبان- كـذاب- غبى- حيوان- مفترس، سـريع الاستسـلام، بعكـس اليهودى الذى تظهره دائمـاً على أنه الأذكى عقلياً والأقـوى بدنياً لتنمى الإحساس بالتفوق والتميز والاستعلاء فى نفوسهم[3].

وتغرس فيهم هذه المفاهيم فى قالب دينى عاطفي جذاب وأكثر قدرة على إثارة حماسهم الدينى لتتحول فيما بعد هذه القيم الدينية إلى مفاهيم سياسية.

---

(١) مجلة الوحدة- ٢٧- ٨- ٢٠٠٦ اللاذقية- سوريا سياسية تصدر عن مؤسسة الوحدة للصحافة والطباعة والتوزيع- اللاذقية- سوريا.

(٢) د. سناء عبد اللطيف «هكذا يربى اليهود أولادهم».

(٣) المرجع السابق.

ويهتم أدب الأطفال الإسرائيلى بالقصص التاريخية بشكل خاص، مركزاً على تلك التى تعتمد على أعمال البطولة وسير الأبطال[1].

ويرجــع اهتمام المؤلفــين بكتابة القصة التاريخيــة للأطفال بهدف تعميق الإحســاس بتمييز الشــخصية اليهودية، والعمل على المحافظة على هويتها، فضلاً عن الإحســاس الإسرائيلى بأن الحاضر لا يكفى، وأن هناك شيئاً ما ينقصه، فهو يشعر بنقص إرث الماضى الذى يمكن بموجبه صياغة حاضر أكثر استقراراً[2].

تعمل كتب الأطفال على تنشــئتهم سياســياً بهدف تنمية روح الانتماء للوطن من خلال غرس الفلســفة الصهيونية، لذلك تزخر بالشــخصيات التى ساهمت من وجهة نظرهم فى بناء الدولة، منهم حايم فايتسمان– زلمان شازار– دافيد بن جوريون وأيضاً رابين وموشيه ديان.

أما موضوعاتها فتدور حول يوم ميلاد الدولة– علم إســرائيل ورموزه، والمعارك التى خاضتها إســرائيل مع التركيز علــى إبراز البطولة الخارقــة للمقاتلين اليهود فى مقابــل تحقير المقاتلين العرب[3]. ففى أعقاب كل حرب خاضتها إسرائيل مع العرب يظهر عدد كبير من القصص تحت مسمى «الأدب الوثائقى» تضم شهادات لجنود إسرائيليين خاضوا هذه الحروب[4].

وباعتراف الكاتب الإســرائيلى إديــر كوهين– الخبير المتخصص فى شــئون التربية بجامعة حيفا– فإن معظم هذه الكتب التى تتحدث عن الحرب هى كتب سطحية تهدف إلى تلطيخ سمعة العرب والسخرية منهم ومن أسلوبهم فى القتال مقابل الإشادة بالمقاتلين اليهود:

قصة «ديندين فى الأســر» واحدة من هذه القصص التى تتعمد إظهار البطولة الخارقة للجندى الإسرائيلى فى حرب الأيام الستة ١٩٦٧– فجاء فيها: [فى حرب الأيام الستة كان ديندين يطهر البيــوت مــن القناصة المصريين المختبئين ليقضوا على قواتنا فقام بمفرده باقتحام البيوت والقبض على أحد القناصة وعلى الفور ذعر باقى القناصة وأخفوا بنادقهم واختبئوا هم أنفسهم][5].

فى قصص الأطفال تبدو صورة الجندى الإسرائيلى على درجة عالية من القوة والتفرد فى مقابل وصف الجنود العرب بالجبن والضعف وهو ما يكشــف موقف الاســتعلاء الذى تبثه هذه القصص

---

(١) المرجع السابق.

(٢) عجز النصر– الأدب الإسرائيلى وحرب ٦٧، د. بشار الشامى.

(٣) د. سناء– مرجع سابق.

(٤) المرجع السابق.

(٥) المرجع السابق.

التــى تهــدف إلى خلق صورة لليهود على أنهم خارقو القــوة والذكاء وهو ما يؤهل نفر قليل منهم على الانتصار على جيوش بأكملها[1].

فى قصة «الشـرطة السـريون» للمؤلف أفنيركرميلى حيث يظهــر البطل «إيلى» صاحب قدرة خارقة اســتطاع بها القبض على مئات عديدة من العرب بينهم رؤســاء وملوك وقادة عرب فيهم جمال عبد الناصر والملك حسين والملك فيصل وانتهى بهم الأمر جميعاً للانصياع لأوامره.

قصــة خرافيــة وصل خيال مؤلفها إلى أقصى ما يمكن أن يشــطح به الخيال ومع ذلك يتعامل معها وكأنها أمر منطقى لا يســتبعد حدوثه فيعلق على ذلك بقوله [ما الغريب فى أن ينجح فتى فى الســيطرة على ملوك ورؤســاء، إذا كانت جيوشهم ضعيفة وعصاباتهم مضطربة وكل ما يتعلق بجيوشهم ينم عن الجبن].

صورة الجندى العربى تبدو دائماً– شــخصية ســلبية فى الأدب العبرى، ويعتمد الكاتب فى تصويرها على انتصارات إســرائيل فى الحروب التى قامت بها وانتصرت فيها، فيبدو الجندى العربــى جبانًا وبــدون قدرة فكرية وعديم الانضبــاط، وفى المقابل «الســوبرمان اليهودى» يتميز الجندى اليهودى بالصلابة والتضحية[2].

من قصة «الدورية الخاصة مطوقة» للكاتب أفنير كرميلى جاء على لسان الجندى الإسرائيلى: [حتى لا يبقى أى شــخص منا على قيد الحياة ويســتجوب ويعذب على أيدى الأعداء، فإنه إذا ســقطت الطائرة قبل وصولها إلى الهدف نقول.... نحن بلا مظلات ســنتحطم جميعنا مع سقوط الطائرة، ولن يعرف المصريون إلى الأبد ماذا كان هدفنا فى سيناء.

«إننا لا نستطيع أن نطلب منك ومن رجالك أن تتحطموا مع الطائرة إذا ما وقعت» قال القائد غفراهو «إنكم لا تطلبون منا ذلك، إننا نحن الذين نطلبه من أنفسنا، وبوعى كامل لأنه لا يوجد بديل][3].

وفى مقابل هذه القوة العجيبة يظهر الجندى العربى جبانا أبله وبدون أخلاق ويكفى أن يطلق الرصاص فى الهواء حتى يفر هاربا.

فى قصة «المقاتل من الوادى» ظهرت صورة الجندى العربى على النحو التالى:

ليس لديهم استعداد للقتال، وهم مضطرون وهو الفرق بيننا وبينهم[4].

وفى قصة «المظليون قادمون» يبدو الجندى العربى على درجة كبيرة من الجبن والضعف فجاء فيها:

---

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

(٣) د. فوزى الأسمر: الشخصية العربية فى قصص الأطفال العبرية التجارية– مجلة رؤية– العدد ٣٩.

(٤) المرجع السابق.

[ولم يشعر الولد اليهودى بما يفعل، حمل المدفع، وأطلق بعض العيارات النارية فى الهواء، والتى مرت من فوق رأس الجندى العربى، وكان هذا العمل كافيا، العربى فوجئ، وأخذ يعدو هاربا][1].

بعد حرب ٧٣ تغيرت صورة العربى إلى حد ما فى القصص العبرية بعد نجاح الجيوش المصرية والسورية فى اقتحام الجيش الإسرائيلى على جبهة القناة والجولان، إلا أن هذا التغير لم يكن جذريا، إنما اقتصر على إظهار حالة الرعب التى يعيشها سكان المستوطنات بعد احتلال الجيوش العربية لها.

وركزت هذه القصص على أحداث الجولان، وذلك لأنه من السهل إظهار قوة الجيش الإسرائيلى هناك حيث استطاع إعادة احتلال بعض المناطق التى احتلها الجيش السورى، فى حين لم يستطع الكاتب تفسير تحطيم خط بارليف واحتلاله من جانب الجيش المصرى للقارئ الصغير، وبالرغم من ذلك كله استطاعت هذه الحرب إدخال نغمة جديدة على أدب الأطفال كتصوير حالة الفزع والخوف فى المستوطنات اليهودية وهى صورة لم يعثر عليها فى قصص ما قبل عام ١٩٧٣ [2].

فى قصة «دخان يغطى الجولان» يصف هذه الحالة [صفير قنبلة مستمر، يخترق السماء فوق رأسى، فى البداية يكون ضعيفا وبعيدا، وبعد ثوان يصبح قويا وقريبا.

إنه يثير الخوف ويجبرنا على إخفاض رءوسنا. وينتهى هذا الصفير بصوت كالرعد ومن ثم هدوء غريب... ضجة طائرات نفاثة تمر فوق رءوسنا سرب من أربع طائرات ميج يمر بسرعة البرق، لم أكن أتصور أنه يوجد مثل الضجة المخيفة لدرجة أنى شعرت أننا حبة عبارة عن حبة تطحن بين عجلات ضخمة، كأن الأرض تهتز تحت أقدامنا وبعد قليل سنسقط إلى داخل حفرة عميقة سوداء][3].

ومن قصة أخرى يخرج أحد سكان مستوطنة يهودية فى مرتفعات الجولان بعد أن سمع أزيز الطائرات، يخرج ليرى كيف ستقوم الطائرات الإسرائيلية بتلقين السوريين درسا لأنهم يقصفون مستوطنة فجاء فيها:

[وظهرت فى الأفق طائرات تتقدم جنوبا، وفى الوقت نفسه ظهرت حمدة التى تعتنى بشئوننا فى المستوطنة وصاحت: ما معنى أننا نقف خارج الملجأ وكأن شيئا لم يحدث، ألم تسمع القصف والانفجارات..أجبت: سمعت وتابعت ملاحقة الطائرة المقاتلة لهم والآن سترين كيف سيعلمهم هذا الطيار درسا.

---

(١) المرجع السابق.

(٢) د. فوزى الأسمر المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

ولكن للأسـف الشـديد كنت على خطأ: القنابل التى ألقيت من الطائرة كانت مصوبة ضدنا، وهذا ما برهن لى خطأ: أننى أعترف لقد كنت أرتعد خوفا][1].

انتصار الجيوش العربية فى حرب ٧٣ ونجاحها فى هزيمة الجيش الإسرائيلى بررها الكتاب الإسرائيليون، وأرجعوها إلى عنصر المفاجأة خاصة وأنها جاءت فى يوم الغفران عندما كان الجيش الإسرائيلى منهمكا فى ذلك اليوم المقدس، ومع ذلك نجحت هذه الحرب فى تغيير صورة الجندى العربى فى الأدبيات الإسـرائيلية، بدا فيها قادرا على القتال لديه القدرة على الحرب واحتلال أراضى يسيطر عليها الجيش الإسرائيلى، كما أنه باستطاعته تدمير الدبابات وإسقاط الطائرات، ومـع ذلـك لا تزال هذه القصص تنتهى بانتصار «إسـرائيلى» فى محاولـة للعودة مرة أخرى إلى الصورة النمطية[2].

هذه النمطية لا تقتصر فقط على رسـم صورة الجنود العرب لكنها تنسـحب أيضا على العرب بشكل عام. والصورة المميزة للعرب فى أدب الأطفال التجارى العبرى هى صورة قاتمة، فالعربى مجـرم وقاتـل يحب القتل من أجل القتـل، كما أنه يقتل لأتفه الأسـباب وكأنه لا قيمة لحياة الإنسان عنده وبخاصة اليهود، وذلك نتيجة الغيرة، والعربى غدار يغدر بأهله وأقاربه، وهو أبله لا يعـرف كيـف يتحدث، ولا يصدق كل ما يقال له. ولا يسـتطيع أن ينتصر حتى فى العدو أو السباحة، ودائما يجب أن يعلمه شخص غير عربى بالذى يجب أن يفعله. وهو كذاب لا يمكن الاعتماد عليه فى أى كلمة يقولها، ولا أى وعد يقطعه على نفسه وهو قذر فى تفكيره وجسـمه لا يغتسل، والمعلمة تحذر الأولاد من الاقتراب من العربى حتى لا يصابوا بمرض عضال[3].

أمـا صورة العربى الشـكلية فتظهرها القصص العبرية كالآتـى: وجه مخيف ذو ندبة، عيناه يملؤهـا الرعب. نظرته تثير الخوف، شـاربه كثيف، ذو فم ضيـق أحدب، غير حليق ذو عاهة شكله مثير للضحك، سخيف، والقمل يعيش فى رأسه وهو أيضا وحش مفترس متعطش للدماء، والعرب أيضا قتلة متمردون- حيوانات تافهون محتقرون[4].

وجاءت هذه الصورة لتنزع من الطفل احترامه للعربى، وبالتالى فإن الشخص الذى لا تحترمه، لا تستطيع النظر بموضوعية إلى المشكلة التى يطرحها. ولذا يسقطه حقه، وفى جميع هذه الكتب يظهر دائما التفوق اليهودى فى كل المجالات. والعربى المقبول لديهم هو العربى الذى يقبل الأمر

---

(١) د. فوزى الأسمر المرجع السابق.

(٢) د. فوزى الأسمر المرجع السابق.

(٣) د. فوزى الأسمر المرجع السابق.

(٤) د. ثناء عبد اللطيف- مرجع سابق.

الواقع- ويرى النواحي الإيجابية في الصهيونية ويستطيع التفاعل معها، بمعنى آخر كل عربي يخون شعبه ويبيع ضميره، فهو العربي الجيد، وهناك عربي جيد آخر هو العربي الذي يتثقف على أيدي اليهود[1].

فـي قصة «نار في الجبال» للكاتب يهود اسـلو واحدة من هـذه القصص التي تعكس الصورة الإيجابية للعربي من وجهة النظر الإسرائيلية. مجموعة من الأولاد اليهود يركبون سيارة متوجهين إلى مدينة القدس، وعند مشـارف منطقة باب الوادي قبل الوصول إلى القدس، تنصب فجأة نار عليهـم من الجبال المحيطة بهم، ويقتل كل من في السـيارة عـدا واحد. ومع الظلام يأخذ هذا الولـد في الصعود إلى الجبل القريب منـه، ومع الصباح يصل إلى أعلى الجبل، وقد خارت قواه بسبب الجرح الذي أصابه والدماء التي خسرها، وعندما يرى بستانا جميلا مرتبا يقول في نفسه: إن هذه المنطقة يهودية، ويذهب إلى هناك، ولكنه يفاجأ بأن الشاب الذي يقابله عربي، ويطلب الشاب منه أن يعود إلى أهله وإلا قتله المجرمون من العرب، إلا أن الولد لم يكن يستطيع التحرك فيأخـذه الشـاب ويعتني به ويرجعه إلى أهله بعد أن كذب علـى المقاتلين العرب وقال لهم: إن هذا الولد يتيم وأنه أطرش وأخرس وقال له: إني لا أسـتطيع أن أسـلمك لهؤلاء البشر، لأنهم لا يداوون المرضى، إنهم حيوانات كاسـرة وقبل أن يعيده الشـاب إلى أهله يكشف له السر الخطير الذي دفعه لمساعدته، بقوله: لقد تعرفت على شاب يهودي اسمه جرشون علمني معنى الحياة، لقد كان معلمي وصديقي في الوقت نفسه، ولهذا فإنني أختلف عن هؤلاء القتلة[2].

انتزاع احترام الطفل العربي كانت ولا تزال إلى حد كبير أحد الأسـس التي تبني الصهيونية فلسفتها عليها في الشرق الأوسط.

وتركـزت قصص الأطفال على تثبيـت الوعي عند الأطفال بأحقيتهم في فلسـطين باعتبارها إرثـا قديما لهم وأنها هي أرضهم الدينية والتاريخيـة.. منها قصة «فلنهاجر» إلى القدس للمؤلفة الإسرائيلية راحيل منتيتسي جاء فيها:

[إن هذا التراب سـوف يضعونه تحت رأس اليهودي عند دفنه حتى يشـعر ذلك الذي يموت خارج أرض إسرائيل أنه يرقد على تراب فلسطين المقدسة][3].

وهناك أيضا تأكيد للمقولة الصهيونية «أرض بلا شـعب لشـعب بـلا أرض»، والذي يمثل أساسـا للفلسـفة الصهيونية التي تحاول الدولة العبرية غرسـها في نفوس أطفالنا منذ الصغر،

(١) د. فوزي الأسمر المرجع السابق.

(٢) د. فوزي الأسمر المرجع السابق.

(٣) د. سناء عبد اللطيف- مرجع سابق.

ومحاولــة تنشــئتهم على قناعة أن البلاد كانت فارغة من الســكان. فــى إحدى القصص تأتى العبارة الآتية:

[قام يوســف وبعض رجاله بقطع البلاد (فلسطين) سيرا على الأقدام حتى وصلوا إلى الجليل، لقد تسلقوا الجبال والهضاب والتى كانت خلابة فى مناظرها ولكن فى الوقت نفسه كانت خالية لايســكنها أحد.. وقال يوســف: إننا نريد أن نقيم هنا المزرعة الجماعيــة (الكيبوتس) ومن هنا سندحر نحن هذا الفراغ وسنطلق على هذا المكان اسم تل حاى (التلة الحية).. إن الأرض خالية من السكان.. لقد ابتعد عنها أبناؤها (يقصد اليهود) لقد تشتتوا ولم يعتنوا بها، إنه لا يوجد من يحرسها أو يعتنى بها][1].

وهذه البلاد- فلســطين لم تكن فى عرف أدب الأطفال العبرى خالية من الســكان فحســب بل إن أحدا لم يســتغلها منذ أن طرد اليهود منها قبل ألفى ســنة تقريبا وقد جاءت هذه الصورة لتــبرر المقولــة الصهيونية «الأرض العذراء». وفى أحد هذه الكتب تحكى عن قصة رجل وصل إلى فلسطين، وبعد أن عاش فى إحدى المزارع الجماعية (الكيبوتس) فترة معينة قرر أن يأخذ عائلته ويترك المزرعة الجماعية ويفتش له عن مكان آخر يعيش فيه، وســار فى أرض فلسطين «الخالية من السكان» قاطعا الجبال والوديان والسهول إلى أن وصل إلى بقعة من أجمل البقاع التى شاهدها فــى حياته وعندما قال «سنســكن هنا» وبعد أن اتخذ القرار أقــام كوخه الصغير، وأخذ يجوب الأرض المحيطــة به وعندها: رأى حجرا كبــيرا وذهب إليه وتفحصه جيدا، ووجد بعض الآثار عليه وقال لنفســه إن هذه الحجارة هى ما تبقى من قرية يهودية قديمة، يجب أن نغرس وتدنا هنا ونبعث هذه القرية اليهودية مرة أخرى، ونادى ابنه وقال: هنا على هذا التل سنسكن، هل ترى هذه الخجارة؟ إنها بقايا قرية يهودية قديمة، دعنا نجمع بعض هذه الحجارة ونقيم قريتنا الجديدة ولم يكتف الكاتب بهذا الإثبات القاطع أن الأرض عذراء منذ أن تركها اليهود، بل ذهب إلى أبعــد من ذلك عندما عثــر ابنه على لوحة رخامية وهو يحرث الأرض، وبعد أن أخرجها هو وولده وقام بغسلها وجد عليها رسمة «فانورا» أى الشمعدان الذى يعتبره اليهود رمزا لهم تستعمله دولة إســرائيل كشــعار لها، وعندما تعجب الأب كيف أن هذه القطعة الرخامية كانت موجودة فى هذه الأرض منذ ألفى ســنة وكيف أن أحدا لم يســتغل الأرض ولذا عثروا عليها عندما عادوا إلى البلاد وهنا الكاتب لا يشير إلى أن الأرض كانت عذراء فحسب بل إن إحياءها وبعث الحياة الجديدة وإقامة القرية الجديدة كان بفضل اليهود[2].

(١) د. فوزى الأسمر المرجع السابق.

(٢) د. فوزى الأسمر المرجع السابق.

ويركـز الأدب العـبرى الموجه للأطفال علـى النواحى الدينية وتحتـل القصص الدينية مكان الصـدارة من الناحية العددية بين قصص الأطفال. وتسـتغل فيها المنطـق الدينى لغرس المبادئ الصهيونية منها ما جاء فى قصة «حسـمبا فى كمين عند الحدود» للمؤلف إيغال موزتسون والتى جاء فيها [لقد وعد الله أرض إسرائيل إلى الشعب اليهودى، وبما أنهم تحملوا الكثير من المثالب والمشاق خلال ألفى سنة من التشرد فقد حان تنفيذ هذا الوعد](1).

ويشـكل الدين عنصراً كبيراً فى قصص الأطفال العبرية، وتتراوح النسبة التى يشغلها- الدين اليهـودى- فـى هذه القصص ما بـين ٩٣، ٩٥٪ من مجموعة قصص الأطفـال- التى خضعت لدراسة أجرتها الباحثة أسماء بيومى المعيدة بجامعة عين شمس- فى حين يشغل اللادين حيزاً مقـداره ٤٪ فقـط، مما يؤكد على عمق تغلغـل الثقافة الدينية فى ثقافة الطفل الإسـرائيلى وهو ما يدحض الزعم بأن الثقافة العلمانية هى السمة المميزة للدولة العبرية(2).

على جانب آخر يركز أدب الأطفال على إبراز أبدية الاضطهاد اليهودى واسـتمراريته منذ بداية التاريـخ اليهودى وحتى الوقت الحالى، وأن الاضطهاد شمل اليهود فى كل مكان تواجدوا فيه وأنه كان من الشراسة بشكل يصعب معه مقارنته بأى اضطهاد وتعرض له أى جنس آخر فى العالم(3).

وبغيـة التملص من الشـعور بالذنب أمام الأجيـال القارئة يحاول بعـض الكتاب التطرق إلى الصراع الفلسـطينى- اليهودى قبل وأثناء قيام إسـرائيل- خصوصاً بعد أن اكتشـف أن الأرض لم تكن خالية من السـكان كما كانت تزعم الدعاية الصهيونية، لذلك اتهموا العرب- بأنهم هم الذيـن تنازلـوا بمحض إرادتهم عن الأرض وباعوها لليهود ولتقوية هذا الادعاء يأتى على لسـان عربى- وهو ما جاء فى قصة «يوريم فى إبريل» للكاتب إما لفين تلمى والتى جاء فيها [لقد باع أرض الأفندى (العربى) إنها أرضى أنا، باعها الأفندى ليهودى ذى شعر طويل، ما اسمه؟ إننى أتذكر اسماً واحداً فقط. إسرائيل ولا أتذكر الاسم الأخير].

ويذهب الكاتب إليعازر سمولى فى قصته «أناس التكوين» إلى أبعد من ذلك عندما يضع حواراً بـين بطل قصته أناس وبين مجموعة من الشـيوخ العرب، وبعد أن يفرض هيبته عليهم يخبرهم أنه قد بدأ بإقامة قرية يهودية جاء فيها، [نظر الشيوخ إلى بعضهم وقالوا: بعناية الله يا خواجا أهلاً وسهلاً: إن هذه الأرض ليست أرضنا، لقد سمعنا أنها تابعة لليهود](4).

---

(١) د. فوزى الأسمر المرجع السابق.

(٢) خليل السواحرى وسمير سمعان، التوجهات العنصرية فى مناهج التعليم الإسرائيلية.

(٣) المرجع السابق.

(٤) د. فوزى الأسمر المرجع السابق.

بهذه السهولة يحاول الكاتب إقناع الصغار بوجهة النظر الصهيونية فى أن العرب تنازلوا عن فلسطين بمحض إرادتهم «أما المقولة» الأرض لمن يفلحها ويحافظ عليها «فقد برع الكاتب فى إظهارها بهذا الشكل [إن العرب الذين احتلوا أرضاً قبل ألف وثلاثمائة سنة أقاموا بها واعتبروها وطنهم، ولكنهم لم يفعلوا أى شيء لكى يحافظوا عليها من الخراب والدمار فى حين كانت بلادنا مأهولة بالغرباء، كانت أيضاً تتحول إلى أرض بور وقام أبناء إسرائيل بتعميرها].

ومن الملاحظ فى قصص الأطفال العبرية أيضاً أن الشخصية العربية الأساسية هى شخصية البدوى واستغلت الصهيونية عدم ارتباط البدوى بالأرض كى يبرهن أنه عابر سبيل فى فلسطين، فاليوم يسكن شمالها وغداً فى جنوبها وبعد غد فى مصر أو سوريا أو غيرهما من الأقطار المجاورة، فالبدوى لا يمتلك أرضاً، ولذا فإنه لا حق له على أى أرض. وبالتالى فهو غير مرتبط بالوطن ولا وطن له[١].

وفى معظم القصص التى تعالج موضوع البدوى يظهر فجأة ويختفى فجأة، كما أنه يقطع الحدود بلامبالاة، وهذه اللامبالاة ناتجة فى عرف الكتاب الصهاينة عن افتقاره للروابط التى تشده إلى بلاده دون سواها.

والبدوى يظهر فى القصص العبرية أيضاً لصاً ونشالاً كما جاء فى قصة «واحد منا» «ليميا تشرنوفيتش: والتى جاء فيها [فجأة سمع صوتاً يقول «اللهم» وشعرنا بأيد قوية تقبض علينا وتكبلنا، وظهر أمامنا شبحان يرتديان العباءة السوداء، إنهما لصان بدويان لم يكن ما سمعناه صرخات مزاح، ولم تكن لعبة أطفال أو مشهداً سينمائياً لقد كان حقيقة، فالشبحان كانا لصين حقيقيين، قاما بأسرنا ليتسنى لهما المطالبة بفدية لقاء الإفراج عنا][٢].

أما ثورة الشعب الفلسطينى ضد احتلال بلاده فيصفها الكاتب بأنها «عمل رعاع» حرضه عليه بعض المحرضين، ففى قصة «استغلال إسرائيل» للكاتب «دافى» جاء فيها [إن بعض المحرضين من العرب ادعوا أن اليهود سيأخذون بلادهم منهم وقامت هذه الجماهير العربية المحرضة بحرق وتحطيم الممتلكات اليهودية][٣].

أما أخطر ما فى هذه القصص أنها تركز على حتمية الحروب من أجل ضمان الوجود الإسرائيلى، مع إبراز الإسرائيليين بأنهم يعيشون فى جو محاصر بالأعداء لتأصيل فى نفوسهم مقولة «لا خيار إلا القتال»، وبذلك يعد الأطفال نفسياً لتقبل فكرة التجنيد الإلزامى عندما يصلون للسن المناسبة له[٤].

---

(١) د. فوزى الأسمر المرجع السابق.

(٢) د. فوزى الأسمر المرجع السابق.

(٣) د. فوزى الأسمر المرجع السابق.

(٤) د. سناء عبد اللطيف المرجع السابق.

فالتعبئة للحرب وخوض المعارك تفرض نفسها بقوة على كتب الأطفال.

لذلك تظهر صورة العربي بما يتلاءم مع النظرة العدائية له، وبالتالى لا تهيئ الطفل للشعور بإمكانية إقامة علاقات من حسن الجوار أو التعاون مع العرب.

فتصور لهم العدو العربي دائماً بأنه دائم السعي للقضاء على جميع الإسرائيليين، وإغلاق أبواب البلاد فى وجه الهجرة اليهودية وتربط فى ذاكرتهم بين صورة الفدائيين وصورة التعذيب النازى لليهود تجعلهم دائماً مصدراً دائم الخطر والخوف، ومن ثم ترسخ فى نفوسهم النظرة للعربى، كعدو يجب محاربته.

هذه هى الملامح العامة للأدب العبرى الموجه للأطفال، وسنحاول الآن عرض المزيد من النماذج للأعمال الأدبية التى تبرز هذه الملامح بقدر أكبر من التفصيل.

كثيرة هى القصص الإسرائيلية التى توضح إلى أى مدى توظف فى تكريس الكراهية لكل ما هو عربى فضلاً عن تحقيره والسخرية منه والاستعلاء عليه، فتصفه دائماً بأنه كلب، قذر، قاتل مجرم، سفاح، نجس، خائن، كاذب، مغتصب قاس.

فجاء فى قصة شمعون:

تقدم اليهودى الطيب (شمعون) بهدية مهمة ومناسبة لصديقه العربى (أحمد) الذى يقيم الليلة حفلة عرسه وزفافه.

كانت الهدية عبارة عن (صابونة).. أحضرها لإدخال السرور على قلب صديقه، فرح العربى كثيراً، وقام بفتح الهدية أمام الحضور وابتلع منها قطعة وناول المتبقى فيها إلى زوجته العربية.

لكن شمعون بادر إلى صديقه موضحاً أن الهدية ليست قطعة حلوى بل صابونة للاستحمام وإزالة النجس والقذارة من على جسده المتسخ!!.

ومن قصة «القرية العربية»:

[إن شروط النظافة والمحافظة على الصحة تكاد تنعدم بين العرب، والإجراءات الصحية التى لا يستطيع الإنسان العيش ساعة واحدة بدونها غير متوفرة فى أية قرية عربية، حتى القرى الكبرى الغنية.... وعادة الاستحمام تكاد تكون غير مألوفة عند العرب، وهناك بعض الفلاحين الذين لم يمس الماء أجسادهم زمنا طويلا].

وهناك قصص أخرى تكرس النظرة الهمجية والوحشية للعرب منها قصة «إفرات» جاء فيها [أتى العرب أعمالاً وحشية ضد اليهود. بحيث بدا العربى كائناً لا يعرف الرحمة أو الشفقة، فالقتل والإجرام غريزة، ولون الدم من أشهى ما يشتهيه.

باغـت العرب اليهود واعتدوا عليهم كالحيوانات المفترسـة وراحوا يسـلبون ممتلكاتهم حتى المدارس والمعابد لم تسلم من بطشهم][1].

قصصهم دامية كأفكار زعمائهم، ليس فيها فراشات أو زهو، أو أغصان زيتون، وباعتراف أحد كتابهم فإن مثل هذه الأشياء الجميلة يجب أن تختفي من قصص الأطفال لأنهم في غنى عنها، ما دام الهدف الأكبر هو إعدادهم للحرب[2].

وكان طبيعياً أن يشـب الأطفال في إسـرائيل على هذه الحالة من الاسـتعلاء والتي يبدو أنها تشـكل ظاهرة باعتراف الناقدة الإسـرائيلية تامرا مازوز انعكست من خلال إقبال الأطفال بشدة علـى الكتب التي تركـز دائما على موضوع واحد «هو تصوير الأطفال اليهود بأنهم أطفال جبابرة عظماء لا يقهرون، يهزمون العرب الأغبياء بسهولة».

في سلسـلة حكايات الطفولة للكاتب الإسـرائيلي لأون سـريغ.... وعنوانها «داني دين في حرب الأيام السـتة»، يقوم المؤلف بتشـويه صورة الجندي والمقاتل العربي، حيث يصف القائد المصري الذي يداعب خنجره ويسـتمتع بنشـر الدماء من حوله أنه شخصية مشوهة، لعميل في الاستخبارات المصرية، وأنه وحشي كأفعوان صيني، ومراوغ مثل ثعلب سوري إنه مجرم منذ أن كان في بطن أمه، وكان في طفولته أشبه بقاطع طريق منه بطفل طبيعي.

إلى جانـب ذلك تضاف أوصاف لأعمـال مرعبة قام بها ذلك الطفل تبدأ بقطع أذن أمه عندما عضها وهو ابن عامين، وتنتهي بعصابة قتلة يرأسـها وهو في سـن العاشـرة فقط. في كل فصل من الفصول الأربعة والعشـرين يظهر «داني دين» بشكل يختلف عن الذي سبقه، وفي كل حالة يكون خارقاً ويلحق بالعرب الهزائم تلو الهزائم، لأن العرب في نظره مخادعون أعداء قساه فجاء في سـطورها [العرب مخادعون أعداء قساة أنظر إليهم نظرة الكراهية، ووجهة نظري أن العرب يريدون قتلي وودت لو أفعل شيئاً أن أقبض على هذا العربي وببساطة أن أخنقه][3].

وكتاب «داني دين» لا يختلف عن سائر قصص وكتب الطفولة الأخرى، فهو محشو بنفس الآراء وبنفس اللغة العنيفة التي تتسم بالسخرية والاستهزاء بآراء العرب الذين يعتبرهم على درجة متناهية من الحقد والجبن والدونية على عكس الأبطال العبريين الذين يعرفون بجرأتهم وببطولتهم.

وليـس هذا فقـط، فلهذه الكتب طابع آخر هـو تربية النشء ليرى في الاحتـلال أمراً عادلاً ويتجاهل الشعب الآخر وحقوقه، حيث يقول:

---

(١) د. سناء عبد اللطيف– المرجع السابق.

(٢) السواحري– أدب الطفل العبري.

(٣) السواحري– المرجع السابق.

[لنا كل هذه البلاد من بلادهم، وأنها ستعود وتصبح كلها لشعبنا فيا جنود إسرائيل، الوطن المستبعد ينتظركم بفارغ الصبر فتقدموا وحرروا يهودا وإفرايم].

وكان أشهر من ألف في مجال قصص الأطفال الإسرائيلية «حازى لوفيان» الذى كان يعمل في الماضى محرراً لمجلة الجيش الإسرائيلى (بمجاتية) بالإضافة إلى عمله كخبير هيئة الأركان العامة فى الجيش وفى الشئون العربية، كما كان محرراً أيضاً للمجلة الأسبوعية «ريمون»– قنبلة– وفى كتاب «مائة وعشرون قصة وحكاية متخصصة» للقاص (شارغاجفنى) والذى يحمل فى كل قصة اسماً مستعاراً يصف العرب بأنهم قتلة يهاجمون المستوطنات، وأن سلوك اليهود تجاههم يكون دائماً مثالياً. وفى كتاب (رجال فى التكوين) تأليف أليعازر شموئيلى (أحد فلاسفة التربية الصهيونية فى وزارة المعارف) منذ طبعته الأولى عام ١٩٣٣ وحتى طبعته الثانية عام ١٩٧٢ ترد أوصاف الإنسان العربى بأنه طويل القامة عريض المنكبين يلمع فى عينيه بريق الغضب، وجهه قاس وشاربه مدبب يرتفع على شكل قرنين، عيناه صغيرتان، تدور دوماً فى محاجرهما وأنفه نسرى معقوف، وفى كتاب بعنوان «ليس على جادة الصواب» يظهر (إليعازر شموئيل) الإنسان العربى بشكل مرعب مما يدعو إلى بث الخوف والرعب فى قلوب الأطفال وزرع الحقد فى أذهانهم، مع تشويه صورة الإنسان العربى بكل المعايير والمقاييس. وفى كتاب «أولاد المدينة القديمة وحربهم ضد المتسللين» تأليف: (حاييم أليساف): يبرز بطريقة أكثر شمولية أسلوب تقبيح صورة الجندى العربى، حيث يتخيل جندياً أردنياً فى الجيش العربى الأردنى، بعينين حادتين جاحظتين تتطلعان بكره نحو اليهود ومتعطشين للدماء[1].

على جانب آخر تتعمد كثير من كتب الأدب العبرى للأطفال تشويه التاريخ لإنكار حق هذا الشعب الفلسطينى فى أرضه وقصة «اسحق بن تسفى فى حبرون» للمؤلفة رنا هرفون فهى واحدة من هذه القصص المليئة بالمغالطات التاريخية، فتظهر فيها أسماء الأماكن لتدعى أنها عبرية، لكنها فى الحقيقة أسماء كنعانية عربية وهى تسير وفق النهج الصهيونى الرامى إلى إثبات أن الأرض الفلسطينية أرض يهودية وأن العرب مجرد لصوص وقطاع طرق ومغتصبون لهذه الأرض.

وهذا هو نص القصة[2]:

[فى أحد أيام الصيف الحارة خرجنا فى رحلة قصيرة من أورشليم إلى حبرون، كان برفقتى راحيل ودافير فيشار وتيسحاق، وكلهم من الشبان الصغار من مواليد حبرون ومن تلاميذ دار المعلمين فى أورشليم يقطنون مع أسرهم فى مدينة حبرون حيث كانت الطرق المؤدية إليها معروفة جيداً من قبلهم.

---

(١) التوجيهات العنصرية– المرجع السابق

(٢) المرجع السابق.

مالت الشمس إلى المغيب فانخفضت درجة الحرارة وارتفع البدر فى عنان السماء لينير الطريق المؤدية إلى حبرون، لم تكن هناك فوانيس لإضاءة الطريق فى قلب المدينة ولا خارجها، كما لم يكن السبب فى جولتنا فى هذا الليل الحالك ارتفاع درجة حرارة الصيف لأن الليل كان أكثر أمناً وضماناً بالنسبة إلينا من ظهور اللصوص والهجمات العدائية فى ساعات النهار، حيث لم نصادف أى إنسان فى طريقنا لا راجلاً ولا راكباً على حمار.

كانت الطريق من برك سليمان حتى حبرون مقفرة وخالية من أية مستوطنة أو مركز يهودى، على رغم أنها مليئة بالذكريات التاريخية العظيمة، منذ عهد آباء الأمة من زمن القضاة ومنذ أيام ملوك يهوذا أو الهيكل الثانى- أما أسماء المواقع التى يمرون بها اليوم فهى عبرية سابقة، وأحياناً تحمل هذه المدن أسماء عربية وأحياناً أخرى تبقى هذه الأسماء دون تغيير. انظروا الآن إلى أطلال وخرائب بيت زكريا الذى بنيت فيه قبور أبطال الحشمونيين الذين حاربوا جيش اليونان المدرع بما فيه من كتائب خاصة تستخدم الفيلة التى يقودها الهنود وجيشه المزود بالدروع، وفى هذا الموقع سقط البطل إليعازر شقيق يهود المكابى الذى قتل الفيل وسائقه.

نحن نسير الآن نحو حبرون عبر طريق قديمة مبنية من الحجارة الكثيرة كحجارة الحائط الغربى للهيكل فى أورشليم ويدعى هذا المكان (الونى ممرا) وهو يحمل اسم أحراج البلوط فى ضواحى الخليل، وكان أبونا إبراهيم الخليل قد أمضى وقتاً فى (الونى ممرا) عندما ظهر له الملائكة الثلاثة فى هذا الموقع، وممرا هو اسم أحد إخوة الأموريين من أبناء الحيثيين أصحاب الخليل (حبرون) اشكول، منار، ممرا، وهم أصحاب ميثاق إبراهيم.

واستعمل هذا المكان فى العهد الرومانى كسوق كبير لبيع الأسرى وفيه باع الامبراطور هدريانوس الأسرى اليهود بعد ثورة باركوخبا عام ١٣٢ وهو الذى بنى فى هذا المكان حصناً له.

ودعى هذا السوق فى عهد التلمود (بوطنا) وكان سوقاً للعبيد ليس فقط فى عهد روما الوثنية بل حتى فى العهد البيزنطى.

جذبت حسرات الماضى والحاضر أفئدتنا إلى حبرون (الخليل) ومغارة المكفيلا والحى اليهودى فيها، على رغم أن الدخول إلى ضريح الآباء محظور لكل من هو غير مسلم، ولم يسمح لليهود بالصعود أكثر من سبع درجات فى ساحة المغارة (مغارة المكفيلا) ومضينا فى سيرنا عبر شارع اليهود فى حبرون الذى كان يسكن فيه أصدقاؤه لقد استقبلونا باحترام، وبقلوب مفعمة بالمحبة، وأنزلونا فى بيوتهم فى الجيتو الضيق (حى اليهود الضيق). فى تلك الفترة كانت حبرون اليهودية تتنامى وتكبر وتعيش فيها حوالى ألفى نسمة من اليهود فهم ٢٦٦ من الإشكناز، وفى نهاية جولتنا

قمنا بزيارة الكنيس القديم الذى أقيم فى وسط الجيتو، بالإضافة إلى المدرسة الدينية المعروفة التى أسسها الراهب المقدس حزقيا الذى ينتشر اسمه فى البلاد وسائر أرجاء المهجر[1].

وأظهر استطلاع إسرائيلى للرأى مدى التأثير الخطير لقصص الأطفال على نظرتهم للعرب، ومدى استعدادهم للحياة فى سلام وصداقة معهم، وكانت أبرز نتائجها.

أن مستوى الخوف من العربى كبير للغاية، وصف ٧٥٪ من الأطفال العربى بأنه شخص مختطف الأطفال، وقاتل، ومخرب ومجرم، وصف ٨٠ ٪ منهم العرب بأنهم رعاة الأغنام يعيشون فى الصحراء، وجوههم مخيفة وقذرة.

ورفض ٩٠٪ منهم حق العرب فى البلاد أو التعايش معهم.

أما السبب فى ذلك فلأن العرب- من وجهة نظرهم- يريدون قتلهم وطردهم من البلاد[2].

باعتراف الكاتب اليهودى البروفيسور إديركوهين المتخصص فى التربية فى جامعة حيفا فى كتاب له حول انعكاس شخصية العربى فى أدب الأطفال خلص إلى القول إلى أن غالبية الكتب المعروضة فى السوق للأطفال تشوه الشخصية العربية وتنمى بين أوساط قرائها مشاعر الكراهية للعرب والاستخفاف بقوتهم وقدراتهم العقلية[3].

ويرى الباحث أن هذا الاتجاه كان هو السمة العامة لأدب الأطفال فى الخمسينات والستينات، أما فى السبعينات فبالرغم من ظهور بعض القصص النادرة التى تحاول أن تقدم بطلاً عربياً، وهو ما يمكن اعتباره بداية نحو التعامل مع شخصية العربى كإنسان وصاحب حق. ومن هذه الكتب النادرة أعمال دفورة عومر وبنيامين تموز (دوريت أورغاد وموشيه بن شاؤول) إلا أن هؤلاء الكتاب، كما يؤكد الباحث- حاولوا فى قصصهم التعامل مع العربى بضوء إيجابى فى مواجهة نوع من حالة تأنيب الضمير والإحساس بأن شعبهم يضطهد شعباً آخر، وفى سبيل دفع ضريبة على الورق- والتظاهر بالليبرالية، ومن هذا طغت على أعمالهم سمات الصنعة والافتعال وبدا العربى فيها شيئاً من أشياء الطبيعة يحبه البعض كما يحب زهرة برية ولم تحمل شخصيته خصائص الحركة الفردية المستقلة بل ظل يتحرك فى إطار الشخصية العربية المستحضرة لأغراض إسرائيلية محضة- أغراض انتقاد المجتمع الإسرائيلى، وفى مقابل هذا الاتجاه وعلى النقيض بدأت تتغلغل فى قصص المغامرات الرائجة المروجة- لأفكار أرض إسرائيل الكاملة. فالبطل الحورى لقصة «الرياضيون الصغار عائدون»[4].

---

(١) التوجيهات العنصرية- المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

(٣) أنطوان شلحت، أسطورة التكوين- الثقافة الإسرائيلية الملفقة.

(٤) أنطوان شلحت- المرجع السابق.

لأفنـير كرميلـى هو صبى يعيش مع والديه وإخوته فى مسـتوطنة كونيالية فى الضفة الغربية المحتلـة، وحلم هذا الصبـى هو أن تزداد هنا وهناك فى الضفة الغربية المسـتوطنات الكونيالية مردداً لمقولة [إن أية قوة فى العالم ليس بمقدورها أن تقتلع شعباً من وطنه][1].

فى هذه القصة يعلن الكاتب صراحة أن العربى الصالح هو العربى الميت أو العربى الذى انصهر منه الشعب العبرى، ولذلك فهو يدعو جميع الشبان العرب إلى الانصهار فى الشعب العبرى مبرراً ذلك بمفهوم استعمارى من نوع جديد يقوم على اعتبار العرب فرعاً من سلالة بنى إسرائيل[2].

فيكتب فى وصف الشباب العرب الذين قرروا ربط مصيرهم بمصير بنى إسرائيل «بدأ عدد من الشبان الناطقين باللغة العربية يؤمنون بأنهم من سلالة بنى إسرائيل القدامى الذين بقوا فى البلاد ولم يذهبـوا إلى المهجـر بعد أن خربها الرومان، وعندما احتل العرب البلاد اضطرت غالبية أبناء البلاد الإسـرائيليين إلى قبول دين المحتلين وعاداتهم رغماً عنها، والآن هكذا آمن هؤلاء الشـبان العرب بأنه أزفت سـاعة الرجوع إلى حضن شعبهم الحقيقى شعب إسرائيل والمشاركة فى عملية انبعاثه العظيمة فى وطنه[3].

غالبية قصص الأطفال الإسـرائيلية باعتراف البروفيسـور كوهين تحمل هـذه الأفكار المماثلة لأفكار أفنيركرميلى. هذه القصص التى تدخل ضمن إطار ما يطلق عليه– الأدب الفاسق–المنحرف يراهـا ظاهـرة عامة، حتى يكاد كل طفل يهودى يقرأ هذه القصـص لابد وأن تتكون لديه أفكار مسبقة عن وحشية وعنف العرب.

القصـص التـى تزرع فى عقول الصغار الكراهية والحقد على العرب ودفعهم إلى عدم الثقة بهم والتعامل معهم باعتبارهم فى مستوى أدنى من اليهود كثيرة من هذه القصص «قصة الزيارة» والتى تعد نموذجاً للقصص الصهيونية الهادفة إلى غرس المبادئ العنصرية الحاقدة القائمة على تخويف النشء اليهودى من الإنسـان العربى وتحذيرهم من مغبة الوثوق به أو الغفلة لحظة عن الأخطار المحيطة بهم[4].

وسـنورد فى السـطور التالية تفاصيل هـذه القصة للتعرف إلى أى مـدى تكرس هذه القصص الإسرائيلية مشاعر القلق والخوف فى نفوس الأطفال.

---

(١) أنطوان شلحت– المرجع السابق.
(٢) أنطوان شلحت– المرجع السابق.
(٣) أنطوان شلحت– المرجع السابق.
(٤) السواحرى– المرجع السابق.

وصل أطفال روضة (شيكد) إلى روضتهم فى ساعات الصباح كالمعتاد حيث سارعوا إلى تحية عاملة الحديقـة (ريبـكا) والمربيات فى الروضة، وبعد ذلك توزع الأطفـال كل إلى الزاوية المحببة لديه عفرا وشيرى إلى زاوية الرسم وتناولتا الأوراق وألوان الرسم ثم بدأتا بإعداد الرسومات المختلفة والجميلة، أما ابيشايو يوئاب فكانا منهمكين فى إعداد برج عال من مكعبات الأخشاب الملونة والكبيرة، معين ويئير وعمـرى توجهوا إلى زاويـة الألعاب فى حين ذهب ينيب إلى المكتبة، أخرج منها كتاباً ثم أخذ يقص على نفسه قصصاً ظريفة، وذات أهمية، وبينما الجميع منهمكون كل فى زاويته المحببة سمعوا صراخاً قادماً من الحديقة وكان هذا صوت شـولا. لقد رأت شـولا جسما غريباً فى داخل الحديقة وأرادت أن تنبه زملاءها الأطفال وعندما نزل الأطفال إلى الحديقة أشارت شولا بيدها المرتعشة إلى الجسم الغريب، وقد أحسـن أطفال الروضة صنعاً حين سـارعوا إلى الاتصال بقوات الشـرطة التى وصلت المكان على عجل، وقام رجالها بإخلاء روضة شيكد من الأطفال الصغار والمربيات وعاملة الحديقة ثم كشفوا الجسم الغريب فكان عبوة ناسفة صغيرة وضعها مجهولون فى الحديقة ولا شك أنهم من الأعداء– فى إشارة للعرب– وتم تفكيك العبوة بسـلام وقدم رجال الشـرطة التهانى والكلمات الحلوة إلى شـولا وزملائها أطفـال الروضة على يقظتهم العالية وشـدة انتباههم وتصرفهم الحسـن وطلبوا منهـم ألا يترددوا فى الاتصال برجال الشـرطة إذا ما شاهدوا أى جسـم غريب فى الحديقة أو أى مكان آخر يذهبون إليه. وبعد مغادرة رجال الشرطة عاد الأطفال إلى روضتهم واتجه كل منهم إلى زاويته المحببة.

حـين عـادوا إلى الانهماك فى ألعابهم مرة أخرى شـعروا فجأة بأن باب الروضة ينفتح ويقف فيه طفل جديد، كان الطفل يقف فى الباب مسمراً وكأنه يخشى من التحرك. كانت الطفلة أورلى هى أولى من شـاهد الطفل الجديد فنادت على زملائها أيها الأطفال انظروا إن عندنا فى الروضة ضيفا. هنا أوقف جميع الأطفال الألعاب والمطالعة والرسم ووجهوا أنظارهم باتجاه الطفل الجديد، أما الضيف الجديد فكان ما يزال مسمراً فى مكانه خجولاً وتائهاً، وكانت عيناه ذابلتين ووجهه يقطر عرقاً من شـدة الحيـاء والخجل، كان يبدو مختلفاً كلياً عن أطفال الروضة، شـعره ذهبى أملس وعيناه زرقاوان كأنهما السـماء بشـرته بيضاء فى حين أن بشرة جميع أطفال الروضة تميل إلى الشوكولاته وحتى ملابسه كانت غريبة تختلف، إنه طفل غريب من بلاد غريبة.

ما اسمك أيها الطفل، سأله يوئاب:

رفع الطفل الضيف عينيه الزرقاوين دون أن يتكلم:

إنه لا يحسـن الحديث قالـت عفرا. أنت مخطئة– قالت لها عاملـة الحديقة–: إنه يعرف التحـدث ولكـن بلغة أخرى، إنه يتحدث الإنجليزية، هذا الطفل يسـمونه الإنسـان، وهو من إنجلترا، وقد جاء ليحل ضيفاً فى الروضة ليوم واحد.

مرحباً أيها الإنسان، قال له يئيرا وابتسامة تعلو شفتيه والابتسامة هى لغة ولكن دون كلمات، ابتسم الطفل الضيف ليئير وبعد دقائق أخذ الأطفال الطفل الجديد معهم إلى زوايا الألعاب المختلفة وعرضوا عليه جميع اللعب وحاولوا تعليمه قليلا من العبرية.

أمضى الطفل الضيف مع أطفال الروضة يوماً كاملاً ولعب معهم بكل الألعاب وذهب معهم إلى بركة السباحة الصغيرة وجلس معهم حول مائدة الطعام، لم يكن يستطيع التحدث معهم ولكن بريق الفرحة فى عينيه أكثر من ألف كلمة.

عندما ودع الطفل الضيف أطفال الروضة قال لهم: سلامو إلى اللقاء بالعبرية وقد صفق له الأطفال جميعاً لشدة فرحتهم به وتعلقهم به.

قال تمار للمربية: هل تعرفين: لقد أصبحنا فى النهاية أصدقاء حميمين حتى دون أن نتفوه بالكلمات عندما نظرت المربية تسيفورا إلى أطفال الروضة نظرة إعجاب وتقدير وقالت: ليت الكبار يتعلمون من الأطفال الصغار هذه اللغة. لغة دون كلمات. لغة الصداقة والحب.

أيها الأطفال الصغار فى جميع أنحاء البلاد ابتسامتكم للضيوف الأجانب القادمين لزيارة البلاد تساعدنا فى كسر عزلتنا، وفى تطورنا وازدهار بلدنا [1].

القصة السابقة تكشف إلى أى مدى تحاول إسرائيل غرس بذور الشك والتخوف من العرب فى المقابل تشجع صغارها على كسب ود الغرب وتجعل منهم الإنسان الصديق الصدوق، وتحثهم على مبادلته الحب والصداقة والثقة فيه.

نموذج آخر لقصص الأطفال التى تتعمد الإساءة للعرب وتصورهم بأنهم لصوص وقطاع طرق ويظهر ذلك واضحاً فى قصة «أحقاء» للكاتبة ميمية تشرنوفيتش أفيدار، وهذا هو نصها [كان يوسف ترومبلدور جندياً متمرساً فى جيش القيصر الروسى، وعندما نشبت الحرب بين روسيا واليابان عام ١٩٠٤ قاتل ترومبلدور ضد اليابانيين ببطولة، فجرح وقطعت يده وبعد أن شفى من جراحه طالب بأن يعيدوه إلى جبهة القتال. أثناء الحرب أسر ترومبلدور من قبل اليابانيين، والده الذى كان يهودياً متحمساً، ربى ابنه وثقفه ليكون يهودياً فخوراً، ومحباً لأرض إسرائيل، وهكذا فى معسكر الأسرى قام ترومبلدور بتنظيم الجنود اليهود، نأوا بأنفسهم عن محاربة الجيوش الأجنبية مفضلين الهجرة إلى أرض إسرائيل والكفاح من أجل أرض الوطن، وهذا بحد ذاته يعتبر أوسمة شرف وتميز للبطولة والشجاعة التى نبديها حين نهاجر إلى البلاد، وبالفعل هاجر ترومبلدور مع مجموعة من الشباب اليهودى ممن كانوا معه فى الأسر إلى أرض الوطن، وعملوا أولاً فى مستعمرة وجانيا والمجدل قرب طبريا كعمال زراعيين، حيث كانوا يعملون فى

(١) السواحرى- المرجع السابق.

النهار ويحرسون في الليل لحماية المستوطنات من اللصوص، قطاع الطرق العرب الذين يهاجمون المســتوطنات القليلة المتناثرة في الجليل الأســفل، حيث كانت البلاد في حينه تحت ســيطرة العثمانيين الأتراك الذين كان يوسف ترومبلدور يكرههم ويقاوم سلطتهم، كثيراً ما لاحقوه ورغبوا في اعتقاله إلى أن اضطر إلى مغادرة البلاد فترة من الزمن في هذه الأثناء احتل الإنجليز البلاد من أيدى الأتراك وأصبحت أرض إسرائيل تحت سلطة الانتداب البريطاني.

عاد يوسف ترومبلدور واستقر في منطقة (تل حاى)- الجليل التى أصبحت تعرف بعد تغيير اسمها العربي بآخر عبرى باســم (تل حاى)- ففي عام ١٩٢٠ تحصن يوسف ترومبلدور وزملاؤه في ســاحة (تلحا) وأعدوا أنفســهم لمهاجمة المعتدين العرب من عشائر الخوارنة- بيد أن العرب دخلوا بالحيلة إلى هذه الســاحة بحجة أنهم لا يريدون مهاجمة اليهود، بل جاءوا يبحثون عن ضباط فرنسيين تسللوا إلى (تل حاى) وأنهم سيقومون فقط بإجراء تفتيش عليهم والخروج مباشرة بعد أن يتموا عملهم. هكذا قال المسـلحون العــرب، وفي اللحظة التي سمح فيها اليهود للرجال العرب بالدخول إلى الســاحة. في هذه اللحظة فتح المســلحون النار فأصابوا كل المدافعين فقتلوا ســبعة وجرحوا الكثيرين ومن بينهم يوســف ترومبلدور الذى كانت جراحه كبيرة، وقبل المساء أخلــى الجرحى إلى كيبوتس كفارجلعادى. وفــى الطريق وبالرغم من جهود الأطباء لإنقاذ حياته أســلم البطل الروح. وقبل موته لفظ تروسبلدور مقولته الأخيرة: «ليس هناك أفضل من الموت من أجل بلادنا»[1].

ليــس غريباً أن تحــوز اعجابهم أيضا كتب «كارل ماى» الكاتــب الألماني الذى لاقت قصصه في أدب الطفولة استحســاناً وشــرعية رسمية من قبل ألمانيا النازية لتعم بين الأطفال والناشــئة الإسرائيليين لما تتسم به من أشد درجات العنصرية غلواً، وما يتخللها من عنف ودلالات التمييز العرقى الشوفينى، التى تتميز بتوصيف الإنسان الأبيض بأنه المتفوق كامل الأوصاف والخصائص، كما يمثله ذلك المغامر الألماني الآرى الذى يواجه صعوبات معقدة تشكل خطراً محدقاً على حياته، ولكنــه يظفر في النهاية بالنصر بفضل قوته الجســدية الخارقة التــى لا تخور ونبل خصائصه، حيث تجاوز النصر الذى حققه لذاته إلى رفاقه فأنقذهم في سبيل تحقيق العدالة!!

ولعل الظاهرة البارزة الملفتة للنظر هنا أن كتاب القصة اليهود بدأوا بتأليف قصص الطفولة في قمة النشــاط النازى عام ١٩٤٢ إبان المعارك الطاحنة في الحرب العالمية الثانية التى كان يسعى من خلالها (أدولف هتلر) مستشار ألمانيا النازية وزعيمها لفرض سيطرته على العالم انطلاقاً من دعوات وشعارات لا مثيل لها في التاريخ في عرقيتها وعنصريتها وعدائها للجنس البشرى، فقد

(١) السواحرى- المرجع السابق.

شــرع الكتاب اليهود منذ عام ١٩٤٢ بترجمة ثلاثين كتاباً وضعت بين أيدى الأطفال والناشــئة اليهود أبرزهم م. ز وولفوبســكى فى قصة الرئيس الهندى الأحمر عام ١٩٤٢ ولصوص الصحراء، ترجمة أ. أ عقبا عام ١٩٤٨، والبد صانعة الانفجار، ترجمة ى. هيرشــبرغ عام ١٩٥٢، والغرب المتوحش ترجمة ح. ترسـى عام ١٩٥٣، وفينتوا ترجمة نوح مان عام ١٩٥٧. وأولدشــور هاند، ترجمة عوديد أفيلر عام ١٩٦٨، ثم قصص كارل ماى، ترجمة ب فيكلير عام ١٩٦٨، وعلى رغم محاولة غالبية المترجمين اليهود إضفاء أســلوب أكثر تشويقا- ورقيا مما ورد فى الأصل- إلا إنه لم يكن بإمكانهم تطهيرها أو تنظيفها بالكامل من لغة البطولة ذات النبرة العنصرية القومية، التى تفوق فى غلوائها أى نبرة استعلائية، وفى تحقيرها أى نظرة دونية للآخر (العرب).

وكشــفت دراسة إســرائيلية عن صورة العربى فى أذهان الأطفال الإســرائيليين، جاءت على النحو التالى:

العيــش فــى الصحراء، صانع الخبز، يلبس الكوفية، راعى بقر ذو ســحنة مخيفة فى وجهة ندبة وقذر ونتن وتنبعث منه رائحة كريهة. إن الجهل التام المطبق المقصود لذاته بشــكل العربى وهيئتــه وهندامه وتاريخه وحاضــره ومعتقده وعاداته، أدخل فى أذهان الطلبة اليهود أن العرب أصحاب شــعر أخضر ولهم ذيول وأنهم ليس لهم حق فى البلاد (فلســطين) ويؤمنون بأنه ينبغى قتلهم أو شــنقهم وترحيلهم، وقلائل فقط من الطلبة حاولوا شــرح أسباب النزاع مع العرب بقدر مناســب من التفصيل، واكتفى الباقون بجمل مقتضبة ومبتورة من ســياق التاريخ مثل إنهم (أى العرب) ينوون قتلنا، وتشــريدنا من البلاد. واحتلال مدننا، وقذفنا فى البحر، وبالنســبة للطلبة الذين يرغبون فى الســلام يرون أن «الســلام» ينبغى أن يعنى تسليم العرب بالسيادة الإسرائيلية على أرض إسرائيل الكاملة بما فى ذلك الضفة الغربية وقطاع غزة.

واتفق الطلبة على رأى خطير للغاية يتلخص فى طرد العرب من فلســطين (إســرائيل) بحيث يجب طرد عائلة أى عربى يقف فى وجه مشاريع الحكومة الإسرائيلية وتطلعاتها، ومن ثم طرد أهالى قريته أو مدينته برمتها.

فالعــرب فى نظر هؤلاء الطلبة كارهون لنا (اليهود) ولا نســتطيع التوصل معهم إلى ســلام، لأنهــم يعتقــدون أنهم (أى العرب) أخذوا أرضنا، كما يعتقد هؤلاء الطلبة أنه يجب نقل العرب إلى أى دولــة لأن لهــم عدة دول عربيــة، بينما نحن (اليهود) لنا دولة واحدة، فقط، وبســبب ســفك الدماء فى هذه البلاد، يظهر أشــخاص مثل مائير كاهانا ورحبعام زئيفى صاحب نظرية الترانســفير وعوافاديا يوســف صاحب مقولة العرب صراصير فى زجاجة، وكلهم يطالبون بطرد العرب من البلاد.

وتعد سلسلة الأطفال الشهيرة والمعروفة باسم «حسمبا» مثالا صارخا على العنصرية التى تتميز بها قصص الأطفال الإسرائيلية، وباعتراف باحث تربوى إسرائيلى متخصص فى كتابة قصص الأطفال هو «أرونيل أوفيك» فإن هذه السلسلة تشكل خطرا على اليهود والصغار لتكريس الصورة النمطية للعرب.

أما الذى حفز الكاتب يغتلا موسينزدن- مؤلف سلسلة حسمبا- على اختيار هذا النمط من القصص فهو إدراكه مدى إعجاب الأطفال اليهود بشخصية طرزان المنقذ المصاحبة دائماً لأكثر حيوانات الغابة تندرا أو البهلوانية (القرد) تماماً كالقرد الذى يصاحب ويرافق (حسمبا) فى جولاته ومغامراته ليسهل انتقال الأطفال اليهود من طرزان إلى (حسمبا) الذى يعد مجموعة من المغامرين متحدة فى شخص واحد، وكان المناخ العام لتلك السنوات منذ الخمسينات تتميز بما يوصف بالنضال اليهودى والحرب من أجل إنشاء إسرائيل بعد تغلب العصابات اليهودية (الهاغانا) إتسل وليحيى على المقاتلين العرب.

تدور أحداث القصة حول ثمانية أولاد أعضاء فى مجموعة «حسمبا» وهم القائد يارون زها فى وتمار نائبه وأيهود السمين وغرى أمين المستودع وموشيه برجمئيل (ابروفسور) ومنشية اليمنى وزملائهم يحاربون الشرطة البريطانية ويخلصون مخبأ الأسلحة التابع لـ (الهاغانا) وينقذون فى عملية جريئة قائد السرية من المعتقل، ويوفرون الحماية لسفينة مغامرين، ويحوزون على أوسمة تقدير من قبل القيادة العامة. وقد حظى هذا الكتاب بنجاح باهر وظهرت فى أعقابه على فترات متقطعة أربع وعشرون قصة أخرى فى سلسلة حسمبا. وفى الكتب الأخيرة من هذه السلسلة التى صدرت قبل بضع سنوات ومن بينها «حسمبا» فى غزو قناة السويس التى صدرت عام ١٩٧٠ وحسمبا فى مواجهة الخاطفين التى صدرت عام ١٩٧٧، وحسمبا فى سلاح الجو هذه السلسلة خلقت ما يمكن اعتباره موجة جديدة فى أدب الأطفال العبرى، وفقاً لما بشرت به صحيفة هآرتس فى ملحقها الأسبوعى الصادر يوم ١٠- ٤- ١٩٧٠، وفى مقابلة مع صحيفة (دفار) كانت قد نشرت يوم ١٧/ ٦/١٩٧٠ شرح موسنيزون سر نجاح حسميا بقوله: استجابت كتب حسمبا مع غريزة المغامرة المتأصلة فينا جميعاً، وخصوصاً لدى الأولاد إذ يصعب أن تجد ولداً لا يتماثل معه فتيان فى مثل عمره، ينفذون عمليات عادة ما يكون تنفيذها من نصيب البالغين. عمليات منسجمة تماماً مع قدر كبير من الخيال والدقة فى تطبيقها وفى قيمتها المقدسة وعلى أية حال ففى جميع القصص الخمس والعشرين يخوض أولاد حسمبا عن طريق السلاح معارك مختلفة ويتغلبون على لصوص الخيول وجواسيس سلاح الجو، وعلى مجهول يرتدى قناعاً أسود وعلى سائر الأنذال، ويتخلصون من أسر الجيش العربى ويتعاركون دون وجل، مع من هم أشرسهم بأساً وعنفاً كما يعبر عنه ذلك المقطع التالى[1].

---

(١) السواحرى- سمعان- المرجع السابق.

وفى أثناء ذلك كان عزور ويارون زهافى متعانقين ومتلاصقين يوجه كل منهما إلى الآخر ضربات موجعة ودقيقة غير أن عزور هب لمساعدة يارون وسدد صوب الجاسوس لكمة جانبية جعلته يركع ويسقط أرضاً ومن قصمة حسمبا فى أسر الجيش العربى جاء فيها: إذا حظر عليك أهلك أيها القارئ الصغير المشاركة فى عمليات تنطوى على أخطار ففى ذلك إثبات على أنك تتربى على أيدى أهل خطرين، ومن حقك أن تتحرر عليهم، وأن تذهب إلى عمليات كهذه على رغم خطرها، وهذا هو ما فعله داني حقا، إذ تمرد على أهله وانطلق إلى القيام بعمليات يقف لهولها شعر الراعي.

مخالطـات وافتراءات تزخر بها قصص الأطفال الإسـرائيلية تصب فـى النهاية فى اتجاه هدف واحد وهو تشـويه صورة العربى وتحقيره والتقليل من شـأنه، وإظهاره بصورة المتخلف الرجعـى القـذر الهمجي، وإظهار صورة اليهودى على العكس تماماً ليأتى متحضراً قوياً قادراً على صنع المعجزات.

قصـة المرأة العربيـة للمؤلفة نوريت زرحى تضرب مثلاً صارخاً فـى ذلك، وهى تحكى قصة طالبة عربية أدخلت إلى السـكن الداخلي للطالبات اليهوديات فتبدو مذعورة جاهلة باسـتخدام أبسط الأدوات– استعمال مرافق الحمام– الأمر الذى حولها إلى موضع للسخرية والتندر، وبلغت الافـتراءات حـد أن الكاتبة تورد على لسـان الفتاة العربية أن العربى يسـتحم مرتين فى العام إحداهما فى العيد الكبير والأخرى فى العيد الصغير.

وهذا هو نص القصة[1]:

]ها هو ذا الحمام سـارعى الآن للاسـتحمام، فالعادة عندنا فى هذه المؤسسـة أن تستحم مرة واحدة فى اليوم. خرجت وغادرت المكان، بينما بقيت معهن وقفن ينظرن إلى باستغراب. نظرت من حولى فوجدت أن كل شـيء جميل الأرضية مـن الرخام والحيطان تلمع. اقتربت أكثر فأكثر إلى الحمام، كانت مرافقه تتلألأ بحنفيات مصنوعة من الذهب، فيها المياه السـاخنة أو الباردة. شـاهدتهن وهن مسـتلقيات، اقتربت من حوض الحمام. صرخن بى نحن لا نكتفى بغسل الجزء الأسفل من جسمنا بل جسمنا كله.

قلت لهن: لكنى اغتسلت فى العيد، وأبلغتهن هذه الحقيقة. فنظرن إلى وقالت إحداهن: أنت لسـت زهرة تستحم وتغتسل حسب فصول السنة. أنت إنسـانة «ادخلى إلى الماء واستحمى لأنه ليس بإمكانك أن تسكنى معنا وأنت قذرة ورائحتك نتنة».

كـن جميعـاً عاريات ركضت باتجاه البـاب، لكن واحدة منهن كانـت تراقبنى وتترصد لى، فمنعتنى من الخروج.. نظرت إلى أعلى، واعتقدت أننى أستطيع القفز إلى الخارج من أى نافذة،

---

(١) التوجيهات العنصرية– المرجع السابق.

لكنهــن أحطــن بكل الغرفة، تمكنت أن أزحزح إحداهن، الواقفة عند الباب، لكنى لم أســتطع أن أبعدهــا كثــيراً، فقــد كانت عارية تماماً.. قالــت لى بهدوء.. ادخلى إلى المــاء ورددن وراءها ادخلى ادخلي. وعندها أحطن بى وكأننى مخلوق غريب، فجأة سمعت صوتاً يخاطبنى: ادخلى يا فرحيا أنا مسرعة إليك، وإلا سألقى بك إلى الماء على رغم أنفك.. اندفعت إلى الداخل بحذائى وملابسى «كان هذا حظى العاثر حين فتحت على جسمى حنفية المياه المغلية التى تفور كالنار، كن يصرخن: طهروها نظفوها، لقد دخلت المياه بملابسها القذرة، كلهن قفزن وتجمهرن حولى.. رأيت أن هناك منفذاً يمكن اختراقه، فهربت إلى الخارج صرخن من ورائى: إذا أبلغت المشــرفة بما حدث لك هنا سنقوم بحرق شعرك](١).

وتتعمد القصص تجاهل إظهار الحياة الاجتماعية والسياســية والاقتصادية للعرب، ولا تتطرق إلى ذلــك إلا بمنظور أحادى وتوجه متعمد لتشــويه وتحقير الطرف الآخــر، وعلى النقيض تبرز اليهود وبصورة الأكثر تقدماً وثقافة وتحضراً.

وتوظــف فى تحقيق ذلك كل الأســاليب، فيتم أحياناً اســتخدام التاريــخ وفى أحيان أخرى يستخدم الدين فى تقديم الصورة المشوهة والمعلومة الخاطئة المزيفة.

فالتاريخ والدين مثلاً فى قصص الأطفال التى يكتبها أفينر كرميلى وغيره من الكتاب الإسرائيليين تقف على البطل اليهودى وتفصيلاته، أما التاريخ والدين المضادان فمرتبطان عندهم- بالشياطين والسحر والشعوذة والدجل(٢).

إن عمليات غســيل المخ يتعرض لها الأطفال فى إســرائيل منذ الصغر، بهدف إثارة عواطفهم وشــجونهم وتركيــز أذهانهم وقدراتهم نحو أنانية مطلقة، قائمة علــى الفصل العنصرى والتمييز الفاضح، وإنكار الغير، وتربيهم على القســوة والتطرف القومى الأكثر تعصباً والاســتهانة بحياة الناس وكرامتهم(٣).

كما تخصصت عشرات الكتب المطبوعة بعشرات الآلاف من النسخ، وكذلك القصص والحكايات لشــحن الطفل الإسرائيلى بأقصى درجات العدوانية تجاه كل من هو عربى، أو ما يحمل سمات العروبة والإسلام فوق أرض فلسطين وسائر الأراضى المحتلة.

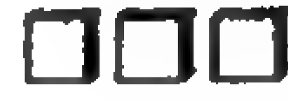
كشفت الكاتبة الإسرائيلية «نيلى مندلر» فى عدد من مقالاتها الصحفية على حقيقة ما تقوم به إســرائيل من عمليات غســيل مخ للأطفــال وتكريس الصورة النمطيــة للعربى بأنه «وحش

(١) التوجيهات العنصرية- المرجع السابق.
(٢) انطوان شلحت- المرجع السابق.
(٣) السواحرى- سمعان- المرجع السابق.

ونـذل»، وذلـك بهدف تربية النـشء ليتعاملوا مع الاحتلال على أنه أمـر عادل ويتم تجاهل الشعب الآخر.

هذا الشحن المكثف الذى يتعرض له الطفل الإسرائيلى دفع البعض من التربويين داخل الدولة العبرية نفسـها إلى التحذير من خطورة تأثير هذا التكريس للنظرة الاستعلائية العنصرية– فيراها أروئيـل أوفـك– الباحث التربوى المتخصص فى كتابة قصص الطفولة أنها «تشـكل خطراً على القراء اليهود الصغار بسبب تكوينها لنمطية التفكير لدى الجيل الحالى المتحكم بمقاليد الأمور فى سائر مؤسسات الدولة العبرية العسكرية والمدنية.

وكان يعتقد أنه فى أعقاب السـلام الذى تم بين مصر وإسـرائيل أن تتغير الصورة المشـوهة للعـرب، إلا أن بحثاً قدمه د. أدير كوهين أثبـت عكس ذلك تماماً وأن صورة العربى فى أذهان الأطفال الإسـرائيليين لم يطرأ عليها أى تغيير والسـبب هو ذلك الشـحن المتعمد الذى تغرسـه إسرائيل فى نفوس صغارها ضد ما هو عربى.



الفصل الثانى

الكتب المدرسية وتشويه متعمد للعرب والمسلمين

يقولون: إن التعليم فى الصغر كالنقش على الحجر.. ويبدو أن الساسة فى إسرائيل يقدسون هذا المثل الشائع.. فعلى ذاكرة أطفالهم يتفننون النقش بإزميل من الحقد.. يبذرون الكراهية والعنف لكل ما هو عربى..

فمنذ قيام الدولة العبرية وحتى الآن والكتب المدرسية الإسرائيلية هى الأداة المفضلة والمثلى لتعميق الصراع وتشويه صورة العرب والتطاول على الإسلام ومقدساته.

تفعل إسرائيل ذلك فى الوقت الذى تدعى فيه أن السلام لا تضمنه معاهدات وحوائط بطاريات الصواريخ ومحطات الإنذار المبكر، وإنما يضمنه تسكين السلام ذاته فى عقول الشعوب العربية.

أما الواقع فهو ما تعكسه مناهجها الدراسية- فالتحريض واضح ومفضوح والعنصرية فيها لا تخطؤه أى عين.

الغريب أن تعلو الأصوات الإسرائيلية محرضة على التدخل فى برامج التعليم والتربية العربية والمطالبة بإزالة كل ما يمكن أن يكون مضاداً لمفاهيم السلام.

هكذا هو منطقهم دائماً إباحة لأنفسهم ما يحرمونه على الآخرين، ارتكاب الجرائم وإلصاقها بالأبرياء.. ارتكاب المذابح ثم غسل الأيدى من دماء ضحاياها وكأن شيئاً لم يكن.

لذلك فليس غريباً أن تزخر الكتب المدرسية التى يتلقفها التلاميذ الإسرائيليون فى مراحل التعليم المختلفة بسموم الفكر الصهيونى العنصرى.

ويظهر ذلك بشكل واضح فى كتب التاريخ والجغرافيا والأدب والتى أطلق عليها الشاعر الفلسطينى الراحل معين بسيسو «أدب الحلوى المسمومة» حيث يعبر عن وجهة نظر أحادية الجانب هى وجهة نظر المؤسسة العسكرية الإسرائيلية[1].

وفى غالبية كتب التدريس لا يزال اليهودى يوصف بأنه طالب الحضارة، فى مقابل وصف العربى بأنه البدائى المتخلف.

---

(١) أسطورة التكوين- الثقافة الإسرائيلية الملفقة- أنطوان شلحت.

على سبيل المثال جاء فى كتاب ديرخ هميليم «عن طريق الكلمات» والذى يدرّس عند تلاميذ الصف الرابع.

[جاء الطلائعيون لحراثة أرضهم بسلام وطمأنينة، لكن جيرانهم العرب لم يعجبهم ذلك وحاولوا طردهم من أرضهم وقاموا بحرق الحقول وسرقة الأبقار والمواشى وإلحاق الأذى بأعضاء المجموعة].

أما قصة «خريف أخضر» فتحكى عن أسير عربى متقدم فى السن وقع فى أيدى الجنود اليهود، وتظهره علىّ حالة كبيرة من الضعف والذل والمهانة.

فجاء على لسان الجندى الإسرائيلى يصف حالة العربى الأسير [لقد نفذ كل ما أمرته به، أحضر الماء، كما قام بمهمات مختلفة كنت أكلفه بها، وكان يعود فى كل مرة كالكلب العائد إلى كوخه].

وتنتهى القصة باستخدام الجنود اليهود للأسير مع كلاب الألغام لينفجر به لغم، فيقوم الجنود اليهود بإحراق جثته(1).

ويشير نص آخر ورد فى كتاب «أرض الوطن» أن العرب «لصوص– متوحشون» لتأكيد الرقى اليهودى فى مقابل التدنى العربى فجاء فيه:

[جماعة (الحارس) دافعوا عن المستوطنات ضد المتوحشين واللصوص العرب كان أعضاء (الحارس) من الصفوة وكان العرب ينظرون إليهم بهيبة، لقد تعلم العرب منهم طريقة ارتداء ملابسهم(2).

وهنا يصف النص العرب أصحاب الأرض الحقيقيين بالمتوحشين واللصوص ويتم تشويه صورة العربى أمام التلميذ الإسرائيلى مقابل تأكيد صورة اليهودى الذى يمثل الصفوة والمتسم برقى زيه وملبسه الذى يشير النص إلى محاولة العرب الاقتداء به(3).

وفى نص آخر من كتاب «أرض الوطن» يتم تصوير العرب (كبدو) للدلالة على الفقر الحضارى إليهم فى مقابل التقدم والازدهار الحضارى فى دولة إسرائيل فجاء فيه [مرت سنوات قليلة وأبناء مستوطنة (بتاح تكفا) رأوا شاباً ممسكاً بعصاة بيديه يركض عشية السبت طالباً مساعدة الفلاحين الذين كانوا وقتئذ يتنازعون مع العرب على حدود وادى العسل الذى ترتبط حدوده بحقليهما، كان عدد الفلاحين حوالى خمسة غير مسلحين وكان يهودا راف القائم بالحراسة،

(1) جريدة الوطن ٦ نوفمبر ٢٠٠٦.

(2) د. صفا عبد العال- تربية العنصرية فى المناهج الإسرائيلية.

(3) د. صفا عبد العال– المرجع السابق.

يحمل مسدساً، لكن اهتزت يداه فانطلقت الطلقة الأولى وشعر الشاب باضطراب وسقط ولم يدر بما حوله، تحطم عكازه، أمسك بعكاز آخر ولوح به، وفجأة انطلقت فى الهواء طلقة أصابت يده اليسرى على الفور.

سقط الشاب على الأرض، وبينما كان لا يزال ممدداً رأى أن من أطلق عليه الرصاصة من البندقية رجل عجوز وجهه مكفهر وبندقيته محشوة بالرصاص، وما لبث الشاب أن أمعن النظر فوجد بدوياً عابس الوجه، ألقى على الشاب اليهودى عباءته وصاح العجوز: واحسرتاه أنتم أبناء الجيش هل ستكونون موضع السخرية، إننى رأيت جندية منكم مع شاب بمفردهما فى الحقل].

وتدور القصة حول شخصيتين إحداهما شخصية البدوى العجوز وشخصية الفتى اليهودى بما يملكه من قوة، وما يتميز به من شخصية مسالمة فى مقابل العربى اليهودى المتخلف والمتميز بالدموية والعنف، وتلك صورة تتكرر فى كثير من كتب التعليم الإسرائيلية.

وتزخر الكتب المدرسية بأقوال زعمائهم «التى تكشف بوقاحة مسيرة دولتهم وأيديولوجيتها العنصرية الفاشية منذ إنشائها.. منها مقولة بن جوريون «إنه يمكن وضع القانون جانبا والاعتراف بما يصنعه اليهود، ويضيف إسحق شامير إلى ذلك نصيحة فنلتفت إلى معتقداتنا نحن حيث الأخلاق والتقاليد اليهودية تنبذ الإرهاب بوصفه وسيلة قتالية فى مجرى الصراع، لذا فنحن بعيدون كل البعد عن تأنيب الضمير إزاء استخدامنا وسائل الإرهاب، وقبلهم يقول هرتزل أحد المؤسسين العتاة للحركة الصهيونية إن التآخى العام بين الناس لا يعتبر شيئا جميلاً، فالعدو شرط ضرورى لأرفع مجهودات الإنسان وأسماها، إن الإنسان الذى يخترع مادة شديدة الانفجار يعمل لأجل السلام أكثر من ألف داعية إلى اللطف والرفق واللين(1)».

وما تزال تربية العنصرية وتجلياتها المصاحبة لها من دعاوى الشعب الله المختار والحجج التوراتية مقترنة بالتفسيرات الأسطورية مسيطرة على العقلية الإسرائيلية قادة وشعباً، وثمة حرص كل الحرص على ترسيخها للأجيال المتعاقبة من أبناء إسرائيل وبناتها، من خلال مختلف وسائط التنشئة والإعداد للمواطن الإسرائيلى، ومن أهم وأخطر تلك الوسائط النظام التعليمى وإمكاناته فى صبغ مناهجه وكتبه المدرسية، بما يحقق اتجاهات تلك الأيديولوجية العنصرية فكراً ووجداناً وسلوكاً، ويتجلى هنا بخاصة نحو الأمة العربية بزعم أنها تهدد كيان إسرائيل وأمنها، وتتغلغل تلك الأيديولوجية فى مختلف مراحل التعليم من رياض الأطفال إلى الجامعات والمعاهد ومراكز البحوث(2).

---

(1) د. حامد عامر: توطئة لكتاب تربية العنصرية فى المناهج الإسرائيلية «صفا محمود عبد العال».

(2) د. حامد عمار: مرجع سابق.

ويكاد يكون من المسلمات التأكيد على الصيغة السياسية فى نظام التعليم الإسرائيلى. إنها لأداة قاطعة فى التكوين السياسى والتعبئة الأيديولوجية لكل ما تعج به مقولات قادة إسرائيل منذ قيام دولتها عام ١٩٤٨ حتى اليوم، وليس فى المنظور القريب أو البعيد التخلى عن عقائدها العنصرية خاصة فيما يتصل بنظرتها أو علاقتها مع العالم العربى، ومن ثم يتضح بطلان الزعم الإسرائيلى برغبته فى إقامة السلام العادل والشامل فى الشرق الأوسط(١).

ونصوص الكتب المدرسية ما هى إلا ترجمة لكل المزاعم المرتبطة بالحفاظ على أمن إسرائيل بشعار (السلام المسلح) و(شعار القوة فوق الحق) وبمفاهيم الحزام الأمنى وإقامة الجدار العازل. وأن حدود إسرائيل- كما يزعم قادتها هى (حيث يشعر جنودها بالأمان)، وحيث إن التعليم- فى أى وطن هو صلب البنيان الاجتماعى. فقد نظر إليه فى إسرائيل كقوة داعمة وحاكمة تعمل على توجيه العقول، كما تعمل على تغذية هذه العقول بمبادئ التربية الصهيونية بما يشكل نوعاً من الضمان والأمان فى تحقيقها الولاء المطلق للدولة، وخلق حالة من حرية الانتقام الفورى والعنيف، من كل من يناهض هذه الأيديولوجية الصهيونية العنصرية من الغير أو كل من قد يشكل عائقاً أمام تحقيق غاية إسرائيل الكبرى(٢).

ومن بين المهمات الرئيسية لنظام التعليم فى إسرائيل، السعى إلى زراعة بذور الخوف من الآخرين- فى عقول النشء وترسيخ عناصر الكراهية والحقد فى وجدانهم، ويعد ذلك من الآليات التربوية المهمة فى تشكيل بنية التوظيف الاجتماعى للمؤسسات الاستيطانية فى إسرائيل بشكل عام(٣).

والشاهد أن ما تهدف إليه الحركة الصهيونية فى مجال التعليم هو خلق وتنمية روح العداء للعرب وتشويه صورتهم لدى الجيل الإسرائيلى الحالى والأجيال التالية، وتعد المناهج الدراسية هى الوسيلة المثالية التى تساعد المؤسسات الصهيونية فى تحقيق ما تبتغيه(٤).

فالأهداف التى تسعى إسرائيل إلى تحقيقها من خلال صياغة المناهج الدراسية هى تنمية الوعى اليهودى الإسرائيلى لدى النشء والشباب وغرس المبادئ الصهيونية فى نفوسهم.

بغض النظر عن هذه الأهداف أو المفاهيم أو الاتجاهات متوافقة أو متعارضة مع دور التربية كعنصر أساسى يعمل على نشر التعاون والتفاهم والمحبة أو المساعدة على الوصول إلى سلام عادل(٥).

---

(١) د. حامد عمار: مرجع سابق.

(٢) د. حامد عمار: مرجع سابق.

(٣) د. صفا: مرجع سابق.

(٤) د. صفا: مرجع سابق.

(٥) د. صفا: مرجع سابق.

ومـن الواضح أن من بين الأسـس التى تعتمدها الصهيونية فى تربية الناشـئة الإسـرائيليين تشويه الدعوة والفتوحات الإسلامية فى الكتب المقررة التى يصدرها مركز المناهج التعليمية بوزارة المعارف الإسرائيلية، من هذه الكتب[1]:

١- سلسلة كتب (شعب إسرائيل) المقرر للصف السابع.

٢- كتاب دروس فى التاريخ.

٣- كتاب «هذا وطنى» المقرر على الصف الخامس.

٤- كتـاب جغرافية أرض إسـرائيل الطبيعية والاقتصادية المقرر على المـدارس الثانوية ومعاهد المعلمين.

٥- كتاب الجغرافيا للصف الخامس.

٦- كتاب دولة إسرائيل وانتشارها فى عصرنا.

٧- كتاب الأقليات فى إسرائيل (المسلمون- المسيحيون- البهائيون).

وأيضا كتاب اليهودية بين المسـيحية والإسـلام الصادر عن وزارة المعارف والثقافة الإسرائيلية والمقرر على الصف السابع الابتدائى وفيه:

[إن التعاليم التى انطلقت من شـبه الجزيرة العربية أوجدت وأيقظت قلقاً عميقاً فى القلوب، لقد قاد محمد حرب إبادة لجميع الشعوب والقبائل التى لم تتقبل تعاليمه، فأباد قسماً كبيراً من اليهود فى الجزيرة العربية].

تزوير للتاريخ وتشـويه للإسـلام ورسوله، ولا أحد يحاسـبهم على ذلك، وفى المقابل فإن أى مساس بإسرائيل- وليست اليهودية- وأى انتقاد يوجه لها يقابله على الفور إشهار سلاح معادة السامية الجاهز للدفاع الأعمى عن الدولة العبرية.

لا أحـد يجرؤ على انتقـاد الطفل المدلل للإمبراطورية الأمريكية، لا أحد يجرؤ على مطالبتهم بتنقية كتبهم المدرسية من العنصرية، وحثهم على نشر ثقافة السلام، ونبذ العنف والاستعلاء.

هل قرأ أحدهم ما ورد فى كتاب «إسرائيل والشعوب» للمؤلفين يعقوب كاتس وموشيه هرشكو والصادر عن وزارة المعارف والثقافة الإسرائيلية، والذى جاء فى الصفحة (١٨) فيه:

[إن العرب أفراد أو جماعات هم مجرد قبائل رحل يقيمون فى الصحراء، يعتمدون فى رزقهم على النهب والأشغال الوضيعة][2].

وفى نفس الكتاب فى ص١٩:

---

(١) د. خليل السواحرى- خليل سمعان: مرجع سابق.

(٢) د. خليل السواحرى- خليل سمعان: مرجع سابق.

[إن النبى محمدًا بذل جهداً مضنياً لمطابقة دينه مع العادات اليهودية، فقد أمر أتباعه بصوم يوم الغفران، والتوجه فى الصلاة نحو القدس، ومع كل هذا كان أبناء اليهودية يعرفون أن دينه يختلف عن دين اليهود فى كل تفاصيله، لذلك رفض اليهود التخلى عن عقيدتهم فسخروا منه بسبب ضآلة معرفته بشئون التوراة والوصايا، وعندما أدرك محمد أن اليهود لن ينجذبوا إلى عقيدته، قرر أن يفرض عليهم قبول دينه عنوة أو طردهم من المدن التى يقطنونها وحين أدرك أن اليهود لن يستجيبوا له بالانضمام إلى دينه توقف عن محاكاتهم وتقليدهم، ومن ثم تقرر توجيه المسلمين أثناء الصلاة نحو مكة، وبدلاً من أن يقوم أتباعه بصوم يوم الغفران، فرض عليهم صيام شهر رمضان، كما أن موعد صلاة الجماعة تحول من السبت إلى الجمعة][1].

وجاء فى كتاب الجغرافيا للصف الخامس، تأليف د. كيطوف وى أرنى: [وبقوة السيف أجبر العرب الشعوب المغلوبة على القبول بدين محمد فلم يكونوا ليعرفوا الشفقة فى الحرب، فقد فنيت قبائل كبيرة على أن تقبل بالدين الإسلامى].

وهكذا تروج كتبهم الأكاذيب والدعاوى المغرضة حول انتشار الإسلام بحد السيف، وتشوه صورة نبينا الكريم محمد صلى الله عليه وسلم فتصفه بالعنف والوحشية، فمن أحق بالمطالبة باحترام حرية الآخر وعقيدته!!

ولا تقتصر بالطبع عمليات التشويه والتزييف على الحقائق الدينية، لكنها تركز أيضاً على الوقائع التاريخية، فتتعمد التأكيد على حق اليهود فى فلسطين، وإنكار أى حق للشعب العربى الفلسطينى فيها.

فعلى سبيل المثال نجد كتاب د. مناحيم كيدم موجز تاريخ الصهيونية، لا يأتى على ذكر شعب فلسطين على الإطلاق، ولم يعترف بفلسطين كحيز جغرافى وتاريخى له صلة بالتاريخ الحضارى الإنسانى الذى يعود لأكثر من ٣٢٥٠ عاماً وقبلها إلى أكثر من خمسة آلاف عام، حين كانت تدعى أرض كنعان، وحين كانت مدينة القدس عاصمة لليبوسيين، وتدعى يبوس، وملكها يطلق عليه «شليم» وكلمة أروشليم (مدينة السلام) حملت اسم ملكها (ملكى صادق) ملك البر والعدل[2].

ولم يكتف مؤلف كتاب «القرن العشرون– قرن تغيير أنظمة العالم» بإنكار حق الفلسطينيين فى الوجود على أرض فلسطين، بل ذهب إلى ما هو أبعد حيث اعتبرهم مجرد طائفة[3].

---

(١) د. خليل السواحرى– خليل سمعان: مرجع سابق.

(٢) د. خليل السواحرى– خليل سمعان: مرجع سابق.

(٣) د. خليل السواحرى– خليل سمعان: مرجع سابق.

فورد فى صفحة ١٩٩ من الكتاب:

[الفلسطينيون هم طائفة عربية تشكل أغلبية فى أرض إسرائيل، فعرب أرض إسرائيل مثل العالم العربى كله، كانوا مجتمعاً تقليدياً، ومصطلح القومية لم يصل إليهم بشكل عام، لهذا لم تتطور عندهم مؤسسات قيادة أو بنية أساسية تحتية ونظام تعليمى تربوى يساهم فى بلورة الوعى القومى].

طبيعى والوضع فى المناهج الدراسية الإسرائيلية على هذا النحو أن يتم تصوير المقاومة العربية باعتبارها عملاً وحشياً بربرياً[١].

وهو بالضبط ما جاء فى العديد من كتبهم منها كتاب «القرن العشرين» والذى جاء فيه:

[إن العرب شنوا هجمات بربرية وقاموا بأعمال تخريبية ضد المستوطنات اليهودية فى الجليل الأعلى، كما تم تصوير الحركة الوطنية الفلسطينية بأنها مؤسسة قائمة على أعمال تخريبية].

ولم يسلم الجندى العربى بالطبع من السخرية والازدراء فقد وصفه (إريال بارنا فيه) فى كتابه بأنه لا هدف له سوى خدمة أسياده، ففى الجيوش العربية القادة والجنود ينتمون إلى عوالم مختلفة، الفلاح المصرى أو العراقى وجد زعماءه وأسياده فى الجيش بثياب ضابط، وعيه السياسى متدن، ظروف حياته صعبة وكرامته مداسة، فلماذا يقدم حياته فى قضية خاسرة.

ويتفنن المسئولون عن التعليم فى المدارس الإسرائيلية على تطوير الدولة العبرية على أنها ضحية، ومن ثم يتم تبرير كل ما ترتكبه من جرائم فى حق الشعب الفلسطينى.

وأحد وسائلهم فى ذلك هو إنكار الصراع حول الأرض وأطماع الصهيونية للاستيلاء عليها ونهبها، والادعاء بأن الحكومة الإسرائيلية اشترت أرضا دون أى إثبات موثق، فى محاولة لإبعاد الطالب الإسرائيلى عن مصطلح «مصادرة الأرض» حتى لا يتساءل... أرض من صودرت، ومن هم أصحابها؟ ومن الذى صادرها الدولة أو الأفراد؟[٢].

وتزخر الكتب المدرسية أيضاً بكل صور العنصرية والاستعلاء والتأكيد على أن اليهود هم شعب الله المختار، وأن سائر الشعوب غرباء[٣].

فجاء فى الكتاب المدرسى «الأرض القديمة الجديدة» [اليهود وحدهم يمنحون السعادة للعرب، لا يوجد منظر بائس وكئيب ومثير للشفقة كمنظر قرية عربية فى فلسطين فى نهاية القرن التاسع عشر].

كما ورد فى كتاب «إسرائيل فى العصور الأخيرة»:

---

(١) د. خليل السواحرى- خليل سمعان: مرجع سابق.

(٢) د. خليل السواحرى- خليل سمعان: مرجع سابق.

(٣) د. خليل السواحرى- خليل سمعان: مرجع سابق.

علـى رغـم أن المواطنين العرب أظهروا بشـكل عام إخلاصاً لإسـرائيل إلا أن اليهود لم يثقوا بالمواطنين العرب، وذلك بسبب اكتشاف حالات من التجسس فى صفوفهم لصالح الاستخبارات المصريـة والسـورية والأردنية، وهناك سـبب آخر وهو الصعوبات الناجمة عـن الفوارق التراثية والحضارية وأنماط الحياة[1].

ودأبت كتب التاريخ المدرسـية الإسرائيلية على إنكار الحقائق التاريخية المتعلقة بأحداث ٤٨ وتبعاتها الخطيرة على الفلسطينيين، فورد فى كتاب تاريخ إسرائيل.

العرب- والمقصود بهم الفلسطينيون تحولوا إلى مواطنين فى دولة أقيمت على قاعدة اقتلاعهم، ولأن الدولة أقيمت كدولة خاصة بالشعب اليهودى، فقد ظهرت مشكلة مع هذه الأقلية القومية.

أما كتب الجغرافيا فقد ركزت على لا حدودية لإسـرائيل، فحدود الوطن الإسـرائيلى مغيبة، وترى التطلع التوسـعى يحكم كافة المؤسسات والوزارات والهيئات فى إسرائيل، وتنبع خطورته من أنه يصب فى النهاية في المؤسسات التعليمية على اختلاف أنواعها ودرجاتها.

فهذه الكتب تعمل أولاً وأخيراً على غرس الإيمان بالوطن أو الأرض «اللا حدودية» وهى بذلك تقوم بدور فعال ورئيسى فى تكوين الشخصية الإسرائيلية المؤمنة بالصهيونية وأهدافها، وما تمثله مـن عقيدة قامت عليها «الدولة وانتحلت صفـة التحرر الوطنى وفقاً للأدبيات الصهيونية، بهذا الانتحال وضعت الصهيونية هدفها إعادة إقامة الدولة اليهودية للوطن اليهودى ويمتد هذا الوطن من فلسطين إلى سوريا وإلى لبنان وإلى مصر والأردن والعراق.

وهذه السموم تبثها من خلال الكتب المدرسية الإسرائيلية، ومن خلال هذه المناهج الدراسية يتم تشكيل العقلية الإسرائيلية بحيث يصبح هذا التفكير ركناً أساسياً من مركزية إسرائيل[2].

قامـت الدكتـورة صفا عبد العال بترجمة وتحليل المضمـون والتعليق على ١٦ كتاباً فى مناهج الدراسات الاجتماعية (التاريخ والجغرافيا) المقررة فى بداية الصف الثالث وحتى الصف السادس الابتدائىفى كتابها «تربية العنصرية فى المناهج الإسرائيلية».

من أخطر هذه الكتب كتاب: «أرض الوطن» جاء فيه صورة العربى مشوهة ويتم وصفه بصفات وضيعة «الثعبان، الأفعى، اللص، القذر، السفاح».

ويتضح ذلك فى الفقرات التالية:

[تعليمات للحارس المسـتجد: وفقا لقوانين الحراسة يلتزم الحارس بأن يسمع دبة النملة على الأرض، وأن يكون سلاحه على أهبة الاستعداد، وأن يسترق السمع لبيت الزواحف العربية].

---

(١) د. خليل السواحرى- خليل سمعان: مرجع سابق.

(٢) د. خليل السواحرى- خليل سمعان: مرجع سابق.

[يقاتل جماعة «الحارس» ضد الناهبين واللصوص والسفاحين والمتآمرين العرب وقاموا بتأمين الطرق، ومنذ ذلك الحين فإن الكثير من المستوطنين يعيشون بكرامة وسط الساكنين].

فهذا يربط بين سيرة العربى بالعدوان والنهب والسلب، بهدف تشويه وتقريم الشخصية العربية، ومن تجاهل سافر ومتعمد للقيم والعادات والشموخ الذى تميز به العربى على مراحل التاريخ، وفى المقابل يصف اليهود بالمدافعين عن أرضهم[1].

ووصف مؤلف كتاب «أرض الله» العرب بأنهم قتلة ويصفهم بالهمجية والبربرية.. فجاء فى إحدى فقراته:

[منذ الهياج الذى حدث عام ١٨٣٧، وتحطم السور المطوق لمدينة طبريا تفشى بين أبناء المدينة عدم الأمل والخوف من العرب القتلة].

وفى فقرة أخرى من نفس الكتاب:

[الحارس يجب أن يتمرن على نباح الكلاب، وأن يميز بين النباح المبهم أو نباح اللصوص العرب].

أما كتاب بين «أسوار القدس» المقرر على الصف الخامس فيصف العرب بأنهم شحاذون طامعون فى الحصول على الصدقات اليهودية[2] فجاء فيه.

[الجباه انشغلوا بمسألة الحلوكا أى توزيع الصدقات على العرب:

فى هذا التوقيت أرسل رئيس فرقة المدح الدينى من أبناء العرب وكثير من الفقراء المسلمين طالبين صدقة، فكان يرسل إليهم بما يسد احتياج كل منهم].

على جانب آخر تعمد الكتب المدرسية على تصوير العرب دائما بأنهم مجردُ عابرى سبيل للتأكيد على عدم أحقيتهم فى الأرض فجاء فى كتاب «الحراس الأوائل»: المقرر على الصف الرابع[3]:

[أرسلنا للشوارع أفضل حراسنا، حراس يجيدون الكر والفر ورتبنا حجرة المعيشة من أجل العرب عابرى السبيل].

لأن إسرائيل تفرط فى مزاعمها لذلك تقع أحيانا فى تناقض يفضح هذه الأكاذيب، فبينما تؤكد بعض الكتب المقررة على تلاميذ المرحلة الابتدائية على أن «اليهود اشتروا أرضهم وأقاموا عليها المستوطنات» نجد كتبا أخرى تؤكد على أن اليهود لم يستطيعوا أن يكسبوا من رزقهم من العمل بالتجارة لأنه كان نادرا، ولم تكن بها صناعة، بالإضافة إلى عدم وجود المزارعين بسبب رفض بيع الأراضى لليهود.

(١) د. خليل السواحرى- خليل سمعان: مرجع سابق.

(٢) د. خليل السواحرى- خليل سمعان: مرجع سابق.

(٣) د. خليل السواحرى- خليل سمعان: مرجع سابق.

هــذا التناقض الذى تكشــفه الدكتورة صفا فى كتابها يؤكـد إلى أى مدى تروج الدولة العبرية أكاذيبها فى غيبة ضمير عالمى مسرف فى غض النظر عن جرائمها، فى الوقت الذى يتميز بحدة النظر الثاقبة فى التعامل مع أى محاولة لفضح هذه الأكاذيب وكشف الحقائق.

لكــن يبــدو أن لا أحد يهتم كثيرا بالبحث عما تزخر به مناهج التعليم الإســرائيلية من صور التشويه والإهانة والتجريح لكل ما هو عربى، فإسرائيل دائما بعيدة عن المساءلة، وميزان العدالة الدولى مصاب دائما بالخلل ويميل دائما لصالح الدولة العبرية.

فهــل كلفت هذه الأصوات المتعالية التى توجه إلى العرب بأصابع الاتهام مطالبة إياهم بتنقية مناهجهم الدراسية من كل أشكال العنف، ودعوتهم لغرس بذور الحب والتسامح هل اطلعت هذه الأصوات عما تحويه الكتب المدرسية الإسرائيلية؟

بالطبع الكل يعلم... ولكن الكل أيضا يتعمد إخفاء الحقيقة والتستر على جرائم الدولة العبرية المحصنة دائما ضد المساءلة والعقاب.

فالأمثلة على عنصرية المناهج الإســرائيلية عديدة وواضحة وضوح الشمس، لكن يبدو أن عيون العدالة الدولية أصابها العمى.

من الابتدائى حتى الثانوى تلاحق الدولة العبرية أبنائها بمناهج تكرس العنصرية وتغرس بذور الحقد والكراهية والاستعلاء.

فى قصة «الماء والنار» المقررة على الصف الرابع الابتدائى جاء فيها أن صبيا يهوديا فى الثانية عشـرة من عمره تطوع فى حرب التحرير ووقع فى الأســر، فأخذه العرب ووضعوا فوق جســده المتفجرات وأرسلوه ليتحول جسده إلى شظايا أمام أعين المقاتلين اليهود[1].

أما قصة «المجد العظيم» المقررة على طلبة الثانوية فجاء فيها «العربى جبان يستطيع سبعة من الإسرائيليين أن يحتلوا بلده بأكمله بسهولة» وأن ثلاثين يهوديا فقط يستطيعون احتلال عكا.

والعرب لا يحبون بلادهم، لو كان عرب فلسطين أحبوا أرضهم لما كان بوسع أحد طردهم.

العربى خائن، ولا كرامة له، يتحمل الإهانات، وهو ســبب خراب أرض فلســطين، مزعج، قذر، يخشى اليهود ويكرهون الحضارة[2].

وتتوالى الســموم التى تنشــرها الدولة العبرية فى مناهجها الدراســية والتى تمتد إلى المراحل الثلاثة الابتدائية والإعدادية والثانوية، وتركز بشــكل خاص على غرس أيديولوجية الاستيطان والتوسع والضم للأراضى العربية- الفلسطينية- السورية- اللبنانية ليصبح المشروع الاستيطانى

---

(١) أسطورة التكوين- أنطوان شلحت.

(٢) أسطورة التكوين- أنطوان شلحت- المرجع السابق.

الصهيونى الهادف إلى احتلال الأراضى العربية بعد اقتلاع السكان العرب الأصليين من أراضيهم وأماكن سكناهم وإبادة وتدمير الأشكال والأنماط السكنية العربية من مدن وقرى وتجمعات للبدو العرب فى أراضيهم، بغية طمس المعالم الحضارية العربية للبلاد، وجلب المستوطنين اليهود وتوطينهم فيها، فتقوم سلطات الاحتلال الإسرائيلى وفق منهجية ثابتة تعود إلى ذلك التاريخ الاستعمارى- الاستيطانى بوضع اليد والسيطرة الفعلية على كل ثروات وخيرات وكنوز الأراضى العربية[1].

ويتضح ذلك من خلال عدد كبير من الكتب الدراسية منها «العمود الفقرى» للكاتب أبراهام فخمان والذى ركز على عدة نقاط أهمها[2]:

١- ليس هناك أرض عربية يحظر إعطاؤها أو منحها للإسرائيليين.

٢- إعادة الحقوق الشرعية للعرب والفلسطينيين وفى مقدمتها حق العودة، يجب أن يقابلها طرح المبادئ القومية الصهيونية التى تشكل القاعدة الأساسية والتبرير الفعلى لأى مشروع يهدف إلى تحقيق تسوية سياسية فى الجولان والأراضى العربية المحتلة فى الضفة والقطاع المحتلين ومدينة القدس.

٣- لإسرائيل الحق فى ضم الأراضى الحيوية التى تم احتلالها فى المعارك الحربية على اعتبار أنها حرب وقائية (دفاعية) وعلى العدو أن يدرك أنه سيخسر حتى فى حالة هجومه على هذه المناطق.

٤- المخرج الوحيد للتوصل لأى حل إقليمى يتمثل بالوضع الراهن والوضع المتجسد على الأراضى وليس بالماضى التاريخى لهذه المنطقة.

٥- الرفض الكامل من جانب الحركات الاستيطانية لأى مطالب أساسية تدعو إلى تفكيك المستوطنات وإزالتها ونقل مستوطنيها إلى مواقع أخرى، وأى تحريك أو إزاحة لأى تجميع استيطانى فى المنطقة يجب أن يتم على يد إسرائيل وانطلاقاً من معاييرها واعتباراتها.

٦- الرفض القاطع لأى اتهام لإسرائيل بأنها المسئولة عن مصير اللاجئين الفلسطينيين والتبعات والتداعيات التى تسببت بالضحايا المباشرة لحرب عام ١٩٤٨، مع التأكيد ثانية على رفض حق العودة للفلسطينيين.

٧- مصير إسرائيل لا يتوقف أو يقرر عند حدود مدينة القدس ومحيطها، لأن الحرب تشمل كل الأراضى كافة، وأن مصير إسرائيل الاستراتيجى (المدنى- والعسكرى) يرتبط بالعمود الفقرى

(١) التوجيهات العنصرية فى مناهج التعليم «خليل السواحرى».

(٢) المرجع السابق.

الشـرقى والذى يضم منطقة وادى الأردن بأسـرها مع الضفة الغربية بأكملها والجولان، ذلك أن السـكان العرب فى أرض إسـرائيل الغربية يزيد عددهم اليوم عن ثلاثة ملايين نسمة وغالبيتهم يتمركـزون علـى طول هذا العمود الفقرى الجبلى بغالبيته، إضافة إلى العرب الذين يعيشـون فى الخليـل، وفى وادى الأردن وبئر سـبع وقطاع غزة، وهذه الواجهـة الديموغرافية، لهذه المناطق باتت تشكل حزاماً ديموغرافياً خانقاً على الصعيدين السياسى والعسكرى من شأنه أن يهدد قطاع الشاطئ الإسرائيلى الذى يعتبر العمود الفقرى الغربى الضيق القصير والمعرض للأضرار[1]:

هـذه المبـادئ تترجمها الكتب بكل دقـة، والأمثلة على ذلك لا تعد ولا تحصى ففى كتاب «أسطورة التشريد الصهيونى» تدفع الطالب لكى يخوض غمار الحرب ضد العدو العربى بكل ثقة وبـكل إيمان بعدالة القضية التى يدافع عنها، من خلال ربط اليهود بأرض فلسـطين، والتأكيد على الحق المطلق لشـعب إسـرائيل فى العودة والاسـتيطان على أرض الآباء والأجداد مع إسقاط حق العرب التاريخى فيها[2].

فهناك تركيز دائم حول العربى أو البدوى أو المستأجر وليس العربى الفلسطينى، والذى تصفه كتب التعليم العبرية بأنه متخلف لا يستحق الأرض، ففى ظل إشرافه عليها لم يجر استغلالها. ولا يرجـع السـبب فى ذلك لظروف، التربة أو المناخ، وإنمـا إلى العقلية العربية ذاتها، فجاء فى كتاب «أسطورة التشريد».

ماتت الأرض، أصبحت خالية من البشر تملؤها المستنقعات وكثبان الرمال المتحركة، وفى تلك المناطق استثمر المستوطنون اليهود عملهم وجهدهم وحصافتهم وحولوها إلى مستوطنات مزدهرة.

ومـن بين الكتب التى تحاول غـرس هذه القيم «كتاب تحولات جذرية فى جغرافيا الشـرق الأوسـط الذى أقر تدريسه لطلبة المدارس الثانوية والعليا والتعليم العالى منذ عام ٤٨، وهو تأليف البروفيسـور أرنون سوفير أسـتاذ الجغرافيا والتربية الوطنية بجامعة حيفا، وأعيد طباعته للمرة الخامسة عام ١٩٩٥.

ومن بين أهم هذه القيم[3]:

١- الإيحـاء بوجوب ضم أراض ومناطق من الأقطار العربيـة إلى الدولة العبرية، فأكد المؤلف على أن ضم الأراضى العربية إلى الكيان الإسرائيلى هو إحقاق للحقوق التاريخية لليهود.

---

(١) خليل السواحرى- المرجع السابق.

(٢) أسطورة التكوين- أنطوان شلحت.

(٣) أسطورة التكوين- أنطوان شلحت.

٢- اعتبار السيطرة على مصادر المياه العربية فى الأقطار العربية المحاذية لها وضمان حصولها علـى كميـات المياه الكافية من الأنهار العربية حق مكتسـب ولا يجوز للأقطـار العربية حرمان إسرائيل منه.

٣- ترسيخ هاجس العدوان العربى لدى كل حادثة تقابل التسامح الإسرائيلى.

٤- النزعة العدوانية للعرب تولد حالة استنفار دائم لدى إسرائيل والصهيونية، وخوفاً دائماً من قيام العرب بأى عمل من شأنه القضاء على إسرائيل، لذلك فالتحفز واليقظة والحذر حالات ملازمة للإسرائيلى فى نظرته إلى العرب والإسلام وموقفه منها.

٥- شـبكات الطرق والمواصلات بين الأقطار العربية المتجاورة وتعتبرها إسـرائيل خطرا على كيانها ووسـيلة لتطوير الاقتصاد العربى، وبالتالى فهذا شـكل من أشـكال تعزيز القوة والوحدة العربية فى التصدى لإسرائيل.

٦- على العرب أن يذكروا إسـرائيل بالخير، فاحتلالهـا لبعض أقطارهم جلب لهم النعمة لا النقمة.

٧- التنامى السـكانى فى الوطن العربى يشـكل خطراً داهماً على إسرائيل، بالرغم من توقيع اتفاق السـلام بين مصر وإسـرائيل، فعلى إسـرائيل أن تكون يقظة لما يجرى فى سيناء من إقامة المشاريع الإسكانية.

٨- التركيـز على وصـف حالة التخلف والجهـل لدى الفلاح العربى فـى مصر والعراق والأردن وسـوريا ومختلف أقطار الوطن العربى، وهى محاولة مسـتمرة لتسوية صورة العربى والتحقير من شأنه.

ولأن تزييف التاريخ وتزوير الحقائق هى هوايتهم المفضلة، لذلك لم يكن غريباً أن تتفانى الدولة العبريـة فى إظهار نفسـها فى ثوب الضحية فى محاولة للتهرب مـن تبعات جرائمها وتحميل مسئوليتها للعرب.

لذلك هم يكرسون دائماً صورة الضحية الدائمة وأنهم الشعب المستهدف من خلال اللاإسامية، ومن ثم تصوير ما يقترفونه من جرائم ضد الفلسطينيين والعرب كافة منذ عام ١٩٤٧ وحتى اللحظة عـبر كل الجرائـم وأعمال الهدم والقتل والتدمير والتصفيات التـى تتم الآن، وتنفذ بدم بارد منذ اندلاع الانتفاضة الأولى عام ٨٧ وانتفاضة الأقصى بأن ما يجرى على الأرض مجرد أحداث عبارة لا ذنب لهم فيها، فمذبحة دير ياسين على سبيل المثال جاءت رداً على مضايقة وإزعاج العرب للمسـتوطنات اليهودية الواقعة غربى مدينة القدس، ومذبحة قبية عام ١٩٥٣ التى اقترفها إريل شارون جاءت رداً على التسلل الذى كان يقوم به أبناء فلسطين الذين طردوا من ديارهم عام ٤٨،

أما المســئولية فى تضخيم أخبار هذه المذبحة فهى تقع على عاتق الدعاية العربية التى ضخمت وبالغت فى وصف الجريمة لإثارة حفيظة العرب من أجل الانتقام[1].

ويسعى المؤرخون الإسرائيليون إلى تحميل الضحية مسئولية ما حل بها من نكبات، ويبرءون القاتل والمعتــدى فى تبرير مذابحهم وتوســيع مجازرهم وصولاً إلى الهدف الأبعد، وهو الترانســفير وتهويد فلسطين تحت مسميات عدة انطلاقاً من منهجية الحرب وتدمير الآخر.

والدليــل على ذلك ما ورد فى كتاب تاريخ شــعب إســرائيل فى العصــور الأخيرة- الحركة القومية- الجزء الثانى فى وصف مذبحة دير ياسين ونتائجها وفقاً للمنحى الصهيونى.

ترتبط حملة نحشون- الحملة العسكرية التى قادتها الهاجانا ضد قرى القدس- بقضية ذات قيمة عســكرية جانبية جداً، ولكن كان لها تأثيرات شعبية واسعة النطاق على الجانب العربى، وقــررت منظمتا (اتســل ولحــى) احتلال القريــة لأن القرى المحيطة بدير ياســين تركها أهلها وسكانها مسبقاً خشية البطش بهم ففى التاسع من نيسان عام ٤٨ هاجم ١٢٠ عنصراً من منظمتى (اتسل ولحى) القرية وأثناء الهجوم عليها بعد تطويقها وخلق جو مرعب فيها، قام اليهود بقتل (٢٤٥) شخصاً وتفجير منازل القرية فيما بعد فوق رءوس ساكنيها.

وركز كتاب «القرن العشــرون» لإيال بارنافيه على تهميش دور إســرائيل واليهود فى التسبب بخلق مشكلة اللاجئين الفلسطينيين وتحميل العرب أسباب مصائبهم فورد فى الكتاب.

حرب الاستقلال حرب بدأت قبل إعلان الاستقلال رسمياً يوم ١٥- ٥- ١٩٤٨ على لسان دافيد بن جوريون لدى قراءته ما يسمى (وثيقة الاستقلال) من خلال الصراع الدموى بين عرب أرض إسرائيل (فلســطين) وبين الاســتيطان العبرى، فالعرب الذين تمتعوا بالتفوق الديموغرافى والطبوغرافى معاً، قطعوا مناطق فى الجليل والنقب وحول القدس من المركز والسواحل، وهاجموا أحياء ومواقع يهودية فــى المدن المختلطة، بينما أخذت القوات اليهودية الأمور بجدية وقررت تغيير الصورة العســكرية، وهكذا فإن سكان البلاد العربية لاذوا بالفرار الجماعى وهزم العربى فى أرض إسرائيل[2].

هذا المثال يوضح إلى أى مدى يتم تشــويه الحقائق، وأن ســلاح التفوق العســكرى الصهيونى وراءه دعم بريطانى والذى تم اســتخدامه لاحتلال فلســطين وطرد الفلســطينيين تنفيذاً لبرنامج التهويد الصهيونى، فى حين افتقد الفلسطينيون للأسلحة التى وعدوا بها وجاء بعضها متأخراً، وغالبيتها فاسدة لا تصلح للاستخدام أو الصمود أمام الآلة العسكرية المتطورة[3].

---

(١) التوجيهات العنصرية فى مناهج التعليم الإسرائيلية.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

ويصـل التزييـف لأقصى حالاته عندمـا يتعرض بعض الكتاب ليس فقـط إلى إنكار حق الشـعب الفلسطينى فى أرضهم وإنما إلى إنكار وجودهم فيها من الأساس. وهو ما ذهب إليه الكاتب الإسرائيلى أمنُون حيفر فى كتابه «مواضيع مركزية فى تاريخ الشعب والدولة» والذى جاء فى أحد فصوله والذى يحمل عنوان كيف تجيب عن السـؤال بصدد حقوقنا التاريخية على الأرض:

[إن كل الأقوال بخصوص الحقوق التاريخية التى يدور حولها التقاسـم مع العرب ما هى إلا تزييـف للحقيقة وناجمة عن قلة الفهم وصحة المعرفة والدراية بتاريخ الاسـتيطان اليهودى على أرض إسـرائيل، فليس صحيحاً أنه عندما أتينا هنا وجدنا البلاد مسـتوطنة من قبل شعب آخر أقام لعدة مئات من السنين.

فالحقيقة أننا عندما آتينا لم نلق أى شعب، وبشكل أكيد لم نلق أى شعب أقام مئات السنين، فلم يقم العرب فى أرض إسـرائيل البتة ولم ينشـئوا حكماً محلياً ولم يبنوا ثقافة أو لغة أو قومية متميزة][1].

وفى سطور أخرى من نفس الكتاب:

[لقد حفرنا الآبار أما أعداؤنا فليس بمقدورهم إلا ردم الآبار وزيادة الفقر.

أما الترانسـفير أو عمليات التهجير القسـرى فتبرره الكتب المدرسية الإسرائيلية بسبب تدهور الحالة الاجتماعية لدى الفلسطينيين وتدنى مستوى الثقافة لدى الجنود العرب، فى حين كانت القوات الإسرائيلية تتمتع بتفوق عسكرى][2].

وهذه الكتب دأبت على إنكار قضية اللاجئين الفلسـطينيين ومسـألة الشتات، وذلك للتهرب من الاعتراف بحق الشعب الفلسطينى فى أرضه ووطنه.

إلى جانـب ذلك تعمد مناهج التعليم الإسـرائيلية إلى التأكيد علـى التطور الحضارى اليهودى مقابل الخراب والتخلف العربى، مع تغريب العالم العربى وشـعوبه عن فلسـطين، حيث تركز على أن المنطقة التى تقع فيها فلسطين التى يطلق عليها مصطلح (أرض إسرائيل) فينسبها لليهود معتبراً الأفكار العربية المحيطة بفلسـطين دولاً أجنبية غريبة، كما اعتبروا أن فلسطين والجولان خاضعتان لمناخ إسرائيل فى حدودها ولا تأثير للعوامل الجوية للأقطار العربية فى مناخ فلسطين وكأن فلسطين تقع فى إقليم آخر[3].

---

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

ولا يفتهم بالطبع التأكيد على فضل اليهود منذ القدم على إعمار فلسطين أو إقامة المستوطنات فيبررون التوسع باعتباره الأسلوب الأمثل للرد على الغزاة الفلسطينيين والعرب- على حد زعمهم.

فجاءت كتبهم لتؤكد أن أرض إسرائيل لم تكن بمثل هذه الوضعية إلا على أيدى الشعب اليهودى أما فى أيدى الآخرين، فكانت مجرد منطقة أو قطاع، ولم يكن لها وجه تاريخى إلا على أيدينا.

يبدو واضحاً أن الهدف الأساسى لتلك المناهج هو التأكيد على إنكار الوجود العربى وعلى أحقية اليهود فقط فى أرض فلسطين تعزيزاً للمقولة الصهيونية أرض بلا شعب، لشعب بلا أرض.

وتولى المناهج التعليمية فى إسرائيل اهتماماً كبيراً بالقدس وتؤكد على ارتباطها الأصيل بالتاريخ اليهودى فى محاولة لنفى عروبتها وتهويدها.

من بين الكتب المدرسية التى تعضض هذا الاتجاه ما جاء فى كتاب «القدس مركز ثقافى ومركز روحانى للشعب اليهودى» المقرر على الصف الثالث الابتدائى[1].

والذى جاء فيه [كل أورشليم المدينة المقدسة- عاصمة أبدية لإسرائيل كل حجر من أحجار أورشليم يروى قصصاً لسنوات وأجيال، بكل حجر نقوش تاريخية- الترقب، للنكبات، للسلام، للحرب وللنفى].

وجاء فى نفس الكتاب [أورشليم مدينة مقدسة، عاصمة إسرائيل الأبدية أورشليم ليست فقط نقطة على خريطة العالم، أورشليم فكرة ورمز، رمز للحياة وانتصارات الشعب اليهودى][2].

أما كتاب «القدس لى ولك» فأكد على أن أورشليم القبلة المقدسة لليهود فجاء فيه [عندما يصلى اليهود تتجه أجسادهم نحو أورشليم: التابوت المقدس فى كل كنائس إسرائيل ويتجهون نحو جدارها وأيضاً يتجهون نحو أورشليم][3].

لذلك تعد القدس من وجهة نظرهم وهو ما يتم تكريسه فى مناهجهم الدراسية عاصمة للدولة وهو ما يعد أمراً بدهياً.

يتضح ذلك فى سطور كتاب «القدس عاصمة الدولة»:

[أورشليم العاصمة بدهياً... يوجد فى أورشليم مؤسسات الحكم الخاصة بدولة إسرائيل المتضمنة مؤسسات اجتماعية ومؤسسات إدارية، وكذلك مؤسسات تعليم- ثقافة- خدمات.. إلخ].

---

(١) تربية العنصرية فى المناهج الإسرائيلية.

(٢) تربية العنصرية- مرجع سابق.

(٣) تربية العنصرية- مرجع سابق.

وأكد كتاب «القدس مركز ثقافى وروحانى للشعب اليهودى» المقرر فى المدارس الابتدائية على أن أورشـليم ليسـت فقط المدينة الكبيرة فى إسرائيل والمركز الاقتصادى المهم للغاية المتمركزة فى وسط الدولة، ولكن تنبع أهميتها العظيمة من أنها اختيرت عاصمة لدولة إسرائيل والمركز العالمى للشعب اليهودى.

أما نتيجة كل هذه المزاعم والأساطير فهى خلق أجيال عقيدتها العنصرية، فجرى فى دمائها نيران الحقد والكراهية.

أكـبر دليـل على ذلك جاء من خلال اسـتطلاع رأى أجراه الخبير التربوى الإسـرائيلى إدير كوهين– أستاذ التربية بجامعة حيفا على صفوف السنوات الرابعة والخامسة والسادسة بمدارس حيفا حول تداعيات سماع كلمة عربى وتوصل فيه النتائج التالية[1]:

١– أن مسـتوى الخوف من العربى عالٍ، ووصفه أغلبية الأطفال بأنه خاطف الأولاد، قاتل، مخرب، مجرم، يعيش فى الصحراء، راعى بقر ذو سحنة مخيفة، فى وجهة ندبة، قذر، نتن، تنبعث منه رائحة كريهة.

٢– تجريد شخصية العربى تجريداً سلبياً أى قولبته فى صورة معينة.

٣– الجهـل التام بين أوسـاط الطلاب اليهود لشـكل العربى وهيئتـه وهندامه وتاريخه وعاداتـه فبعـض الطلاب قال: إن العرب أصحاب شـعر أخضر، بينمـا أكد البعض الآخر «العرب لهم ذيول».

٤– ٩٠ ٪ مـن الطـلاب أنكـروا حقه فـى البلاد وآمنـوا بأنه ينبغـى قتلهم أو شـنقهم أو ترحيلهم.

٥– قلة من الطلبة حاولوا شرح أسباب النزاع مع العرب بقدر مناسب من التفصيل بينما اكتفى الباقون بجمل مقتضبة ومبتسـرة من سـياق التاريخ منها: إنهم ينوون قتلنا وتشريدنا من البلاد، واحتلال مدننا وقذفنا إلى البحر.

٦– غالبية الطلاب الذين يرغبون فى السـلام يرون أن السـلام يعنى تسـليم العرب بالسيادة الإسرائيلية على أرض إسرائيل الكاملة، بما فى ذلك الضفة الغربية (قطاع غزة)[2].

إلى هـذا الحـد بلغ تغلغل الأفكار الصهيونية العنصرية فى عقلية طلبة المدارس فى إسـرائيل، ويتضح ذلك بشكل أكبر حول إجابتهم عن السؤال الخاص بالتداعيات التى يثيرها مجرد الاستماع إلى كلمة عربى وهو أحد الأسئلة التى تضمنها الاستطلاع الذى قام به البروفيسور كوهين.

---

(١) تربية العنصرية– مرجع سابق.

(٢) أنطوان شلحت– عنصرية التكوين.

[فرد أحد الطلبة بقوله: مجرم- وسخ- نتن- راعي بقر- مختطف- لص- غريب- فلاح- عامل بناء].

وكتب آخر: سحنته غريبة- عصبي المزاج- حاد- ذو شعر أخضر- شرير- مخبول ومتشرد.

وكتب ثالث: إنه عدو، خنزير، لص، مخبول، جلده غامق.

وكتب رابع: يجب أن نقتلهم وأن نجلسهم على كرسي كهربائي وأن نعلقهم على أعواد المشانق وأن نطردهم من البلاد- أنا كهانا[1].

وحول السؤال الخاص بكتابة قصة أو وصف أو موضوع إنشاء عن لقاء مع عربي كتب أحد الطلاب ما يلي:

صعدت إلى الباص.. جلست. صعد إليه عربي، وجلس بمحاذاتي، فكرت فوراً أنه يجدر بي أن أنتقل إلى مقعد آخر، انتقلت، وانتقل العربي إلى المقعد ذاته، وفكرت أنه يخطط ضدي شيئاً ما، اهتم العربي بالنزول لكن السائق منعه وقام باستدعاء البوليس الذي ساقه إلى السجن، وكتب طالب آخر عندما سافرت إلى القدس جلس بمحاذاتي صبي عربي كان ينتعل حذاء ممزقاً ويرتدي ملابس رثة وكان لونه أسود وتنبعث منه رائحة كريهة، فقمت من جواره لأنني لا أريد أن أجلس بمحاذاته.

وكتب ثالث: سافرت في الباص وفجأة جلس بمحاذاتي صبي عربي هممت أن أقوم فقال إنه سيمسني بسوء، رأيت أن بحوزته سكيناً حاداً، فجأة وقفت على قدمي، فأخرج الصبي العربي السكين وحاول أن يقتلني، أسقطته أرضاً وأخذت السكين وفجأة لمحت شيئاً مشبوهاً، فنقلت الأمر إلى السائق الذي اتصل فوراً بالبوليس، وجاء البوليس فطلبت منه أن يحقق مع الصبي العربي. وفي التحقيق كشف العربي عن مكان سكناه وقام البوليس بسجنه وأفراد عائلته لمدة عشر سنوات ثم أخلي سبيله[2].

الخوف والاحتقار والتعالي هي حصيلة ما زرعته المناهج العنصرية في نفوس الطلبة الإسرائيليين، ينظرون دائماً للعرب على أنهم إرهابيون قتلة أقل تحضراً أو أكثر فقراً وتخلفاً.

أما أخطر الأفكار المتطرفة التي كشف عنها الاستطلاع فهو الموقف من السلام حيث كتبت إحدى الطالبات رداً على السؤال الخاص به «حسب رأيي يستحيل أن نتوصل إلى سلام لأن العرب يكرهون اليهود».

---

(١) أنطوان شلحت- عنصرية التكوين- المرجع السابق.

(٢) أنطوان شلحت- عنصرية التكوين- المرجع السابق.

والملفت للنظر أن ١٠٪ فقط من الطلاب قالوا إنهم يريدون السلام، لكنهم استنكفوا عن تفصيل شروطه ومواصفاته وإمكانات تحقيقه.

أما الرأى المناقض لذلك فهو ما عبر عنه أحد الطلاب بقوله:

حسب رأيي يجب طرد العرب من البلاد إذا استمروا في سفك دماء اليهود لمجرد كونهم يهوداً، يجب طرد عائلة العربى ومن ثم طرد قريته برمتها، العرب هم بغالبيتهم كارهون لنا ولا نستطيع التوصل إلى سلام معهم لأنهم يعتقدون أننا أخذنا أرضهم، أعتقد أنه يجب نقلهم إلى أية دولة ممكنة، لأن لهم عدة دول عربية ولنا فقط دولة واحدة.

الحل إذن من وجهة نظر طلابهم هو القضاء على العربى، بقتله أو شنقه أو فى أفضل الأحوال ترحيله، المذابح والجرائم والإبادة تصبح إذن مقبولة ومبررة ولا يستهجنها حتى طلاب مدارسهم، وفلسطين تصبح من وجهة نظرهم هى أرض يهودية لا حق للعرب فيها، لذلك يصبح من الطبيعى خروجهم منها، والحياة فى البلدان العربية الأخرى، فالفلسطينيون أمامهم بلاد عربية شتى، أما اليهود فلا وطن لهم إلا إسرائيل، هكذا يلقنون الطلاب فى إسرائيل- لتصبح أفكار كاهانا المتطرفة مقبولة فى عرف أبنائهم الذين يغرسون فى عقولهم العنصرية ويلقنونهم دروسا دائمة فى كيفية كره العرب.

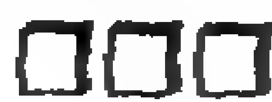
وباعتراف البروفيسور اليهودى كوهين والذى جاء فى نهاية الاستطلاع يقول فيه: «إن الواقع الذى أظهره يحبطه، ويؤكد عجز الأساليب التربوية المتبعة فى المدارس اليهودية على أن تشكل بديلاً إنسانياً لهذا الأدب الفاسق- العنصرى- والذى يفرض على الأطفال اليهود واقعاً تربوياً يتربون فى ظله دون عيشهم طفولة ساذجة بريئة، فضلاً عن أنه ينمى فى نفوسهم مشاعر القلق والتوتر والخوف من المستقبل»[1].

من يحتاج منا إذن إلى تنقية مناهجه وكتبه الدراسية؟!

وهل ما تطرحه كتب التعليم الإسرائيلية تتفق وثقافة السلام المزعومة؟!

هل تحترم الآخر وتقدر خصوصيته؟ هل تعترف بحقوقه بل وحتى آدميته؟ هل تدعو لنبذ الحقد والكراهية؟

الإجابة واضحة يفضحها واقع مؤلم قائم على استباحة الجرائم واغتصاب الحقوق العربية بالترويج لافتراءات وأكاذيب صهيونية تتفنن فى تزييف الحقائق وتحويل الجلاد إلى ضحية!!



(١) أنطوان شلحت- عنصرية التكوين- المرجع السابق.

الفصل الثالث

المدارس الإسرائيلية معامل تفريخ التطرف والعنف

لأنهـا دولـة لقيطة لم تكن ولادتها شـرعية تحـول الهاجس الأمنى فيها لإحدى السـمات الأساسية المميزة لطبيعتها لتصبح الخدمة العسكرية ملزمة لجميع أفرادها.

تبدأ من الثامنة عشـرة وحتى الحادية والعشـرين، وهى خدمة إلزامية على كل فرد هناك، بعدهـا تتحـول الخدمة إلى احتياطية لمدة ٤٠ يوماً فى السـنة، ويسـتمر هذا الوضع حتى سـن الخامسة والثلاثين لتنخفض مدة الخدمة بعد هذه السن إلى شهر فقط فى السنة حتى يصل الفرد إلى سـن الخامسـة والخمسين، معنى ذلك أن الخدمة العسـكرية هى واجب على كل فرد طيلة عمره. حتى النسـاء فى إسـرائيل لا يتم اسـتثناؤهن من أدائها، وإن اختلفت بالطبع المدة التى يقضينها حيث تقتصر مدة الخدمة العسـكرية على عامين فقط للنسـاء، أما الخدمة الاحتياطية فهى اختيارية وتتوقف بعد مجىء الطفل الأول.

فالأمن فى إسـرائيل تحول إلى دين لها، فالسـمة الأساسـية للكيان الصهيونى إنها جماعة مذعـورة تعانى عقدة الخوف من الأغراب، وعقدة الخوف من الإبادة، لتصبح مسـألة اسـتمرار الوجود أو الأمن القيمة الأسمى، وتحتل أعلى درجة من سلم الأولويات[1].

وكان الاسـتنتاج الذى توصل إليه قادة الحركة الصهيونية هو أن الصراع بين العرب ودولة إسـرائيل هـو صراع وجـود وليس صراع على حـدود أو أرض أو مواد طبيعيـة من هنا كانت الاسـتراتيجية التى اعتمدها الصهاينة من أجل تحقيق الحسم فى هذا الصراع هو القوة. والقوة فقـط القائمـة على المنعة العسـكرية. الأمر الذى أدى إلى سـيادة الطابع العسـكرى للمجتمع الإسـرائيلى برمته لدرجة دعت رئيس وزراء إسـرائيل دفيد بن جوريون للقول: إن إسـرائيل عبارة عن مجتمع للمحاربين.

وهو ما يؤكد على مظاهر تأثير العسكرة على المجتمع الإسرائيلى. فهذا المجتمع الذى يقدس القـوة لا يحـترم إلا القيم التى تعكسـها. من هنا فإن المجتمع الإسـرائيلى يمر بعملية عسـكرة

---

(١) حمد الوعد- تعليم الحقد قراءة فى تشكيل العقل الصهيونى

متواصلة، فالساسة هم جنرالات متقاعدون ومدراء المؤسسات الاقتصادية، هم من خريجي الجيش والصحف ووسائل الإعلام تبحث عن معلقين من كبار الضباط المتقاعدين[1].

وضمن هذه العملية تمت عسكرة التعليم أيضاً فى الدولة العبرية، وهو كما تقول الباحثة والكاتبة الصحفية الإسرائيلية إرناكازين فإن من يطلع على مناهج التعليم فى المدارس الإسرائيلية فى جميع المراحل لابد أن يلفت انتباهه التوجه القائم عن التنشئة التربوية القائمة على روح العسكرة والتطوع فى الجيش وإعداد الطفل ليصبح مقاتلاً[2].

وسارت هذه الروح منذ قيام إسرائيل عام ١٩٤٨ وتغلغلت فى جميع الأجهزة الرسمية وغير الرسمية الإسرائيلية ضمن محاولة لخلق «الإسرائيلى الجديد» الإسرائيلى اليهودى الذى خرج منتصراً ضد سبعة جيوش عربية وأقام دولة، بعد ألف عام كما يحلو لواضعى فلسفة التعليم الإسرائيلى أن يكرسوا ذلك فى أذهان الأطفال والشبيبة وإلى غير ذلك من المزاعم الأسطورية. وتعززت هذه الروح بعد حرب ٦٧. وتجسدت عملية عسكرة التعليم فى الدولة العبرية فى مظاهرات ثلاث أساسية:

أولاً: زرع مفاهيم العسكرة والخوف فى نفوس الطلاب.

ثانياً: تكليف العسكر بإدارة مؤسسات التعليم وممارسة مهنة التعليم بأنفسهم.

ثالثاً: ظهور المدارس الدينية العسكرية والتى تعتبر أخطر مظاهر عسكرة التعليم الإسرائيلى. لأن الطلاب هناك تتم تربيتهم على العسكرة وعلى التطرف الدينى فى صورة الأكثر سوداوية[3].

وتكرس المناهج الدراسية أهدافها لتنشئة التلاميذ على الروح العسكرية وإعداد الأطفال ليصبحوا مقاتلين، بالحرص الدائم على غرس روح العداء فيهم إلى الآخر– خاصة العرب– وغرس الإحساس بالتفرد والفوقية– وفى المقابل التحقير من الآخر واعتبارهم فى مرتبة أدنى من اليهود.

وتتبع الدولة العبرية أساليب عدة لتحقيق هذا الهدف وتعتمد على التشويق والجذب لتصل إلى هدفها بسهولة خاصة وهى تتعامل مع المراحل السنية المختلفة لتلاميذها.

على سبيل المثال أثناء الاحتفالات بيوم الاستقلال التى تقام تزين الدبابات ويتركون لطلاب المدارس حرية الحركة من الصعود إليها، أما الروضات فيتم تزيينها بالأعلام، ولا يفوتهم فى هذه المناسبة أيضاً زرع بذور الكراهية وتكريس العداء إلى الآخر، ويتم ذلك باعتراف الباحثة الإسرائيلية– مركز التربية النقدية– ففى عيد الأنوار يصور الإغريق على أنهم أشرار، واليهود على أنهم طيبون، أما فى عيد الفصح فيصور الفراعنة بأنهم أشرار، ويظهر اليهود بالطبع على أنهم الطيبون.

---

(١) صالح نعيمى– عسكرة التعليم فى إسرائيل، مظاهر وتداعيات.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

تسخر أيضاً إسرائيل رحلات طلابها المدرسية لتنمية الروح العسكرية، حيث تنظم الرحلات بانتظـام إلى مواقـع المعارك، وتنظم رحلات لطلاب الثانوية لمشـاهدة تمارين عسـكرية تتم فى المعسكرات، ويقوم الطلاب بإرسال الهدايا للجنود.

ولا يفتهم أيضاً تنظيم الرحلات إلى بولندا لزيارة معسكرات اعتقال اليهود حتى يشب الطلاب وقد رسخت فى أذهانهم ذاكرة الاضطهاد فى أذهانهم.

وتزخر ردهات المدارس بالإعلانات التى تدعو الطلاب للتجنيد فى وحدات الجيش المختلفة، بينما تستضيف المدارس الجنود للتسويق لوحداتهم.

وهكذا تتم عسـكرة المدارس ليصبح التعايش مع هاجس الحرب جزءاً من الحياة الإسرائيلية، وحقيقة وجودية أو كابوسـاً وجودياً لا مفر منه- على حد تعبير عالمة النفس الإسـرائيلية عاميا ليبليخ والتى ترى أن المجتمع الإسـرائيلى تحول إلى ثكنة عسـكرية تعطى للقيم العسكرية وعلى رأسها النزعة العدوانية المقام الأول بحيث يكون العربى دائماً هو العدو اللدود.

وهناك خلط واضح بين المؤسسات التعليمية والعسكرية، أما الهدف من وراء ذلك فهو بث روح الفزع من الجيران، ويتم تكريس هذا الإحساس من خلال التركيز على ما يطلقون عليه الماسادا، وهـى قلعـة تقع على صخرة يقال: إن بعض المقاتلين اليهود لجئوا إليها وحصارهم الرومان فيها عـام ٦٦م وأجبروهـم على الانتحار[1]، لتصبح الماسـادا هى رمز الاضطهـاد الذى تحوله الدولة العبرية على عقدة تصر على غرسها وتأبى على أحد الإفلات من الإصابة بها. وفى سبيل تحقيق ذلك تركز بشـكل خاص على معاناة اليهود فى المحارق النازية المعروفة بالهولوكسـت لتعميق الإحساس الدائم بالخطر والخوف من التعرض للإبادة فى أى لحظة.

يفعلون ذلك من منطلق الإيمان بمبدأ أن تلميذ اليوم هو جندى الغد، لتتحول إسرائيل إلى جيش له دولة وليس العكس وتصبح الدولة العبرية مجتمعاً عسكرياً من رأسه إلى أخمص قدميه[2].

ويعتـبر الجيش واحدا من أكبر المؤسسـات التعليمية نظراً للعدد الكبـير من المدارس والمعاهد والكليات العسـكرية التابعة له، هذا بالإضافة إلى مؤسسـات تعليمية أخرى يشرف عليها ضباط خدموا بالجيش. وتضمن هذه المؤسسـة للعسـكريين إمكانية الحصول على الشـهادة الثانوية من خـلال الجيش، وهناك بعـض البرامج التعليمية المخصصة لبعـض الفئات التى تخدم الجيش، ويعمل الجنود كمعلمين فى المدارس الموجودة بالمستوطنات الحدودية[3].

---

(١) عبد القادر ياسين- آخر ساعة- بحث التربية العسكرية فى المناهج الإسرائيلية.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

وتعتبر الخدمة العسكرية أكبر تجربة حياتية يعرفها الإسرائيلي، حيث يمضي ما بين الثامنة عشـرة وحتى الحادية والعشـرين في الخدمة الإلزامية، خلال هذه الفـترة يتلقى كمًّا هائلا من المقولات الدينية الأمنية، منها على سـبيل المثال أن إسـرائيل تعيش في حالة صراع طويلة حول شرعية الوجود وأن ثمة تهديدا فعليا لتدميرها.

ويتلقـى الطالب في مقاعد الدراسـة مفاهيم تربوية عنصرية مسـتمدة من التـوراة ومن الفكر الصهيونـي حيث يتم توظيف ذلك لتوجيـه الحقد تجاه العرب باعتبارهم مصدر الخطر المحدق في إسرائيل.

وتقف المؤسسة الدينية وراء الجيش وتضع على عاتقها مهمة غسل عقول أفراد المجتمع وغرس أفكار الحقد، وتقوم فلسفة التربية في إسرائيل على تطبيق الإيديولوجية الصهيونية وغرسها في عقول المتعلمين، وفي نفس الوقت تبرر النزعة العدوانية وضرورة اقتلاع العرب من جذورهم.

مـن هنا كانت الامتيازات الممنوحة للمدارس الدينية، منها الاعتراف بمؤسسـات ومدارس التلمود من قبل وزارة التربية وإعفاء مدارس التبشـير الديني ومسـاواة طلاب المدارس الدينية مع غيرهم.

مـن ناحية أخرى نجـد أن وزارة التربية هي مطمع دائم تتنافـس كل الأحزاب– وبالأخص المتطرفـة– منها للحصـول عليها، والملاحظ أن ثلث مدارس إسـرائيل تديرهـا وزارة الأديان، وتخصص هذه المدارس ٢٧٢ ساعة سنوياً للتدريب العسكري الذي يتلقاه الطلاب فيها.

ومـن الضبـاط من تولـوا وظائف مرموقة في جهـاز التعليم بدون أي إعـداد تربوي مثل خلودائـي– الـذي تولى رئاسـة بلديـة تل أبيب والذي سـبق لـه أن كان مديراً لمدرسـة حمناسياهرتسليا ودرور الوني.

وبعض الضباط الذين تولوا مناصب مرموقة في جهاز التعليم وكان لهم سجل إجرامي واضح ضد أبناء الشـعب الفلسـطيني مثل العقيد إيلان باتسـمان الذي كان حاكماً عسـكرياً لكل من رام الله وجنين. واللافت للنظر والمثير للاسـتهجان أن القائمين على جهاز التعليم في إسرائيل يعلنون أنهم لا يسـتعينون بخدمات الضباط في التدريس لأغراض تربوية وتعليمية بل لتكريس قيم العسكرة لدى الطلاب[1].

وهـو ما اعترف به صراحة حوطي سـاجي مدير مشـروع برنامج إعداد الضبـاط في جهاز التعليم الإسرائيلي يقول مدافعاً عن الاستعانة بالضباط في التدريس قائلاً: لدينا في جهاز التعليم لا يبحثون عن معلمين مهنيين، بل قياديين فضباط الجيش المتقاعدون يتمتعون بميزات خاصة وقدرات ضخمة.

(١) صالح النعامي– المرجع السابق.

ويتحدث عن مزايا الضباط كمدرسين: هؤلاء الضباط في عيونهم بريق وإحساس بأداء الرسالة «ويضيف» يقف أمام الطلاب رجل برتبة عسكرية بشخصيته القوية فيحقق نجاحاً كبيراً.

وتفسر الدكتورة سيفال بن بوران أساتذة التربية في جامعة حيفا ميل جهاز التعليم الاستعانة بخريجي الجيش بقولها: أن تكون مواطناً جيداً في إسرائيل يعني أن تخدم في الجيش وتندمج في سوق العمل، وتضيف أن مصطلح المواطنة الجيدة يخلو تماماً من المضامين الديمقراطية والإنسانية وتستنكر أن جهاز التعليم في الدول الديمقراطية يجب أن ينمي مواطنين، وليس جنوداً ولا عمال[1].

وينطبق ذلك أيضا على المدارس الدينية ففي أواخر السبعينات توصلت المرجعيات الروحية للتيار الديني الصهيوني إلى اتفاق مع هيئة أركان الجيش الإسرائيلي تم الاتفاق بموجبه على أن تتولى المدارس الدينية التابعة لهذا التيار مهمة إعداد الشباب الذين ينتمون لتيار الصهيونية الدينية لمرحلة الجيش، بحيث يتولى الحاخامات الذين يشرفون على هذه المدارس محاولة حث الشباب للتطوع للخدمة في الوحدات المفككة والمختارة في الجيش وذلك عبر زرع قيم التضحية من أجل الوطن وغيرها من القيم في نفوس هؤلاء الطلاب إلى جانب إعدادهم بشكل مهني لمرحلة الجيش بحيث يتم إعداد هؤلاء الطلاب عسكرياً عن طريق ضباط يقوم الجيش بإرسالهم إلى هذه المدرسة ليتولوا تدريب الطلاب على استخدام السلاح وبعض التدريبات العسكرية داخل إطار المدرسة.

ويتولى الجيش دفع مستحقات التعليم في هذه المدارس إلى جانب دفع رواتب إلى الحاخامات الذين يتولون التدريس فيها لكن الجيش في نفس الوقت لا يتدخل في مناهج التعليم غير العسكرية، حيث يحظى الحاخام الذي يدير المدرسة بحرية عمل كاملة. فنظام التعليم فيها مستقل تماماً وتتحكم فيه المرجعيات الروحية والتيار الديني الصهيوني دون أي قدر من الرقابة على مضامين مناهج التعليم فيه. إلى جانب مظاهر العسكرة الصارخة التي تقوم عليها هذه المدارس فإن الطلاب فيها يتلقون تعليماً دينياً بالغ التطرف ويقوم على العنصرية وكراهية الآخر بشكل فج. ويكفي أن نعرف أن معظم هذه المدارس تقع إما في المستوطنات، وإما في القدس المحتلة ويشرف عليها مدراء من أكثر الحاخامات تطرفاً. وإلى جانب العسكرية فإن هذه المدارس تربي طلابها بصراحة على رفض القيم الديمقراطية[2].

يقضي هؤلاء ثمانية عشر شهراً في هذه المدارس يمارسون خلالها تعليمهم الديني في نفس الوقت يؤدون الخدمة العسكرية مع العلم أنه بعد تخرجهم فيها يقضون ثلاثين شهراً إضافية في الخدمة العسكرية.

---

(١) صالح النعامي- المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

ويبلغ عدد هذه المدارس ٤٢ مدرسة والشعار الذى ترفعه هذه المدارس أن الخدمة العسكرية والروح القتالية هى مهمة جماعية يفرضها الدين بهدف قيادة المشروع الصهيونى، من هنا كان كل طالب فى هذه المدارس لا ينظر خلال تأدية الخدمة العسكرية أنه يؤدى خدمة إجبارية تنتهى بعد ثلاث سنوات بل إنها بوابة واسعة لممارسة التأثير على مستقبل الدولة وعلى عملية صنع القرار فيها(١).

واللافت للنظر أن معظم المدراء والمعلمين فى المدارس الدينية العسكرية هم من الحاخامات، وبعضهم يعتبر مراجع هامة للإفتاء. وفتاوى هؤلاء يتم تدريسها فى هذه المدارس للطلاب، ويتم التعامل معها بقدسية الكتب المقدسة.

وفى المدارس الدينية العسكرية يتم تدريس عدد كبير من الفتاوى التى تعمل على تكريس ثقافة الكراهية وتدفع الشباب اليهودى إلى تبنى مواقف عنصرية من العرب والمسلمين، وتمهد لارتكاب المجازر ضد الفلسطينيين . ومن أخطر هذه الفتاوى التى يتم تلقينها لطلاب المدارس الدينية العسكرية الفتاوى التى يصدرها الحاخام موردخاى إلياهو- الحاخام الأكبر السابق للدولة العبرية- وأهم مرجعية دينية للصهاينة المتدينين، وتتحول فتاوى هذا الحاخام إلى مادة دراسية وعلمية يتنافس المدرسون من الحاخامات لتدريسها، وقد أصدر هذا الحاخام فتوى تدعو إلى إبادة الفلسطينيين بشكل كامل.

مردخاى قال فى فتوى تم تعميمها فى جميع المدارس الدينية العسكرية: إنه يتوجب قتل جميع الفلسطينيين حتى أولئك الذين لا يشاركون فى القتال ضد الاحتلال.

لم يكتف بذلك بل اعتبر أن هذه ليست مجرد فتوى بل فريضة من الرب يتوجب على اليهود تنفيذها. بعد أسبوع واحد من هذه الفتوى قام الحاخام (إليعازر ملميد) مدير المدرسة الدينية العسكرية فى إحدى المستوطنات بإصدار فتوى تبيح لطلاب مدرسته سرقة محاصيل المزارعين الفلسطينيين على اعتبار أنها جزء من الأغيار الذين يجوز لليهود استباحة ممتلكاتهم، وبالفعل تم تطبيق فتوى الحاخام، فقام تلاميذه بنهب المحاصيل الزراعية الفلسطينية شمال الضفة(٢).

أما الحاخام دوف لينور فقد حظر فيها تبرع اليهود بأعضائهم للأغيار لكنه أباح لهم عند الضرورة تلقى التبرعات مماثلة من أولئك الأغيار وأمام احتجاج رابطة تبرع الأعضاء فى إسرائيل غيَّر الحاخام فتواه قليلاً بحيث أباح لليهودى أن يتبرع بعضو لشخص يحتاج فى حالة الضرورة وقال: إن اليهود إذا ما امتنعوا عن التبرع للأغيار. فإن هؤلاء الأخيرين لن يعطوهم شيئاً

---

(١) صالح النعامى- المرجع السابق

(٢) صالح النعمانى- دراسة عسكرة التعليم فى إسرائيل- مظاهر وتداعيات- المركز الفلسطينى الإسرائيلى.

بالتالى– وهذا قد يســـهم فى الإضرار باليهودى الــذى قد يحتاج إلى الحصول على عضوية بديل ينقذ به حياته ومن ثم اعتبر أن السماح بتبرع اليهودى لأى واحد من الأغنياء هو فى حقيقة الأمر احتياط هدفه تحقيق مصلحة اليهودى فى أى فترة لاحقة غداً أو بعد غد[1].

كما أصدر دوف ليتوف الحاخام الأكبر لمستوطنة كريات أربع شمال مدينة الخليل ورئيس مجلس المستوطنات فى الضفة الغربية والذى يدير مدرسة دينية أصدر فتوى تبيح للمستوطنين تسميم مواشى ودواب وآبار المياه التى يملكها المزارعون الفلسطينيون، ولم يتردد طلاب مدرسته فى تنفيذ الفتوى، فلا يكاد يمضى يوم واحد فى الفترة التى تلت إصدار الفتوى دون أن يستيقظ سكان البلدات المجاورة للمســتوطنة ويجدون الكثير من دوابهم تنفق بفعل الســموم التى يرشــها الطلاب على المراعى وفى عام ٢٠٠٥ وجه كبار الحاخامات اليهود رسالة تتضمن فتوى دينية إلى رئيس الحكومة الإسرائيلية الســابق إرئيل شارون حثوه فيها على عدم التردد فى المس بالمدنيين الفلسطينيين خلال المواجهات المندلعة فى الأراضى المحتلة، ووقع على الفتوى حاخامات مســئولة عن المدارس الدينية، الخطير أن هذه الفتوى تم تدريسها على طلاب المدارس الدينية فى جميع أنحاء الدولة العبرية[2].

ومــن أكثر المــواد العنصرية التى تدرس فى المدارس الدينية تلــك الفتاوى التى يطلقها الزعيم الروحى لحزب شــاس عورقايحا يوســف ومنها قوله «عندما يأتى المسيح المنقذ فإنه سيرسل كل العرب إلى جهنم».

ويقبــل طلاب المــدارس الدينية أيضاً على الاطلاع على كتب دينية ذات طابع عنصرى مقيت منها الكتاب الذى أصدره الحاخام إسحاق جينزبرج وعنوانه: «باروخ البطل» تخليداً لاسم باروخ جولد شتاين الذى نفذ مجزرة الحرم الإبراهيمى عام ٩٤، ويعتبر هذا الحاخام أن جولد شتاين قد قام بعمل «جليل ومجيد» وهكذا، فإن جميع طلاب المدارس الدينية يتربون على أن جولد شتاين هو فى مدينة القديسين وجعلوا من قبره مزاراً يتبركون به.

تكمــن هذه الخطورة فى تأثير هــذه الفتاوى العنصرية التحريضية على طلاب المدارس الدينية العســكرية وهو ما كشفت دراســة أعدها قسم العلوم الاجتماعية بجامعة «بار إيلان» التى يسيطر عليها المتدينون، تبين أن أكثر من ٩٩٪ من طلاب المدارس الدينية العسكرية و٩٠٪ من المتدينين بشــكل عام يعتقدون أنه فى حال تعارضت قوانين الدولة وتعليمات الحكومة مع فحوى الفتاوى الصــادرة عن الحاخامات فإن عليهــم أن يتجاهلوا قوانين الدولة وتعليمات الحكومة والعمل وفق ما تنص عليه فتاوى الحاخامات[3].

---

(١) صالح النعامى– المرجع السابق.

(٢) صالح النعامى– المرجع السابق.

(٣) صالح النعامى– المرجع السابق.

ويتم التركيز في المدارس الدينية بشكل خاص على دراسة سفر «يوشع بن نون» والذي يزخر بعبارات القتل والإبادة للأغيار مركزاً على المذابح التي ارتكبها يوشع في أريحا من قتل للزرع والضرع والطفل والشيخ حتى إنه لم يبق أحد من سكانها.

وتتمتع الحاخامية اليهودية بصلاحيات واسعة في مجال التعليم، وتهتم الحاخامية بالتعليم وتستغله لتلقين الطلاب المبادئ الصهيونية وتسخيرهم لخدمة أهدافها في المستقبل.

وعلى حد قول الحاخام شترنشتاين «يجب أن يتعلم الأولاد الصهيونية لا اليهودية فقط»[1].

وتتراوح المنحة التي تخصصها وزارة الأديان للطالب في المدارس الدينية لتشجيعه للالتحاق بها ما بين ١٥٥٠ إلى ٧٢٠٠ شيكل، وتسيطر وزارة الأديان على أكثر من ٥٠٠ مدرسة دينية عامة، و٧٧ مدرسة دينية عليا، و٤١ مدرسة دينية متوسطة و١٥ مدرسة دينية عسكرية[2].

الكاتب اليهودي المعادي للصهيونية حوشي مينوحين صاحب كتاب انحلال اليهودية كتب منتقداً ما يجري في المدارس التعليمية: «علمونا فيها أن نكره العرب وأن نحتقرهم ونطردهم من وطننا ومسقط رأسنا».

ويجمع الباحثون على أن الكتب التي تشكل المصادر الأساسية للتربية الصهيونية هي كتب العقيدة اليهودية وفي مقدمتها العهد القديم (التوراة- الأنبياء- والمكتوبات) وكتب الشراح والمفسرين من الحاخامات كالتلمود (المشنا والجمارا) والمدارش والهلاخا والهجدا بما تتضمنه من أصول للمعتقد اليهودي والأحكام والنصوص التاريخية والأخلاقية. وقوانين اليهود السياسية والمدنية والدينية، يضاف إلى ذلك قرارات زعماء اليهود من مصادر التربية الصهيونية والمرتكز الأساسي للعملية التربوية.

يضاف إلى ذلك قرارات زعماء اليهود في الثلاثة والعشرين مؤتمراً (منذ ١٨٩٧ وحتى ١٩٥١) وآخرها المؤتمر الذي انعقد في القدس لأول مرة عام ١٩٥١ ليبحث في الظاهر مسألة الهجرة اليهودية إلى فلسطين، بينما كان الهدف وفي كل هذه المؤتمرات جميعها دراسة الخطط التي تؤدي إلى تأسيس مملكة صهيون العالمية، والاستيلاء على العالم بشتى الوسائل.

وهذه الكتب والمراجع والقرارات شكلت دائماً الإطار العام الثابت لليهودية كمعتقد، وهناك باحثون آخرون يرون أن المصدر الثاني للتربية الصهيونية من حيث الأهمية، هو مؤلفات مؤسسي الصهيونية الأوائل، ومن هذه المؤلفات على سبيل الحصر كتاب روما والقدس لموسى هس (١٨١٢- ١٨٧٥) وكتاب الدولة اليهودية لهرتزل. يضاف إلى ذلك كتابات ثلاثة مفكرين آخرين كانوا علامات بارزة في التاريخ الصهيوني وهو أحدهم عام (١٨٥٦- ١٩٢٧) وهو

---

(١) صالح النعامي- المرجع السابق.

(٢) صالح النعامي- المرجع السابق.

صاحب فلسفة الصهيونية الثقافية وأهرون دافيد جوردون (١٨٥٦- ١٩٢٢) وهو صاحب فلسفة دين العمل وفلاديمير جابوتنسكى صاحب فلسفة القوة (١٨٨٠- ١٩٤٠)[١].

كان لابد للكتاب التعليمى أن يضع بين يدى الطالب اليهودى الحلول الشاملة للمسائل التى تطرحها أمامه الصهيونية، وفى مقدمتها الاحتلال والاستيطان والهجرة وترحيل «الجوييم» من الفلسطينيين وإخوانهم من عرب الجوار، ومن تستطيع إسرائيل احتلال أراضيهم أو جزء منها، ضمن حملاتها العسكرية التوسعية التى تشنها عليهم بين حين وآخر، ومن يطلع على نماذج من الكتب المدرسية يستطيع أن يدرك هذا الاتجاه العدوانى لدى الناشئة اليهود، فكل أرض تطؤها قدم الجنود اليهود هى أرض يهودية، خيرات الأرض والعالم أجمع منحة لهم وحدهم من الرب، وكل ما فى أيدى غيرهم من (الجوييم) أو الأمميين هو ملك اليهود، فما تحت أيديهم أى (الجوييم) مغتصب من اليهود وعليهم استرداده منهم بكل الوسائل ولا حياة لشعوب الأرض بدون اليهود[٢].

وبدأت عملية تطوير هذا الاتجاهات التربوية الصهيونية منذ بداية الشروع فى إنشاء المستعمرات والمستوطنات اليهودية على أرض فلسطين عام ١٨٧٠ وبشكل خاص على أرض المدينة المقدسة إلى جانب المشاريع الاستيطانية العديدة منذ برنامج العودة إلى صهيون ومحبة صهيون وبدء إقامة الأحياء اليهودية على أرض القدس فى نصف القدس فى النصف الأول من القرن التاسع عشر بمبادرة (موسى مونتفيورى) الضابط فى الجيش البريطانى الذى كان مقرباً من قصر الملكة فكتوريا، وقد تزامن ذلك مع بدء ظهور الكتابات الصهيونية المؤسسة لكل من موشيه هس (روما والقدس) وليونسكر التحرر الذاتى ومؤلفات إليعازر بن يهودا فى إحياء اللغة العبرية وبعثها وتنظيرات زعيم الصهيونية ومؤسسها هيرتزل ودعوات أهرون دافيد جوردون لاحتلال العمل العربى على أرض فلسطين وإحلال العمل العبرى بدلاً منه[٣].

من هذا الكم الهائل والمتراكم من المفاهيم والمخططات الصهيونية بنى الكيان الإسرائيلى سياسته التربوية، وكان للانتداب البريطانى دور بارز فى ذلك منذ اللحظة التى تدخلت فيها بريطانيا بشكل مباشر فى فلسطين إثر صدور وعد بلفور عام ١٩١٧، وإعلان الانتداب عام ١٩٢١.

وفى عام ١٩٥٣ قام الكيان الصهيونى بسن قانون التعليم للدولة، حيث تنص المادة الثانية على أن التعليم فى دولة إسرائيل يجب أن يرتكز على قيم الثقافة اليهودية والولاء لدولة إسرائيل والشعب اليهودى وتحقيق مبادئ الريادة فى العمل الطلائعى الصهيونى[٤].

---

(١) السواحرى- المرجع السابق.

(٢) خليل السواحرى- المرجع السابق.

(٣) سمير سمعان- المرجع السابق.

(٤) سمير سمعان- المرجع السابق.

يقـول أحادهـا عام- أول من دعا إلى إنشـاء جامعة عبرية فى فلسـطين «من الضرورى إقامة المدارس ليتخرج فيها جيل يهودى سـليم الروح والعقل والجسـم، ومن الضرورى تجديد العمل العبرى المدروس سـيكولوجياً واجتماعياً القادر على احتواء السـلبيات التى قد تبرز أثناء التطبيق العملى، يصهر اليهود فى بوتقة المسـيرة التوراتية واضحة الهدف والأسـلوب، فبادئ ذى بدء تقام حركة يناط بها إنشـاء المسـتوطنات بناء على خطة ثابتة، ثم تبنى مدارس صهيونية وأماكن علمية لتربية جيل يهودى سليم فيتخرج الشباب وقد تربوا على حياة جديدة تمكنهم من دخول المعارك ضد العدمية- وغير اليهود[1].

أما زبولون هامر أحد وزراء المعارف والثقافة فى الكيان الصهيونى فقد أكد على يهودية التوجه التربوى منذ بداية السنة الدراسية ٨٢- ٨٣.

فقال: إن أفضل بشرى هو أن يكون الفرد يهودياً وإسرائيلياً فهذا تحد كبير فى القرن العشرين ونحن من أجل ذلك مسـتعدون لخوض الحروب، إذ كانـت هناك ضرورة لتحقيق هذه الأمنية، وقد قطعت إسـرائيل شـوطاً كبيراً فى اتجاه تحقيق هذا الهدف بدءاً من نكبة ١٩٤٨ وحتى الآن تجسيداً للفكر الصهيونى الذى يتعلمه الطفل اليهودى فى مراحل تربيته الأولى.

ويظهر ذلك واضحا فى البرامج المقررة فى المدارس الدينية العسـكرية فتتم كالتالى أولاً الاسـتيقاظ ورفع العلم والصلاة ثم تكفى خمس ساعات من الدراسات الدينية، وفى فترة الظهيرة يتم تلقى الدروس النظرية العادية- فيزياء- رياضة- علوم بيولوجية- كيمياء بالإضافة إلى تعاليم أرض إسرائيل.

ثم تبدأ التدريبات العسـكرية قبل المسـاء فيتم تقسـيم المدرسـة إلى أربع سـرايا، لكل سرية قائد ومسـاعد قائد، وتشـمل التدريبات الرمى على أهداف ثابتة ومتحركة، والدروس العسكرية الأخـرى لتعليم النظام- اللياقة- رمـى القنابل- زرع الألغام احتلال المناطق المحصنة- الهبوط بالمظلات- التوجيه المعنوى والإسعافات الأولية.

ويقـوم بالتدريس فى هذه المدارس ضباط احتياط بالجيش الإسـرائيلى، كما يحق لهم تأجيل الخدمة العسكرية لحين الانتهاء من الدراسة.

ويلقى خريجو هذه المدارس الدعم الكامل طوال فترة الدراسة وحتى انتهائهم منها بتوجيههم للجامعة أو للمستوطنات أو للخدمة فى الجيش[2].

ويصف الحاخام يهودا أعميكاى التلاميذ بهذه المدارس بأنهم جنود نظاميون لا يميزهم سوى أنهم يضعون على رءوسهم طاقية ويرتدون الملابس الدينية، وكل تلميذ فيها يعد جندياً جيداً.

---

(١) سمير سمعان- المرجع السابق.

(٢) سمير سمعان- المرجع السابق.

إلا أن ما يحدث فى هذه المدارس يواجه بانتقاد من قبل مجموعة أخرى من الإسرائيليين ترى أن ما يحدث فيها يعد عملية غسيل مخ دينية خاصة وأنها تركز على سفر يوشع بن نون المؤلف من ٢٢ فصلاً كلها تزخر بمظاهر العنف منها:

«حذار أن تقطع عهداً مع سكان الأرض التى أنت آت منها».

«مدن تلك الشعوب لا تستبق فيها شخصاً واحداً».

«اقتلوا كل ذكر من الأطفال وكل امرأة ضاجعت الرجال».

«كل مكان تطؤه قدماك سأعطيك إياه».

لم يكن غريباً على أحد حاخاماتهم- عوبديا يوسف أن يصف العرب بأنهم أفاعى، بينما أكد آخر- أبراهام أفيدان أنه يجب على الجنود الإسرائيليين أن يقتلوا أعداءهم المدنيين ذوى السلوك الجيد فقد جاء فى التلمود «اقتل النخبة من غير اليهود».

أما الحاخام موشى بن زيون أشبيزاى فذهب إلى أن الشعب الذى يسكن أرض كنعان يجب أن يكونوا عبيداً لإسرائيل، وأن الفلسطينيين بلاء مذكور فى التوراة.

أما كاهانا زعيم الحاخامات المتطرفين فقد وصف حرب إسرائيل مع العرب بأنها حرب بين الله والأغيار، وأن العرب فى إسرائيل يمثلون امتهاناً لاسم الله، وأن إبعادهم ليست عملية سياسية بل عملية دينية، فلنطرد العرب حتى نصل إلى الخلاص هكذا يردد دائما.

ويتم التركيز فى المدارس الدينية على اللغة العبرية، ودمج الدين بالقومية مع غرس العنصرية والعدوانية والتوسع، من خلال تكثيف دراسة التوراة والتلمود، وبشكل خاص تلك الأجزاء التى تحض على قتل الغرباء، ليتحول طلاب التعليم الدينى إلى أشد المتعصبين للصهيونية والاستيطان، وبعد تخرجهم من هذه المدارس يتم تحويلهم إلى الكليات الدينية.

وتشرف وزارة الدفاع على عدد كبير من المدارس الدينية وتقوم بتوجيه عدد كبير من الطلاب للدراسة فى فروع محددة لمصلحة الجيش أثناء دراستهم الثانوية.

ولا تقتصر العسكرة على المدارس الدينية فقط بل تمتد أيضاً للمدارس الأخرى والتى يتولى إدارة العديد منها ضباط متقاعدون بالجيش، أشهرهم إيهودياتوم والذى خدم فى الشاباك وبعد تقاعده تولى إدارة إحدى المدارس الثانوية فى ناتاليا.

وهناك مشروع تسافتا الذى تتبناه الدولة العبرية بتأهيل ضباط سابقين فى الجيش للانخراط فى العملية التربوية بعد أن تشربوا الروح العدوانية حتى حدها الأقصى من خلال عملهم بالموساد أو الشاباك. وقام المشروع بتخريج ٣٠٠ ضابط تم وضعهم فى المؤسسات التعليمية.

ويبدو أن العسكر فى إسرائيل لهم اليد الطولى هناك، يسيطرون على جميع أجهزة الدولة بما فيها المؤسسة التعليمية.

إلا أن عسكرة المدارس كان له تأثير سلبى من ناحية أخرى، ويبدو أن المتبنين لهذا المشروع لم يدر بخاطرهم أن السلاح الذى أشهروه سيرتد ثانية إلى نحورهم، فالتربية على العنف بالطبع لم تفرز إلا عنفاً وهو ما لم يتم أخذه فى الحسبان.

فالمدارس الإسرائيلية تعانى من ظاهرة انتشار الجرائم منها، وهو تعد انعكاساً للمجتمع هناك الذى تمثل فيه نسبة الجرائم أعلى من معدلاتها فى الدول الأخرى إن لم تكن الأعلى.

من هنا كانت محاولاتهم الدائمة على تفريغ هذه الشحنة العدوانية وتصديرها للخارج، خوفاً من تفجيرها داخلياً فتحدث كارثة تحاول الدولة العبرية دائماً النأى عنها.

من هنا تحرص المدارس الإسرائيلية على غرس الروح العسكرية فى نفوس طلابها، والتركيز على العداء للآخر، وهو غالباً العربى الفلسطينى، وهو ما تنبه إليه بعض الباحثين الإسرائيليين الذين أكدوا على خطورة ما يحدث فى المدارس الإسرائيلية التى كادت أن تتحول إلى معسكرات[1].

جامعة تل أبيب أجرت دراسة حول تأثير مناهج التعليم الصهيونية على مواقف الطلبة اليهود، اتضح من خلالها أن الأطفال من الصغر يبدءون فى تكوين تصور سلبى عن العرب لمجرد كونهم عرب.

بحث آخر توصل أيضاً إلى أن المناهج الدراسية تكرس الصراع الصهيونى العربى وتقولبه فى إطار الرواية الصهيونية التقليدية القائمة على إنكار حق الشعب الفلسطينى فى أرضه ترسيخاً لمزاعمهم شعب بلا أرض، لأرض بلا شعب.

لكن بالرغم من ذلك، وبعد مرور أكثر من خمسين عاماً على عمليات عسكرة المناهج التى تقوم بها إسرائيل إلا أن ذلك لم يخلق فى الكيان الصهيونى انتماءً حقيقياً، والدليل على ذلك أن أكثر من مليون صهيونى غادروا الدولة العبرية منذ انتفاضة الأقصى، فمن الصعب أن يضحى الصهيونى فى سبيل بلده، معظمهم جاء إلى أرض العسل واللبن، فإن لم يجدها فر هارباً منها[2].

ومن يطلع على نماذج التربية فى المدارس الإسرائيلية فى سائر المراحل الدراسية تتكون لديه فكرة راسخة بأن هذه التربية تقوم على روح العسكرة والالتحاق بالجيش وإعداد الطفل منذ نعومة أظفاره ليصبح متفائلاً بروح أسبرطة، هذه الروح التى سادت إسرائيل منذ قيامها عام ٤٨، فتغلغلت فى سائر الأجهزة الرسمية والشعبية الإسرائيلية ضمن محاولة لخلق الإسرائيلى الجديد الذى خرج منتصراً فى حربه ضد سبعة جيوش عربية، فعاد ليقيم دولته بعد ألف عام، وهذا جزء لا يتجزأ من الادعاءات التى تحمل الطابع الأسطورى.

---

(١) عبد القادر ياسين- دراسة- آخر ساعة.

(٢) عبد القادر ياسين- دراسة- آخر ساعة.

وقد اشتدت هذه الروح بعد عدوان يونيو ٦٧ بعد أن تمكنت القوات الإسرائيلية من احتلال عشرات الآلاف من الكيلومترات المربعة من مساحات الوطن العربى فى سوريا ومصر والأردن ولبنان وفلسطين، مما مكن الجنرالات العسكريين من الانتقال إلى الحياة السياسية واحتلال مناصب ومواقع عليا فى قمة الحكم ليكونوا فيما بعد النخبة الحاكمة القادرة على توظيف هذا النصر وتوجيهه لصالح التربية الصهيونية خاصة بعد أن لمعت أسماء هؤلاء القادة العسكريين وأصبحوا فى نظر الناشئة اليهود نماذج بطولية، وأن يحتذى بها فى كل زمان ومكان على طريق تحقيق أسمى الأهداف الصهيونية وأكثرها إغراء وإشباعاً للطموح الصهيونى المتجذر فى أذهان أبناء ذلك الجيل والأجيال التالية، ومن هذه النماذج برزت أسماء إسحق رابين وعيزرا وايزمان وإيهود باراك واريل شارون، والآخرين الذين سبقوهم إلى الموت من أمثال موشيه ديان، ويغال ألون وإسرائيلى جليلى ورحبعام زئبقى رواد الاستيطان المسلح على أرض فلسطين(١).

أفكار هؤلاء الجنرالات التى تعكسها أقوالهم تحمل كثيراً من العنف والدموية فجاء فى كتاب مناحم بيجن «الثورة فى قصة الأرغون».

[لن يكون هناك سلام لشعب إسرائيل ولا فى أرض إسرائيل، ولن يكون هناك سلام للعرب ولا فى أرض العرب، وسنستمر فى تحرير وطننا من نير العرب لإنقاذ أرضنا كلها].

أما روفائيل إتيان رئيس الأركان السابق فأكد أن العرب يجب ألَّا يكونوا أكثر من حشرات مخدرة لا تستطيع أن تتجاوز عنق الزجاجة للخروج منها.

أما مجرم الحرب الأكثر دموية فعبر عن كراهيته للعرب بقوله: العرب ليسوا بشراً بل أشياء يجب إزالتها– العرب مجرد حشرات.

هؤلاء الجنرالات أصبحوا فى نظر الناشئة اليهود نماذج بطولية يحتذى بها، وذلك نظراً لتركيز الكتب والمناهج الدراسية على إبراز أعمال هؤلاء الجنرالات وتعظيمها.

جاء فى صحيفة هآرتس الصادرة يوم ٣٠ مايو ٢٠٠١: إن مؤسستين إسرائيليتين بادرتا إلى دراسة ما آلت إليه التربية الإسرائيلية عبر ٥٣ عاماً والنتائج التى انعكست على المسيرة الإسرائيلية الداخلية ثم على العلاقات العربية الإسرائيلية خلال السنوات التى أعقبت مؤتمر مدريد واتفاقيات أوسلو ١٩٩٣ لمعرفة الانعكاسات التى تركتها هذه الاتفاقيات على العلاقات الفلسطينية الإسرائيلية باعتبارها المؤشر والميزان الحقيقى والعملى المنظور لهذه العلاقات التى ما تزال تمارس فى إطار من العداء الصارخ والحقد والعنف والصدام الدامى الذى لا يتوقف عند حد.

---

(١) خليل السواحرى– التوجهات العنصرية

ولــدى بحــث هذه النتائج خلصت الكاتبة إرناكازين إلى إعداد تقرير نشــرت صحيفة هآرتس ملخصاً له وأشــارت فيــه إلى الملامح العامة للتربية الإســرائيلية المبنية على روح العســكرة منذ الحضانــة التــى يبدأها الطفل الإســرائيلى.. تقول الباحثة فى الواقع ليــس هناك أية غرابة فى القــرارات الأخيرة التى اتخذتها وزيرة المعارف فى حكومة شــارون ليمور ليفنات فهى تنســجم والرياح التى تهب منذ سنوات فى هذه المؤسسة التى تضع التربية الإسرائيلية، وتصيغها لتلائم تعاليم جابوتنســكى ويوسف ترومبلدور ومناحم بيجن ومنظمة بيتار. لقد ألغت ما بعد الصهيونية بحيث ردت على ذلك بإقرار تدريس موضوع جديد أشــد عنصرية تحت عنوان (تراب إسرائيل) لتطبق بذلك توصيــات لجنة (شــنهار) التى أوصت بتوسيع الدراسات اليهودية كما أمرت هذه الوزيرة برفع العلم الإسرائيلى على جميع المدارس. هذا التوجه ليس سوى استمرار طبيعي للتوجه القديم القائم على تولى جهاز التعليم نشر قيم الجيش، وليس قيم الديمقراطية.

وتضيف أرناكزين: إن الســلام ســيأتى كما تقول الأغنية: لا تقولوا إن هذا اليوم ســيأتى بل عجلوا بمجئ هذا اليوم (مقطع من أغنية السلام الإسرائيلية) أى بدون التربية على الديمقراطية، فلن ينشأ فى إسرائيل جيل ناضج ومستعد لقبول السلام.

وفى مؤتمر حول العسكرة والتربية نظرية نقدية الذى عقد فى الجامعة العبرية ومعهد الكيبوستات عام ٢٠٠١ عاد الباحثون ليؤكدوا من جديد أن جهاز التعليم الإســرائيلى لا يخلو فقط من التربية على المواطنة والديمقراطية. وإنما تقوم المدارس بالتربية على العسكرة، إن التصعيد فى الصراع مع الفلسطينيين وتقبل المواطنين الإسرائيليين لهذا التصعيد دون مفارقة هو نتيجة لهذه التربية(١).

تقول الباحثة حاجيت غور زئيف عن مركز التربية النقدية فى معهد الكيبوستات: إن التربية على العســكرة تتم بأســاليب مختلفة، ففى يوم الاستقلال يتسلق أطفال الروضات على الدبابات ويزينون روضاتهم بأعلام وحدات الجيش الإسرائيلى بدلاً من الاحتفال بقيم الديمقراطية والمساواة والســلم، وهى فى الأعياد الأخرى الدينية فإن ما ينقل إلى الطالبة فى الغالب هو المفاهيم والقيم العســكرية. فدائماً هناك تمييز بيننا وبينهم، الطيبون والأشرار، نحن وهم أى الغير وهم الأشرار فمثــلاً فى عيد الفانوس (الأنوار) يصور الآخرون بأنهم أشــرار ونحــن (اليهود) الطيبون، وهكذا المصريون الفراعنة فى عيد الفصح والعرب فى عيد الاستقلال والرومان فى عيد الخضرة، ويتجاهل جهاز التعليم معانى الثقافة والديمقراطية المفترض تعميمها فى هذه الأعياد(٢).

وتضيف غور زئيف: إن كل معانى الديمقراطية تغيب عن برامج التعليم بســبب التأكيد على تطبيــق قاعدة نحن وهــم الأغيار- الغويم، لا يتعلم الطلبة التمييز بين مركبات هذه الشــخصية

---

(١) خليل السواحرى- مرجع سابق.

(٢) المرجع السابق.

الأسطورية، هل كان مردخاى طيباً (مردخاى شخصية يهودية أنقذت اليهود من بطش الملك بواسطة الحيلة فى قصة البوريم عيد المساخر) هل حافظ على يهوديته مقابل المس بالآخرين؟ وهل استعملت أستيرا (فتاة يهودية فى القصة) أنوثتها من أجل النجاة، ويمكن هنا التحدث مع الطلاب عن مدى استعمال النساء لأنوثتهن فى حالات كهذه وغيرها.

ولا يقتصر الأمر على ذلك بل يجند الفن أيضا لغرس روح العسكرة فى نفوس الطلبة حيث تنظم لهم الرحلات لمشاهدة معارض فنية لتخليد ذكرى الجنود الإسرائيليين وهناك يكتشفون الرابط والعلاقة بين الفن وبين الجيش وتقول الباحثة فيرد شومهون: إن هذه الطريقة تجند الفن لتغطية المؤسساتية على بشاعة الحرب وويلاتها. ومن برامج الإذاعة الصباحية تجرى مقابلات مع رجال الجيش كخبراء فى شئون الصراع وفى الكنيست والحكومة يرون جنرالات متقاعدين فقط أو رجال دين يقررون مصيرهم.

وتذهب الباحثة ريلى مزالى، فى عرض روح التربية على العسكرة إلى القول: يدخل الجنود إلى الصفوف ويتحدثون أمام الطلبة عن فظائع الجيش الإسرائيلى دون أن يشير ذلك إلى أى تحفظ لدى الأهالى، وأكدت أن جهاز التعليم يبحث فى سائر المواضيع، مناهج التعليم، أساليب التدريس، تخصيص ميزانيات لكن هناك صمت عن العلاقة بين المدرسة والجيش، فى جهاز التعليم هناك، وظواهر عديدة يمكن اعتبارها بسهولة، مظاهر لنظام مناهض للديمقراطية لو أننا سمعنا أنها قائمة فى دول أخرى[1].

إحدى الظواهر البارزة فى هذا السياق هو تسلم ضباط كبار الجيش مناصب ووظائف إدارية فى المدارس بعد إنهائهم خدمتهم العسكرية، كذلك تحول وزارة المعارف مشروع «تسافتا» الذى يؤهل ضباطاً متقاعدين فى الجيش وجهاز المخابرات الشاباك للعمل كمربين يتم تدريبهم فى معهد (بيت بيرل) وقد تخرج منه حتى الآن أكثر من ٣٠ ضابطا يحملون الشهادات الجامعية الأولى، وفى السنوات الأربع عشرة الأخيرة تم إلحاقهم بمدارس مختلفة فى جميع أنحاء إسرائيل بعضهم درس سنة واحدة فقط للحصول على إذن للتدريس.

وهؤلاء كانوا يزورون المدارس يومين فقط قبل أن يتم تعيينهم فى وظائف إدارية. البعض منهم عينوا معلمين وآخرون درسوا سنة إضافية وعينوا فى وظائف تربوية ومنهم أيضاً من تولى مناصب كبيرة فى جهاز التربية دون أى تدريب أو إعداد مثل رون خولداتى (رئيس بلدية تل أبيب) وقبلها مدير حمباسيا هرتسليا، وكذلك دور ألونى. وتساءلت الخبيرة التربوية الدكتورة هنربيت لها كليب من جامعة تل أبيب عن إذا كان هذا الخلط بين الجيش والتربية يخدم التربية أو يعطلها ويشوه مسارها؟

---

(١) المرجع السابق.

كما تحدثت كليب– باحثة إسرائيلية– عن تجربتها الشخصية كأم لطفل يدرس فى إحدى مدارس بئر سبع فقالت: إن أولياء أمور الطلاب يبحثون عن النظام والطاعة فى المدرسة، يبحثون عن رجل قوى يفرض سيطرته لأن النظام التعليمى فى حالة انهيار، ويزداد العنف وليس هناك أى تفكير إبداعى لحلول الديمقراطية، أى إن طلب ضباط الجيش إلى المدارس يرتبط بموضوع العنف فى المجتمع الإسرائيلى.وضعف جهاز التعليم فى التربية وتنشئة الأطفال على النفور من الديمقراطية بل والاستخفاف بها[1].

عسكرة التربية لا تقتصر على تلك المظاهر فقط بل تمتد أيضاً فى المناهج الدراسية والتى تزخر بالعنصرية وتحث التلاميذ على فكرة العرب والتعامل مع ما ترتكبه المؤسسة العسكرية من جرائم باعتباره أمر عادى وطبيعى يستحقه العرب. فجاء فى قصة حاييم هزار– قراءات أرض إسرائيل المقررة على الصف الثامن والتى قام بتأليفها ناتان بريسكى عام ١٩٧٩ أنهم متعجرفون وشريرون، وأنذال، نحن لسنا شعب حرب لم نحتل مصر ولا أشور ولا بابل، ولا جبل لبنان القريب منا جداً، والذى رغب فى احتلاله واضع سفر الإنشاء وشعراء سفر المزامير من أسفار التوراة[2].

وهنا يكون تبرير الاحتلال مستنداً إلى تعاليم التوراة وهو ما يعكس مدى توظيف الدين فى خدمة الأهداف الصهيونية.

[وتعمد الكتب الدراسية على السخرية والتهكم من الجنود العرب].

فجاء فى قصة «جيوش العدو» لـ يتسحاق سديه وهو من أبرز قادة الإرهاب اليهودى فى عهد الانتداب البريطانى: [القادة العرب الذين كانوا واثقين من النصر علينا خلال أسبوع أو أسبوعين فقد فوجئوا بانتكاستهم لأن هناك فرقاً بين جندى يعرف لماذا يخرج للقتال ربى وترعرع على خدمة الشعب والوطن وبين جندى آخر خرج للقتال لأنهم حملوه بندقية وألبسوه بزة عسكرية وأرسلوه إلى ساحة القتال بناء على أوامر صارمة وليس بدافع وطنى، هكذا فإن الجندى المصرى برأى القادة المصريين لا ينبغى له أن يفكر، وجواب الجنود الوحيد لضباطهم دائماً هو: نعم يا سيدى].

ربما يكون سديه نادم على هذه الكلمات اليوم، فمن المؤكد أن قصته هذه جاءت قبل حرب ٧٣ والتى أثبت فيها الجندى المصرى شجاعة تفوق تصور جنرالات الحرب الإسرائيلية، ومن ثم يصبح من غير المنطقى استمرار تدريس مثل هذه الأكاذيب التى فضحها الواقع ولم يعد تدريسها أمراً منطقياً.

عموماً باعتراف علماء التربية الإسرائيليين فإن ما يجرى فى المدارس الإسرائيلية لا يخرج عن كونه عملية غسيل مخ، تصب فى النهاية فى اتجاه كراهية العرب.

---

(١) خليل السواحرى– مرجع سابق

(٢) المرجع السابق.

قصة «إليك» للكاتب موشـيه شـير والمقررة على الصف الثامن، تبرز التحريض المتعمد الذى تغرسـه مناهج التعليم الإسـرائيلية فى عقول النشء لاعتبار الحرب أمراً لا مفر منه ودعم وتبرير الحياة العسكرية التى باتت هى السمة الأساسية التى تميز المجتمع الإسرائيلى، جاء فى سطور إليـك [هكـذا هى الحياة، ولا تتحدثوا عن الموت، لأنـه ليس منا، من يهرب من الخدمة أو من المعركـة، و عندنا لا يرمون البندقية ويهربـون، عندنا يحاربون حتى الطلقة الأخيرة، ليس لأن المحاربين من الفولاذ، ولكن لأن الحياة هكذا هى عندنا][1].

وفى وصفه لاحتلال مدينتى اللد والرملة جاء فى كتاب مطالعات إسـرائيل المقرر على الصف الثالث أن الهجوم الذى أذهل العدو جعل العرب يهربون بهلع شديد، وأن الجيش العربى هرب خوفاً من المواجهة مع الجيش الإسرائيلى[2].

وبالطبع انعكس هذا الاتجاه المتعمد على عسكرة مناهج التعليم الإسرائيلية على طلبة وتلاميذ المدارس، واتضح ذلك من خلال اسـتطلاع ٥٢٠ طالباً من الصفوف الرابعة والخامسـة والسادسة بمدارس حيفا، أخطر ما جاء فى هذا الاسـتطلاع هو موقف هؤلاء التلاميذ من السـلام[3] والذى أعرب فيه ١٠٪ فقط منهم عن رغبتهم فى السلام.

بينما رفض ٩٠٪ السلام والسبب كما وردت فى إجاباتهم:

فكتبت إحدى الطالبات تقول: يستحيل أن نتوصل إلى سلام لأن العرب يكرهون اليهود. بينما أكد آخر لا يجب طرد العرب من البلاد، يجب طرد عائلة العربى وطرد قريته برمتها، العرب هم بغالبيتهم كارهون لنا، ولا نستطيع التوصل إلى سلام معهم لأنهم يعتقدون أننا أخذنا أرضهم.

أعتقد أنه يجب نقلهم إلى أية دولة ممكنة، لأن لهم عدة دول عربية، ولنا فقط دولة واحدة.

وفى دراسـة أخرى أجراها معهد (فان لير) اسـتهدفت رأى الطلبة من العرب ووجودهم فى فلسـطين والتى أجريت على شـريحة عمرية تراوحت ما بين ١٥– ١٨ سـنة كان من أبرز نتائجها:

- ٩٢٪ من الطلبة رأوا أن لليهود الحق الكامل فى فلسطين.
- ٥٠٪ يرون ضرورة تقليص الحقوق المالية للعرب داخل فلسطين.
- ٥٦٪ رفضوا المساواة بالعرب.
- ٣٧٪ يريدون فقط مساواة العرب فى الجيش.

---

(١) خليل السواحرى– مرجع سابق.

(٢) خليل السواحرى– مرجع سابق.

(٣) خليل السواحرى– مرجع سابق.

○ ٤٠٪ أبدوا تأييدهم لأية حركة سرية تنتقم من العرب.

○ ٣٠٪ أيدوا حركة (كاخ) الإرهابية.

○ ٦٠٪ وافقوا على طرد كل عربى من فلسطين.

هذه الإحصائيات لا تثير الدهشة فيمن يعرفون جيداً ما يدور فى المدارس الإسرائيلية فأول الدروس التى يتلقاها تلاميذ هذه المدارس هو الارتباط بالوطن والتأكيد على أحقية اليهود وحدهم فيها. أحد هذه الكتب وأشدها فظاعة كتاب بعنوان مواضيع مركزية فى تاريخ الشعب والدولة إبان العصور الأخيرة من تأليف أمنون حيفر (وهو مستوطن كولونيا لى فى الضفة الغربية) ويهدف هذا الكتاب إلى إعطاء الطالب إحساساً عميقاً بالوطن بعد مئات السنين من (الشتات) وحياة الجيتو، واستفادة بالفرصة العابرة التى يحيى بها الإنسان الذى لم يكن منتمياً إلى أرض عبر الدهور ثم أصبح ذلك المنتمى إلى أرض[1].

وفى أحد فصول الكتاب جاءت الفقرة التالية:

[إن كل الأقوال بشأن الحقوق التاريخية التى يحفل بها النقاش بيننا وبين العرب تفتقد إلى الحقيقة وترجع إلى قلة الفهم وقلة المعرفة والدراية بتاريخ الاستيطان اليهودى فى أرض إسرائيل.

إن أميتنا ولدت فرضيات كاذبة بينها الفرضية القائلة أنه لدى عودتنا إلى البلاد– بعد هجرة دامت ألفى سنة وجدنا البلاد مستوطنة من قبل شعب آخر أقام لمدة مئات السنين، وهذا غير صحيح. الحقيقة هى أننا عندما أتينا إلى هنا الآن لم نلق أى شعب وبالتأكيد لم نلق شعباً أقام مئات السنين].

وانتماء اليهود إلى الأرض وحصراً أرض فلسطين، يسوغه المؤلف بالتناقض الحضارى بين اليهود الذى ينتمى إلى جنس (علوى حضارى) وبين عدوه (العربى) الذى ينتمى إلى جنس (دونى سفلى) وفى هذا الصدد يقول المؤلف:

[لقد حفرنا الآبار هنا نحن فقط بمقدورنا أن نبعث الحياة هنا بالمقابل فإن أعداءنا ليس بمقدورهم إلا ردم الآبار وزيادة الفقر].

ويضيف:

[إن العلاقة بين شعب وبين وطنه يجرى تحديدها ليس بواسطة سلطة الشعب على الأرض بل بواسطة سلطة الأرض– الوطن– على الشعب. من خلال المكانة التى تحتلها الأرض فى حياة الشعب. وها هى ذى أرض إسرائيل بوصفها بلاداً أشهدت حياة تاريخية لم تكن فى مثل هذه

---

(١) أنطوان شلحت– مرجع سابق.

الوضعية إلا على أيدى الشعب اليهودى. ففى أيدى الآخرين كانت أرض إسرائيل مجرد منطقة أو قطاع أو جليل، ولم يكن لها وجه تاريخى إلا على أيدينا].

وتأكيداً على مقولة أرض بلا شعب يواصل المؤلف قوله [لم يقم العرب البتة فى أرض إسرائيل ولم ينشئوا البتة حكماً محلياً ولم يبنوا ثقافة أو لغة أو قومية متميزة.

لم يتواجد الشعب الفلسطينى جملة ولا تفصيلاً ولا هو من المخلوقات ولكن إذا ساعده يهودنا فى أن يكون فسيكون. على رغم ذلك ثمة احتمال بأننا شهود على تكوين «شعب فلسطينى» فى مثل هذه الحالة أيضاً يجدر التذكير بأن هذا الشعب هو من مواليد عصرنا ولا يزال محتاجاً «لحقن» أيديولوجية سياسية من أجل التواصل والوجود][1].

ويبذل المؤلف قصارى جهده فى مواجهة أى إحساس بتأنيب الضمير ربما يشعر بها بعض الإسرائيليين إزاء ما تقوم به الدولة العبرية من جرائم واضطهاد للشعب الفلسطينى فيقول:

يوجد بين ظهرانينا من تعتورهم حالات شعور بالذنب جراء الإثم التاريخى الذى ألحقناه بالعرب، والمتهم الرئيسى فى وجود الشعور بالذنب المنتشر بشكل خاص بين أوساط الشبيبة هو برامجنا التدريسية التى لا يحتل فيها موضوع تعلم تاريخ أرض إسرائيل المكان اللائق به.

إلى هذا الحد يصل بهم الأمر.. فبالرغم من العنصرية وإنكار حقوق الشعب الفلسطينى هى المبادئ الأساسية التى تحفل بها كتب التعليم فى إسرائيل، إلا أن الجرعة– على رغم كثافتها لا تشبع البعض فى إسرائيل– من هنا كانت مطالباتهم بالمزيد والمزيد– ومع ذلك لم نسمع أحدا يطالبهم بتنقية مناهجهم من العنف والحقد وتكريس الدعوة إلى قبول الآخر.

ليس غريباً إذن أن تذكر هذه الأصوات المذابح والجرائم التى ارتكبتها إسرائيل فى حق الشعب الفلسطينى، وهو إن دل على شىء فإنما يدل على المدى الذى وصلت إليه الدولة العبرية فى تنشئة طلابها على قبول القتل والتشريد والإبادة وغيرها من الجرائم التى ترتكبها ضد الفلسطينيين ليصبح بالفعل تلميذ اليوم جنديا ملتزما بتعاليم الحياة العسكرية الإسرائيلية.

بعض الافتراءات على المجازر التى تعرض لها العرب خلال حرب ٤٨ يبررها أراجيف حيفر بقوله[2]:

إن مقولة: اللاجئون العرب هم شعب جرى تشريده عن أرضه كاذبة– الحقيقة أن العرب اختاروا أن يهاجروا من بلاد ذات أكثرية يهودية حتى يعيشوا بين الشعوب العربية، وعمليا لم تعترف أية دولة عربية بالشعب الفلسطينى، وبالإضافة إلى ذلك لا توجد ذرة من الحقيقة

---

(١) شلحت– مرجع سابق.

(٢) شلحت– مرجع سابق.

فـــى «حكايـــات الفظائع» عن ذبـــح العرب فى أعقاب معركة «دير ياســـين» الحقيقة هى أنه فى هذه المعركة شـــارك مقاتلو «اتســـل» «وليحى» ولقى ١٥٠ عربياً مصرعهم. ولم يخل العرب النساء والأطفال الذين تمترسوا فى البيوت إبان القتال. ولذا كان بين القتلى نساء وأطفال.

ونجد مثل هذا التبرير لذبح النســـاء والأطفال فى دير ياســـين مســـاوياً له ومطابقاً فى أكثر من رواية إسرائيلية رسمية عن المذبحة.

وإذا كانت بعض الروايات الإســـرائيلية تتخذ جانب التحفظ من المذبحة باعتبارها عملاً نفذه «الإتســـل والليحى» يتخذ التبرير- فى روايات أخرى- شكل الهجوم منفلت العقال على العرب الذين يســـتغلون حتى الآن اسم دير ياســـين لتلطيخ سمعة دولة إسرائيل ويعممون الشائعة بقصد زيادة كراهية العرب لليهود.

وتركـــز كتب كثيرة على تقديم وجه آخر لممارســـات إســـرائيل الصهيونية أمام العالم. بهدف دفع الطالب الإسرائيلى دفعاً هائلاً، لكى يخوض غمار الحرب ضد العدو العربى بكل ثقة وبكل إيمـــان بعدالـــة الذى يدافع عنه. وأول الأمور التى يتعين الدفاع عنها تبعاً لمحتويات هذه الكتب ومنها كتاب(أســـطورة التشـــريد الصهيونى) الصادر عام ٧٥. للكاتب لـ أفنيرى. هو ربط اليهود بأرض المستعمرة (فلسطين) والحق المطلق لشعب إسرائيل فى العودة والاستيطان على أرض آبائه وأجداده. والهدف من ذلك تحصين الطالب الإسرائيلى بالمعلومات لتنفيذ الحجج التى يواجه بها الإسرائيلى لدى اطلاعه على الأدبيات العربية عامة وأدبيات منظمة التحرير الفلسطينية خاصة. ولا يرد ذكر لمنظمة التحرير بدون مرادفات غرضية فهى «ألد أعداء إســـرائيل» وهى التى تحاول أن تزعزع ثقة الإسرائيليين بمسألة عدالة قضيتهم لعلمها بأن هذه الثقة هى من أهم المركبات التى تنطوى عليها سطوتهم[(١)].

ولا يكتفـــى المؤلـــف بإثبـــات الأحقية القانونية لليهود على أرض فلســـطين بـــل يذهب أيضاً إلى إضفـــاء الشـــرعية القانونية والعرفيـــة عن الأراضى بعد بيعها، وهـــذه العملية اتخذت جانب الاستخفاف بحياة الإنسان لمجرد كونه عربياً.

هـــذا التوجـــه يصفه المفكـــر الصهيونى آحاد هعام- والذى لا يمكـــن اتهامه بحب العرب فى مقالته: «الحقيقة فى فلســـطين» بقوله: اعتدنا خارج البلاد تصديق أن العرب جميعاً وحوش فى الصحراء، شعب يشبه الحمار، لا يرون ولا يفهمون ما يدور حولهم. ولكنه خطأ فادح هذا الفهم، فالعربى مثل بقية بنى البشر ذو عقل صادق مراوغ هكذا يشهد شاهد من أهلها[(٢)].

---

(١) شلحت- مرجع سابق.

(٢) المرجع السابق.

ولا تدخر الكتب فى إسرائيل وسعاً فى إظهار الإشادة بالجندى الإسرائيلى المتشبث بعنفوانه وعجرفته، وفى المقابل يتم تصوير صورة الجنود العرب فى هيئة القساة المتوحشين غلاظ القلوب، صورة تفضح معها التوجه العنصرى ومحاولات «عسكرة» العملية التعليمية، والتى يكون نتاجها الدائم هو إفراز أجيال مشبعة بروح الاستعلاء والعدوانية والحقد.

وعن تأثير آثار التعصب على طلبة المدارس وهى الدراسة التى قام بها عالم النفس الإسرائيلى- جورج نمارين، لبحث آثار التعصب من حيث وجوده فى أيديولوجية الشباب الإسرائيلى، وأى تأثير تدريسى للتوراة بطريقة غير نقدية على إمكانية تشكل اتجاهات التعصب المختلفة، خصوصاً فكرة «الشعب المختار» وسموا الشريعة الموسوية، ودراسة أفعال الإبادة الجماعية التى مارسها الأبطال التوراتيون. وقد ركز تامارين على أكثر صور التعصب تطرفاً وهى صورة الإبادة الكاملة للجماعية المعادية، وأعد لها (١٠٦٦) استمارة استبيان ذات محتوى واحد، أجاب عليها (٥٦٣) فتى و(٥٠٣) فتيات فى مختلف الأعمار ومختلف المدارس، وتطرقت الاستمارة لسفر (يوشع بن نون) فى الكتاب المقدس والذى يدرس فى المدارس الإسرائيلية من الصف الرابع وحتى الثامن وكان السؤال كما يلى:

إنك تعرف جيداً المقتطفات التالية من سفر يوشع:

فهتف الشعب وضربوا بالأبواق، وكان حين سمع الشعب صوت البوق، أن هتف هتافاً عظيماً، فسقط السور فى مكانه، وصعد الشعب إلى كل رجل وأخذوا المدينة، وقضوا على كل من قبلها، بغير تفرقة بين رجل وامرأة وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف (يشوع ٢٦: ٢٠).

وأخذ يوشع مقيدة فى ذلك اليوم وضربها بحد السيف وحرم ملكها هو وكل نفس بها، لم يبق شارداً وفعل بملك مقيدة كما فعل بملك أريحا، ثم اجتاز يشوع من مقيدة وكل إسرائيل معه إلى لبنة، وحارب لبنة فدفعها الرب هى أيضاً بيد إسرائيل مع ملكها فضربها بحد السيف وكل نفس بها، لم يبق بها شارد وفعل بملكها كما فعل بملك أريحا (يوشع ١٠، ٢٨، ٣٠).

ثم طلب نامارين من الطلبة الإجابة عن السؤالين التاليين:

١- هل تعتقد أن يوشع بن نون والإسرائيليين قد تصرفوا تصرفاً صحيحاً أو غير صحيح، اشرح لماذا اخترت هذا الرأى.

٢- لنفترض أن الجيش الإسرائيلى خلال الحرب احتل قرية عربية فهل هو حسن أو سىء أن يتصرف على هذا النحو مع سكان هذه القرية كما تصرف يوشع بن نون مع شعب أريحا؟ اشرح لماذا؟[1].

---

(١) سمير سمعان- مرجع سابق.

ولقـد اختـار الإبادة الكاملة التى قام بها يوشـع بن نون– نظراً لأن هذا السـفر يحتل مكانة خاصة فى نظام التعليم الإسرائيلى ما بين ٦٦٪ و٩٥٪ وفى تبرير ذلك قال بعض التلاميذ: كان هدف الحرب هو الاسـتيلاء على البلاد من أجل الإسـرائيليين، لذلك فقد تصرف الإسرائيليون تصرفاً حسناً باحتلالهم المدن وقتلهم سكانها، وليس من المرغوب فيه أن يكون فى إسرائيل عنصر غريب: إن الناس من مختلف الأديان يمكن أن يؤثروا تأثيراً لا حاجة للإسرائيليين به.

أما السـؤال الثانى فكانت إجابة ٣٠٪ من التلاميذ بشـكل قطعى نعم– وكتب أحد التلاميذ مبرراً ذلك أعتقد أن كل شيء جرى بشكل صحيح إذ إننا نريد أن نقهر أعداءنا وتوسيع حدودنا ولكننا نحن أيضاً قتلنا العرب كما فعل يوشع بن نون والإسرائيليون.

وكتب آخر: فى رأيى يجب على جيشـنا فى القرية العربية أن يتصرف كما تصرف يوشـع بن نون، لأن العرب هم أعداؤها، فهم حتى فى الأسر سيفتشون عن إمكانية ليبطشوا بحراسهم.

أثارت نتائج هذه الدراسـة ضجة كبرى فى إسـرائيل، والسـبب أنها كشفت بطريقة علمية وموضوعية عنصرية المجتمع الإسرائيلى[1].

فالمناهج التعليمية الإسرائيلية تكرس النظرة الاستعلائية تجاه العرب والمسلمين وتغرس الحقد والعنصرية، لذلك لا نسـتغرب كثيراً أن هؤلاء يتحولون حين يكبرون وينخرطون فى الجيش إلى قتلـة يرتكبون الجرائم والمذابح، ولا يقلون سـوءاً ودموية عن النمـوذج الأبرز فى هذا المجال– شارون[2].

ويخطـئ مـن يتصور أن تغييراً ما حـدث على هذه المناهج بعد اتفاقية أوسـلو وهو ما أقر به الكاتب الإسـرائيلى دانى بارل طال «فى كتابه تأثير عملية السـلام على مضامين كتب التدريس والـذى جـاء فيه» [إن من يعتقد أن تغييراً جديداً طرأ على كتب التدريس منذ عام ١٩٥٣ وحتى اتفاقية أوسـلو تكون خيبة الأمل من نصيبه، وهو ما تأكد له من خلال البحث الذى أجراه عن كتب التعليم بعد أوسلو، وتبين أن التغيرات التى أجريت على المناهج الإسرائيلية لم تكن سوى تغييرات تجميلية، وأن أغلبية الكتب تشـدد على بطولة الشـعب اليهودى وتبرزه بشكل فوقى سـوبر مانى، فهو صاحب قضية عادلة يحارب من أجلها ضد عدو عربى مسلم يرفض الاعتراف بوجود الشـعب اليهودى فى إسـرائيل، كما وأن الحديث عن اليهودى يتم عبر جميع الأوصاف الإيجابية، فهو صاحب أخلاق ميشـر بالتطور والازدهار– بينمـا يفكر العربى دائماً وفقاً لأفكار نمطية سلبية، والتعامل معه يجب أن يتم من خلال إلغاء شرعيته وإنسانيته].

---

(١) سمير سمعان– مرجع سابق.

(٢) سمير سمعان– مرجع سابق.

ليس غريباً أن الكتب الدراسية المقررة من قبل وزارة المعارف والثقافة الإسرائيلية كانت وما زالت ترتكز على تحقيق المشروع الاستيطاني الصهيوني فى المنطقة العربية، الهادف لاحتلال الأرض العربية بعد اقتلاع السكان العرب الأصليين من أراضيهم وأماكن سكناهم وإبادة وتدمير الأشكال والأنماط السكنية العربية، وبناء المستوطنات على أنقاضها وجلب المستوطنين اليهود وتوطينهم فيها، فتقوم سلطات الاحتلال الإسرائيلى وفق منهجية ثابتة تعود إلى التاريخ الاستعمارى- الاستيطانى بوضع اليد والسيطرة الفعلية والمطلقة على كل ثروات وخيرات وكنوز الأراضى العربية ومصاذرة هذه الثروات لتتحول بعد نهبها إلى تكتلات استيطانية، يتقبل الطلبة كل هذه الجرائم بشكل طبيعى بعد أن تربو فى مدارس تفننت فى زرع بذور العنف فيهم، والتى لا تدخر وسعاً فى تلقينهم المبدأ الصهيونى الهادف إلى إعطاء إسرائيل الحق فى ضم الأراضى العربية على اعتبار عدم وجود قدسية لهذه الأرض يحظر معها منحها لليهود.

مع الإيحاء بوجوب ضم أراضٍ ومناطق من الأقطار العربية إلى الدولة العبرية وأن عدم إلحاقها بها هو إجحاف بحق إسرائيل.

فى بحثه عن الصراع الإسرائيلى فى كتب التاريخ المدرسية أكد الباحث الإسرائيلى إيلى يوديا- المحاضر بجامعة حيفا- على أن كتب التدريس الإسرائيلية حالت دون تحقيق السلام مع العرب، وساهمت فى إشعال جذوة الصراع الفلسطينى العربى وكرست حالة الحرب، وحالت دون التوصل للسلام مع العرب ووصف هذه المناهج بأنها منحرفة وأنها تتميز بطغيان الصورة النمطية والأفكار المقولبة، حيال العرب وزرع الكراهية فى نفوس التلاميذ الإسرائيليين إلى حد الاستنتاج بأن ما جرى داخل جدران المدارس الإسرائيلية قد أثر إلى مدى بعيد فى قرار الحرب والسلام لدى قادة الدولة العبرية، وأشار إلى أن هذه الكتب قادت بطريق غير مباشر إلى إثارة الصراع المسلح، وأقر بأن ثلاث أرباع الكتب فى المدارس الإسرائيلية ليست مجازة مما يعنى تعرض التلاميذ إلى مواد أكثر خطورة.

وتوصل أيضاً إلى أن كتب التاريخ تعمق القيم الصهيونية وتغرس الأساطير وسعت إلى شيطنة العرب وتجريدهم من إنسانيتهم مما أدى إلى ترسيخ صورة نمطية لدى الإسرائيليين الذين تظهرهم الكتب المدرسية بصورة الغربيين المتحضرين صانعى السلام مقابل صورة العرب الخونة العدوانيين المتخلفين المجرمين الخاطفين القذرين والمبادرين دوماً نحو التدمير.

من هنا كانت ردود الفعل حول زيارة السادات لإسرائيل والدعوة للسلام غريبة، ما جاء على لسان وزير التعليم السابق زيولون هامر عندما قال هناك زعماء يظنون أنهم إن لم يكونوا قادرين على القضاء علينا فى ميدان المعركة فإنهم سينجحون فى فعل ذلك عن طريق السلام[1].

---

(١) القدس- ٣٠ تموز ٢٠٠٤.

وهو دليل آخر على أن القائمين بالعملية التعليمية فضلاً عن المناهج تكرس جميعها قناعة أن السلام مع العرب يهدد إسرائيل.

هل تتفق هذه المناهج مع ادعاء إسرائيل أنها مدنية؟!

للإجابة بالطبع هى النفى، والمناهج التعليمية خير دليل على ذلك بما تحمله من مضامين عسكرية، ويكفى أن وزارة المعارف تعتمد سنوياً برنامج يقوم على إرسال تلاميذ وأطفال إلى معسكرات تدريب لمدة أسبوع، بالرغم من صغر سن الأطفال المشاركين.

روح العسكرة هى سمة المجتمع الإسرائيلى والذى يعكسه مناهجها التعليمية.. وتصبح الدعوة لثقافة السلام مجرد قناع وأسطورة تضاف إلى أساطيرها الكثيرة.

وليس غريباً فى ظل هذا الوضع أن تغيب مناهج ومبادئ حقوق الإنسان والقانون الدولى واتفاقيات جنيف والمعاهدات الإنسانية فلا تدرس فى المدارس الإسرائيلية، وإنما يتم التركيز على التعصب القومى والتربية الشوفينية التى تتناقض مع جوهر التربية، فالطالب الإسرائيلى لا ينمو فى المدرسة ليصبح إنساناً بل جندياً ومستعداً دائماً للقتال. ولا يتغذى على قيم الإنسانية والتعايش وحوار الآخرين بل على شن الحرب والحقد على العرب فيصبح إما محارباً وإما سجاناً مجرداً من الشخصية الأخلاقية[1].

باعتراف وزير المعارف والثقافة الإسرائيلى هارون برلين بذلك بقوله: المدرسة الإسرائيلية تدرس قيم البطولة اليهودية وإنقاذ الأرض ولم تضع المدرسة أمام الأجيال اليهودية سوى الخدمة العسكرية والنزعة العسكرية. وهو ما دفع البروفيسور الإسرائيلى يعقوب لورخ أن يطلق على وزارة المعارف الإسرائيلية «وزارة الخنق» لأنها تغلق العقول وتنتهج سياسة غير إنسانية تجاه تربية أولاد اليهود لكل ذلك قيل على لسان الباحثين الإسرائيليين: إن المدارس فى إسرائيل لعبت دوراً بارزاً ومهماً فى تشكيل المواقف السلبية تجاه العرب والفلسطينيين وساهمت الكتب الدراسية فى تصعيد الصراع.

بل إن مصطلح (فلسطينيون) مثله مثل الخط الأخضر يبدو غريباً عن كتب التدريس الإسرائيلية... وحولت هذه التربية والتنشئة فى إسرائيل للشباب الإسرائيلى إلى جنود آليين ميكانيكيين بلا مشاعر وبلا أحاسيس لا ترتجف أيديهم عندما يضغطون على الزناد– اعترفت به المحامية الإسرائيلية فيليتيسا لا تفى[2].

بينما يؤمنون بأن الدم اليهودى لا توازيه دماء أبناء الشعوب دون استثناء.

---

(١) عيسى قواقع– الأسرى الفلسطينيون فى الشيفرة الثقافية الإسرائيلية ٢٩.

(٢) المرجع السابق.

حتـى الكتـب والنصوص الأدبية قد خلت من القيم الإنسـانية والتفاعل الوجدانى مع الناس والشـعوب والطبيعة والجماد، وركزت على العسـكرية وإعداد الطالـب للجندية، وكأنها تبنى أجيـالاً مـن معدن وحديـد. فهى تركز على الشـخصية البطولية فى التاريـخ اليهودى القديم، والحديث وصور المحاربين متجاهلة ما تركته هذه الحروب وهذه البطولات من تداعيات إنسانية عـن الآخرين من تهجير وتشـريد واعتقـالات وهدم منازل وقتل وفقر وإذلال متمسـكة بأوصاف عنصرية تحط من قيمة العربى وتثير حق التلاميذ الإسرائيليين عليه.

إسـرائيل بذلـك تحولت إلى جيش له دولـة وليس دولة لها جيش كمـا وصفها الباحث الإسـرائيلى شـاحاك رئيـس عصبة المدنية الإنسـانية فى إسـرائيل وأحد أبـرز المعارضين الإسرائيليين للعنصرية.

فالنموذج الإسـرائيلى لنظام العسـكرة حالة متميزة تصح أن تكون قياسية ونمطية، ذلك لأنها ربما كانت الوحيدة فى العالم القائمة على أسـاس عاملين بارزين هى الدور والبنية. فإسـرائيل تتمتع بدور الشـرطى والجندى المسلح وتمتلك بنية التكتة العسكرية داخل ما هو موجود فى هذا النموذج من بنى سياسـية واقتصادية واجتماعية وثقافية، موظف فى خدمة العاملين المذكورين: الـدور والبنيـة ولكن كل ذلك يتم خلف واجهات ديمقراطية وفـى ظل ادعاءات مصطنعة تتصل بمقولة الأمن المهدد واحتياطاته وضروراته وهذا الأمن هو الذى يغذى أيدولوجياً العنف العسكرى وأنماطه وهو الذى يوجد الذرائع لصعود الحياة العسـكرية وقيمها داخل المجتمع الاسـتيطانى الصهيونى وهو أمر يؤدى الجيش والنخبة العسكرية فيه دوراً هاماً ومحركاً. ويذهب بعض خبراء الشئون العسكرية إلى أن يطلقوا على إسرائيل صفة دولة ديمقراطية العسكر[1].



(١) إحسان مرتضى– العسكريتاريا الإسرائيلية ودور العلاقات بين العسكريين والمدنيين فى إدارة سياسة الدولة. مجلة الدفاع الوطنى.

الفصل الرابع

عسكرة مراكز الاستشراق

الكل فى إسرائيل مسخر لتحقيق أهدافها الصهيونية، ولكل دوره المحدد ربما تختلف الرؤى والاتجاهات والآراء، لكن فى النهاية تصب جميعها لصالح تحقيق هدف واحد.

لا تشذ المراكز البحثية عن هذه المنظومة، بل تسخرها الدولة العبرية بشكل قوى وفعال ومؤثر على صنع القرار. لتتحول إسرائيل بالفعل إلى معسكر كبير، الكل جنود فيه.

للمستشرقين فى إسرائيل دورهم الخطير الذى يؤدونه بمهارة، وخطوط الاتصال موثقة بقوة بين المؤسسات الحاكمة ونخبة كبيرة من المستشرقين تستعين بهم لإعداد تقارير عن القضايا العربية، ويتـم تعيين بعضهم فى مناصب استشـارية هامة ويتولى ضابط كبير فى المخابرات الإسـرائيلية توجيه دراسات المستشرقين بل إن هناك عددا كبيرا من ضباط الجيش لجئوا لهذه المراكز البحثية للعمل فيها بعد تقاعدهم.

عسـكرة المراكز البحثية تشـكل ظاهرة فى إسـرائيل، وتلعب مراكز الاستشراق بشكل خاص دورها بإتقان، ولا تغفل وهى تقوم بذلك التركيز على تشويه صورة الإسلام والمسلمين.

فتدعى على سبيل المثال أن الرسول هو الذى ألف القرآن، وأنه اقتبس من التوراة والإنجيل فى تأليفه بل بالغ البعض بالقول: إن الرسول تأثر بشكل كبير باليهود لدرجة أنه تهود تقريباً!!

افـتراءات ومغالطات وأكاذيب يروج لها للأسـف علماء باحثون مـن المفترض أن تكون أمانة البحـث والدقة والحيادية هى أهم سماتهم، لكن بالطبع لا يمكن تصور فى ظل مجتمع أساسـه عسكرة كل مؤسساته أن يكون فيه مكان للبحث العلمى النزيه.

يظل الدافع الدينى هو أبرز أهم أهداف نشأة الحركة الاستشراقية فى إسرائيل، ويرى البعض أن هناك عدداً من المستشـرقين ينصب اهتمامهم فى المقام الأول حول إضعاف القيم الإسـلامية عن طريق شـرح تعاليم الإسلام ومبادئه شرحا يضعف المسـلم ويقوى فى نفسه الشك فيه كدين وكمنهج سلوكى.

أمام هذا الهدف يتضاءل الهدف العلمى والمتمثل فى التعرف إلى حضارات وفلسـفات ولغات متعـددة لحضـارات البلدان العربية، لكن يبدو أنه حتى هذا الهدف لم يكن خالصاً للعلم فقط أو

للرغبــة فى المحافظة على التراث وتطويره، وإنما للتعــرف إلى أهل هذه البلاد وكيفية تفكيرهم والتعرف على جانب قوتهم لمواجهتها وجوانب ضعفهم لتعميقها[1].

ويظهر ذلك واضحاً من خلال تركيز هؤلاء المستشرقين على الموضوعات التى تتناول الاضطراب العسكرى والسياسى بين المسلمين بهدف تقديم صورة سلبية للمجتمع العربى، هذا بالطبع خلاف منهج التحقيق الذى يتبعه هؤلاء المستشــرقون الذى يفتقد للمنهج العلمى، بل كان يشوبه أخطاء الفهم وتحريف النص[2].

ونشطت حركة المستشرقين الإسرائيليين مع بداية الحركة الصهيونية، بل إن هناك من يؤكد أن الصهيونية اعتمدت بشكل كبير على نتاج المستشرقين اليهود الذين كونوا الإطار النظرى الذى ساهم فى تطبيق الفكر الصهيونى[3]

دور الاستشــراق الإســرائيلى هو بمثابة استمرارية للدور الاستشــراقى بوجه عام والمتمثل فى الاتجاهــات العدوانية تجاه الإســلام: عقيدة وتاريخاً، من هذا المنطلــق ظهر كثير من الكتابات العبرية التى تردد أطروحات الاستشــراق المألوفة حول استلهام النبى محمد صلى الله عليه وسلم لدينه- الإســلام- من النصارى واليهود- فجاء فى كتاب المستشــرق إســرائيل فالزروس يافا- الإسلام: خطوط عريضة[4].

يمكن القول بأنه من المؤكد أنه كانت فى شــبه الجزيرة العربية اليهودية مبدعة عشــية ظهور الإسلام، وينبغى أن نسلم بأنها قد أثرت على العالم الروحانى محمد.

ويبــدو أيضــاً أن قريــب زوج محمد- خديجة- كان معلمه فى هذا الشــأن وأنه أفهمه سـر الباحثين عن الإيمان بإله واحد.

أما المستشــرق الإســرائيلى شــالوم زاوى فيقول: إن هناك حاخامات مثقفين أثروا على محمد الذى تهود تقريباً، كما يزعم أن معلومات محمد القرآنية لا تستند على وثائق أو شهادات مادى لما حدث منذ آلاف الســنين، وإنما على أقوال اليهود والنصارى ووثائقهم الموجودة فى معابدهم بالحجاز واليمن والحبشة.

ويستشـــهد فى هذا المقام بأقوال المستشرق اليهودى جولد زيهر حول صعوبة فهم الإسلام دون القرآن ، والقرآن وحده لا يكفى ومن ثم ينبغى أن نقدر حجم ما أخذه الإسلام من اليهودية[5].

---

(١) د. محمد جلال إدريس- الاستشراق الإسرائيلى فى المصادر العبرية.

(٢) د. محمد جلال إدريس- المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق.

(٥) المرجع السابق.

ما ذهب إليه شالوم زاوى وغيره من المستشرقين الإسرائيليين سبقهما إليه جولد زيهر وإبراهام كانش ورddه آخرون مثل جوستاف لوبون، وتدخل ضمن كتب كاملة تحمل عناوين تفيد ما ذهب إليه المستشرقون الإسرائيليون حيث نجد الزعم باقتباس محمد لدينه من اليهود والنصارى واضحاً فى كثير من هذه الكتب[1].

وهو ما يؤكد على أن آراء المستشرقين العبريين ليست سوى تكرار لمفتريات تفتقر إلى الدليل، فهنا على سبيل المثال المقولة المجوجة والآراء البالية المتكررة «بأن الإسلام حاول نشر دينه بالقوة على وجه الخصوص» وهو ما عبر عنه أيضاً المستشـرق الإسرائيلى حافا لزروس بأن الإسلام نشر بالقوة من خلال رغبته فى تخليص العالم من الضلال الذى يعيش فيه، ولم يستنكف عن استخدام أية وسيلة لنشر دينه بين الشعوب سواء بالقوة أم بالتبشير[2].

أما المستشرق شالوم زاوى فيرى أن «المسلمين يفرقون بين دار الإسلام ودار الحرب، ويجب أن تسلم كل الشعوب بالسيف والجهاد إذا لم يقبلوا دين محمد رسول الله طواعية».

وتقول المستشـرقة أفيفاشـومان عن حروب النبى مع اليهود.. إنها حرب دموية وهى وسـيلة لأسلمة كل السكان».

من السـهل الرد على الاتهام الاستشراقى الإسرائيلى، فنصوص القرآن ذاتها تنفى أية قوة أو إجبار فيما يتعلق بنشـر العقيدة منها «لا إكراه فى الدين» و«لكم دينكم ولى دين» وهناك وسـيلة أخري للرد وهى الرجوع إلى شهادات بعض المستشرقين المستنيرين[3].

فمنهم مونتجمرى وات، والذى يقول: أضحى الغرض من الجهاد لا تحويل أهل البلاد التى تم فتحها عن دياناتهم إلى الإسلام، وإنما إخضاعهم للحكم الإسلامى باعتبارهم من أهل الذمة[4].

ومن آرائه أيضاً: الجهاد قد أدى عسـكرياً إلى توسـيع رقعة الدولة الإسـلامية غير أنه لم يـؤد بصورة مباشـرة إلى تحويل الأقطار المفتوحة عن دينهـا، وبقيت الإدارات المحلية لجماعات الذميين قائمة لم تمس فى معظم الحالات، وهو وضع سـهل عملية تنظيم الدولة تنظيماً سريعاً وفعالاً.

وأفردت المستشـرقة الإيطالية لورافيشـيا فاغليرى كتاباً كاملاً للدفاع عـن التهم الموجهة من الغرب إلى الإسلام جاء فيه:

---

(١) محمد عبد الله الشرقاوى «الاستشراق والغارة على الفكر الإسلامى».

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

(٤) مونتجمرى وات.. فضل الإسلام على الحضارة الغربية، وترجمة حسين أحمد أمين.

[أما إذا زعموا أن الحرب التدميرية كانت هى السبيل الضرورية لفرض العقيدة، وأن الحاجة إلى الفتوح كانت جزءا أساسـياً من طبيعة الدين الإسلامى نفسها، فعندئذ يتعين علينا أن نرفض الاتهام بأن فى اسـتطاعتنا أن نقيم الدليل- اسـتناداً إلى القرآن وسـنن النبى نفسه على أن ذلك بهتان كامل][1].

وفى سـطور أخرى إذا نظرنا إلى ما أوصى به محمد عند الفتوح الإسـلامية الأولى، سهل علينا أن نرى مدى الخطأ الذى ينطوى عليه الاتهام القائل بأن الإسـلام فرض بالسـيف، وأن انتشاره السريع الواسع لا يمكن تفسيره إلا بهذه الوسيلة[2].

وبالرغم من أن المستشـرق جوستاف لوبون يعده البعض من المستشرقين غير المنصفين للإسلام ومع ذلك كان رأيه فى الفتوحات الإسـلامية إن براعة قوادها السياسـية من الخلفاء الراشـدين لا تقل عن براعتهم الحربية التى اكتسـبوها على عجل، فقد اتصلوا منذ الوقائع الأولى بسـكان البلاد المجاورة الأصليين الذين كان يبغى عليهم قاهروهم منذ قرون كثيرة، فكانوا مستعدين لأن يسـتقبلوا بترحاب وحبور أى فاتح يخفف وطـأة الحياة عنهم، فكانت الطريق التى يجب على الخلفاء أن يسلكوها واضحة فعرفوا كيف يحجمون عن حمل أحد بالقوة على ترك دينه، وعرفوا كيف يبتعدون خلافاً لمزاعم الكثيرين عن أعمال السيف فيمن لم يسلم وأعلنوا فى كل مكان أنهم يحترمون عقائد الشعوب وعرفها وعاداتها[3].

لكن يبدو أن آراء مثل هؤلاء المستشرقين لم تلق هوى فى نفوس المستشرقين الإسرائيليين الذين فضلوا تبنى المنهج المتعمد الذى وصم الإسلام بالعنف وإلصاق الكثير من المغالطات به والافتراءات للنيل منه وتشويه صورته.

من هؤلاء المستشرقين العبريين الذين يتبنون هذه المزاعم المستشرقة فيفاشوسان ومن آرائها:

اتجه محمد إلى اليهود بحديث لين، وقص عليهم بنبوءته على نحو ما فعل فى مكة، بالإضافة إلى ذلـك القصص وعظهم، ونبأهم بأنبياء بنى إسـرائيل، لكن كان نصيب محمد السـخرية من اليهود والاسـتهزاء به ومن ثم وجدنا صدى لهذا فى القرآن حيث اتهم محمد اليهود باتهامات مختلفة فيها اتهامه لهم بالتحريف[4].

أما المستشـرق الإسـرائيلى «شالوم زاوى» فهو يسـعى جاهداً إلى إثبات أن القرآن من تأليف محمد ويتضح ذلك من قوله:

---

(١) د. جلال إدريس- المرجع السابق.

(٢) د. جلال إدريس- المرجع السابق.

(٣) د. جلال إدريس- المرجع السابق.

(٤) محمد قطب- شبهات حول الإسلام.

«أشار محمد بتحويل القبلة».

«طور محمد هذه الفكرة فى عدة سور».

فى باقى الآيات يدعو النبى محمد بنى إسـرائيل للإسلام.. وهو يذكر لهم تاريخ إسرائيل من أيام فرعون وخروج مصر والمعجزات التى فعلها موسى[1].

كمـا يحاول «زاوى» الربط بين صيام شـهر رمضان وبين صـوم يوم كيبور عند اليهود، وكيف تأثـر النبـى من فرض صيام رمضـان بهذا الصوم (يهودى) وعلى الرغـم من ضعف العلاقة بين صيام شـهر كامل وصيام يوم، وكذلك نوعية الصيام ذاته، حيث يصوم المسلمون من مطلع الفجر وحتى غروب الشمس، بينما يصوم اليهود يوم كيبور من المساء وحتى المساء، إلا أن تلك المحاولة التلفيقية من قبل هذا المستشـرق العبرى تتفق بوجه عام مع مزاعم غيره من المستشرقين السابقين وتعد تكرارا لآراء سابقة[2].

وتشكك المستشرقة حافا لزروس فى السنة النبوية بقولها: لدينا القليل جداً من الوثائق التى بإمكانها مسـاعدتنا فى معرفة سـيرة محمد بصورة تاريخية.. فالقرآن ليس كتاباً تاريخياً.. وفى أيدينا كتب عديدة للسـيرة، ولكنها ناقصة لأنها كتبت بعد النبى بزمن طويل..... وأقدم كتب السيرة هى لابن اسحق وضعه ابن هشام وتم إعداده بعد وفاة النبى بمائتى عام تقريباً، ولذلك لا يمكن لها أن تكون صادقة لأنها مزيفة بكثير من الأساطير والزيادات، ونفس الوضع ينطبق على الحديث فى الإسلام[3].

وأول ما يلاحظ فى الكتابات الاستشـراقية العبرية هو افتقادها إلى الموضوعية التى ينبغى أن تتسم بها الأبحاث والدراسات الجادة[4].

ومن مزاعم المستشرقة جافا لزروس يافا والتى تفتقد للمنهج العلمى فى أبحاثها وهو ما يتضح مـن خـلال حديثها عن تطور الإسـلام تقول: لقد تطور الإسـلام وبخاصة الفقه الإسـلامى فى العراق وهى بابل فى عصر الجاؤينم خيث كانت الشـيفوت (المدارس الدينية اليهودية) فى قمة ازدهارها، هناك اسـتوعب من روح اليهودية بلا شـك بالرغم من تطوره بصورة مسـتقلة، وتأثره بمصادر أخرى[5].

---

(١) المرجع السابق.

(٢) د. جلال إدريس– المرجع السابق.

(٣) د. جلال إدريس– المرجع السابق.

(٤) د. جلال إدريس– المرجع السابق.

(٥) د. جلال إدربس– المرجع السابق.

أما الحقيقة فعكس ذلك تماماً، فالفقه الإسلامي في العراق على وجه الخصوص وفى عصر أبي حنيفة قد أثر بعمق على اليهودية وخرجت لنا بنتيجة لذلك طائفة يهودية تسمى القرائين، أثبتت فى دراسة خاصة بها تأثير الفقه الإسلامي عليها وبخاصة في قوانين الزواج والطلاق والميراث، بل كذلك فى أركان الإيمان لدى أصحابها[١].

الأخطاء والمغالطات والافتراءات لم تحل دون أن يلعب المستشرقون الإسرائيليون دورا بارزا فى الحركة الاستشراقية، ويرجع السبب فى ذلك إلى تمتعهم بعدة مزايا لا تتوفر لغيرهم، منها أنهم يحملون من الدوافع ما يجعلهم يهتمون بالشرق الإسلامي على وجه الخصوص، ويمتلكون من الوسائل البحثية ما لا يمتلكه غيرهم لارتباط لغتهم وتاريخهم ودينهم بلغة الشرق وتاريخه ودينه، إلا إنهم مع هذا افتقدوا عنصراً هاماً جعل اهتماماتهم ودراساتهم تفتقد المصداقية فى كثير من الأحيان، هذا الشيء هو الموضوعية[٢].

كذلك سيطرت آراء يهودية على المستشرقين الأوربيين، ومن الملاحظ أن حركة الاستشراق اليهودية نشطت بشكل كبير مع بروز الحركة الصهيونية التى اعتمدت على نتاجات كتب ودراسات المستشرقين لدرجة أنها أصبحت بمثابة الإطار النظرى الذى ساهم فى تطبيق الفكرة الصهيونية، فوفرت الحركة الاستشراقية دراسات مختلفة حول تاريخ وجغرافية وجيولوجية فلسطين التى كانت عوناً للحركة الصهيونية وفرت المعلومات لتسهيل مهمة الاستيطان اليهودى[٣].

وكان من أبرز النشاطات الاستشراقية التى مهدت لتحقيق الهدف الصهيونى فى فلسطين صندوق استكشاف فلسطين، وكانت من مهامه القيام بالحفريات الأثرية فى فلسطين ودراسة عادات وتقاليد سكانها[٤].

وكان من الطبيعى أن تنشط حركة الاستشراق الإسرائيلية بسبب أن الدولة العبرية تقع فى تشكيل إقليمى عربى وتعيش فى حالة صراع مع الدولة العربية المجاورة وهو ما تطلب معرفة مكامن القوة والضعف فى الجانب العربى، أيضاً أدى وقوع الحروب النفسية والمعارك العسكرية إلى مزيد من الاهتمام بهذه الحركة، إلى جانب أن إسرائيل أرادت صياغة خطاب صهيونى سلمى فى شكله الظاهرى وموجه للعرب، وخطاب آخر لحملهم على الأخذ بالاعتبارات التى تضعها الصهيونية، وهى صياغة ترتبط بالإدراك الإسرائيلى لرد الفعل العربى إزاء المواقف الإسرائيلية.

---

(١) د. جلال إدريس– المرجع السابق.

(٢) د. جلال إدريس– المرجع السابق.

(٣) د. جلال إدريس– دراسة آخر ساعة.

(٤) د. جلال إدريس– المرجع السابق.

إضافـة إلى ذلك فإن إسـرائيل مضطرة لدراسة العرب والمسـلمين نظـراً للتداخلات التراثية والتاريخيـة بين الحضارة العربية والنتاجات الثقافية ليهود البلدان العربية فى النسـيج الثقافى العربى الإسلامى، كما أن النزاع العربى الإسرائيلى فرض عليها استيعاب اليهود الشرقيين[1].

من أجل كل ذلك سخرت إسرائيل إمكاناتها للنهوض بالحركة الاستشراقية، ومن مظاهر هذا الاهتمام:

دعم المراكـز البحثية مادياً وعلمياً وإدارياً ومعنوياً لتمكين الباحثين من النهوض بالدراسـات الاستشـراقية وتطوير إمكانات وطاقات المستشرقين وتمكينهم من الاطلاع على كل ما يريدون من وثائق وتوفير فرص العمل للباحثين فى هذا المجال، وكذلك العمل على تطوير إمكانيات وطاقات المستشـرقين عن طريقة تقوية الاتصال بالخارج من خلال حضور المؤتمرات الاستشـراقية وغيرها مما يساهم فى الاحتكاك الإسرائيلى- العالمى[2].

كما كلفت المؤسسـات الحاكمة بالقيام بمهام مباشـرة فى مجال التعامـل مع القضايا العربية والفلسـطينية، فتم اختيار بعض المستشرقين لشـغل مناصب استشارية هامة، فعلى سبيل المثال شـغل يهوشفاط هركابى وشـلوموجازيت منصب رئيس الاستخبارات العسـكرية، وكان شلوموا أسـفنيرى مديراً عاماً لوزارة الخارجية أما مناهم ميلسـون فقد شغل منصب رئيس الإدارة المدنية بالضفة الغربية، وكان المستشـرق يوسف جينات مستشـاراً لوزير الزراعة وكبير مساعدى الوزير موشـى أرنز للشـئون العربية حتى آخر عام ١٩٨٦، كما تولى رئاسة المركز الأكاديمى الإسرائيلى بالقاهرة حتى أوائل التسعينات، ومن قبله تولى هذا المركز البروفيسور جبرائيل واربورغ وهو أحد المتخصصين فى الشئون السودانية وكان رئيساً لجامعة حيفا قبل ذلك.

كما يقوم المستشـرقون الإسـرائيليون بتقديم استشـاراتهم للأجهزة الحاكمة فى كافة القضايا الهامة وبخاصة أثناء الأزمات والتطورات السريعة للأحداث[3].

ولأن المجتمع الإسـرائيلى يتميز بشـكل عام بعدم الفصل الدقيق بين ما هو عسـكرى وما هو مدنى، فقلما نجد مدنياً لا يخدم بصورة أو بأخرى- فى أداء مهام عسكرية، ومن ثم شهدت حركة الاستشـراق عملية «عسكرة» تمثلت فى ذلك التعاون الكامل بين مؤسسات الأبحاث الاستشراقية الإسـرائيلية وبين أجهزة الجيش، فالمستشـرقون يساهمون فى الوسط العسكرى بنشاطاتهم، كما أن للعسكريين نشاطاً ملحوظاً فى هذه المؤسسات البحثية، وليس أدل على ذلك من تلك السلسلة

(١) د. جلال إدريس- المرجع السابق.

(٢) د. جلال إدريس- المرجع السابق.

(٣) د. جلال إدريس- المرجع السابق.

الصادرة عن وزارة الدفاع الإسرائيلية والتى نشرت عدة كتب ودراسات عن الغرب وعن الإسلام، ساهم فيها خبراء من خارج الجيش[1].

وتستغل المؤسسات الإسرائيلية الحاكمة جهود هؤلاء الخبراء المستشرقين فى إعداد التقارير الدورية والدراسات الخاصة بشأن القضايا المتعلقة بالصراع العربى الفلسطينى، كما تقوم بتوجيه تلك الجهود بما يتفق والأهداف السياسية والاستراتيجية الإسرائيلية، كما تقوم أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية بتوجيه المؤسسات البحثية المدينة لما يخدم الأمن الإسرائيلى فى مواجهته مع العرب.

وهناك ثلاث مجموعات من المستشرقين الإسرائيليين، الأولى تنتمى إلى اليهود الشرقيين الذين هاجروا من البلاد العربية، والثانية من بين هؤلاء الذين عاشوا ضمن التجمعات العربية فى فلسطين أيام الانتداب ومجموعة ثالثة تضم أولئك الذين درسوا الثقافة الإسلامية من الكتب وفى الجامعات الإسرائيلية وهى أخطر مجموعة من المجموعات الثلاث[2].

ومن أهم المؤسسات الاستشراقية فى إسرائيل، الجامعة العبرية فى القدس والتى تضم العديد من المراكز الإستشراقية أهمها مؤسسة الأبحاث الشرقية، ومعهد بن تسفى للدراسات اليهودية والذى صدرت عنه مؤلفات عديدة تهتم بالشرق فى إطار ما تقدمه من مساهمات للمؤسسات الحاكمة فى إسرائيل.

ومعهد ترومان لدراسات الوفاق والسلام ويضم وحدات متخصصة أبرزها وحدة الشرق الأوسط، وبدأ المعهد فى نشاط إصدار الكتب منذ عام ١٩٧٥ حيث تركزت هذه الإصدارات حول القضايا العربية بعامة والفلسطينة بشكل خاص[3].

وهناك أيضاً معهد مارتن بوبر للتقارب اليهودى- العربى ويهتم بالدرجة الأولى بالنشاط التعليمى للعرب واليهود، وهو بمثابة همزة الوصل بين المؤسسات الحاكمة وبين هؤلاء المنتمين إليه ليحقق فى النهاية المخططات الإسرائيلية تجاه العرب[4].

أما جامعة تل أبيب والتى تأسست عام ٥٦ فهى تضم أيضاً مؤسسات عديدة تعنى بالشئون العربية والإسلامية من أهمها:

معهد شيلواح لدراسات الشرق أوسطية والإفريقية، والذى أسسه أحد المستشرقين من رجال المخابرات الإسرائيلية هو رئوبين شيلواح، وساهم فى تأسيسه إسحق أورون أحد كبار ضباط الجيش

(١) د. جلال إدريس- المرجع السابق.

(٢) إبراهيم عبد الكريم- الاستشراق وأبحاث الصراع لدى إسرائيل؟

(٣) إبراهيم عبد الكريم- المرجع السابق.

(٤) د. جلال إدريس- المرجع السابق.

الإسرائيلى، ويضم المعهد دوائر خاصة بكل من مصر وسوريا والعراق والسودان وإيران، وهو يمثل مصدراً أساسياً من مصادر العلوم والمعرفة التى تستفيد منها المؤسسة الإسرائيلية الحاكمة[1].

وهناك أيضاً مركز يافيا للدراسات الاستراتيجية- جامعة تل أبيب- والذى تأسس عام ١٩٧٧، ويخدم بالدرجة الأولى المؤسسة الحاكمة حيث يقوم بإعداد الدراسات المتعلقة بالمشاكل الأمنية للدول الأخرى، ويساهم فى إدارته رجال الأمن الإسرائيلى والاستخبارات العسكرية، ومن أبرز نشاطاته تلك الأبحاث الخاصة بجيوش الشرق الأوسط واتجاهات الرأى العام فى دول المنطقة[2].

وتضم جامعة حيفا التى افتتحت عام ٦٤ عدة معاهد لها طابع استشراقى أبرزها معهد الدراسات الشرق أوسطية، والذى أصدر منشورات عديدة حول المعتقدات والعادات العربية والإسلامية.

ومعهد أبحاث الجولان- كتسرين، والذى يتعدى نطاق عمله إلى الأبحاث الاستشراقية والاقتصادية، حيث يساهم إلى حد كبير فى الموضوعات المتعلقة بتقوية الاتجاه الإسرائيلى فى الصراع مع العرب، بهدف الاحتفاظ بالجولان المحتلة[3].

وبالرغم من أن حركة الاستشراق الإسرائيلى تظهر فى شكل يهدف إلى إثبات ما يسمى بالحقوق التاريخية لليهود فى فلسطين، إلا إنه يتخذ لتحقيق هذا الهدف (دراسات دينية استشراقية، الأمر الذى يؤكد وجود دوافع دينية تضافرت مع الدوافع القومية، وليس بالضرورة هنا أن تتفق الدوافع الدينية فى شكلها أو أساليبها مع نظيرتها فى أوربا النصرانية[4].

وهناك عدة نماذج توضح إلى أى مدى روج المستشرقون الإسرائيليون للمزاعم والافتراءات وتعمد تشويه صورة الإسلام ونبيه.

كتب عزرائيل، لباخ الأكاديمى الإسرائيلى الإسلام هو أسوأ أنواع الطاعون، وأنه حيث تسود السيكولوجية الإسلامية تجد السيطرة للطغيان والعدوانية المجرمة، ويقول كالحظر يكمن فى تصورهم (المسلمين) الاستبدادى للعالم من حبهم المتأصل للقتل فى دمائهم، من افتقارهم إلى المنطق من أدمغتهم سريعة الانفعال، إنهم جميعاً عاطفيون ومختلون ومنعدمو العقل[5].

إن الإسلام عدو كل تفكير مثمر، وكل زمام مبادرة طيب، وكل فكرة منتجة، إنه لم يقدم قط أى صيغ فى الماضى، ولن يقيم أى جميل فى المستقبل، إنه الظلام والرجعية والسجن لخمسمائة مليون إنسان.

---

(١) د. جلال إدريس- المرجع السابق.

(٢) د. جلال إدريس- المرجع السابق.

(٣) إبراهيم عبد الكريم- المرجع السابق.

(٤) د. جلال إدريس- المرجع السابق.

(٥) إبراهيم عبد الكريم- المرجع السابق.

حركة الاستشراق الإسرائيلية- كغيرها من الحركات الاستشراقية جميعها تعانى من العديد من الظواهر السلبية أهمها الضعف العلمى العام للمستشرقين وضعف التكوين اللغوى للمستشرق المعاصر والضعف الفكرى والأيديولوجى للمستشرق، وغياب المستشرق التقليدى وسيطرة علماء الأقليات من اليهود والشيعة على مراكز الشرق الأوسط، بالإضافة إلى ضعف الانبهار بالشرق وحضارته.

أمام حركة الاستشراق الإسرائيلية نجد أنفسنا بصدد عدة خيارات: إما أن نرفض هذه الظاهرة إيثاراً للراحة ودرءاً للعناء، ومن ثم نقلد النعامة فى دفن رأسها فى الرمال عند مواجهة الأخطار[1].

وإما أن نقبله دون تحفظ لاغين عقولنا وأفكارنا متعمدين غض الطرف عما فيه من مضامين أيديولوجية أو سياسية أو ثقافية.

وإما أن نقوم بعملية نقد إيجابى موضوعى له، فنأخذ منه أو نرفض وفقاً لأسس ومعايير لا تخضع للأهواء، أى نعد أنفسنا لمواجهة إيجابية مع هؤلاء المستشرقين، وإذا كنا نرفض الخيار الأول لسلبيته وأضراره، فإننا نرفض الخيار الثانى كذلك لخطورته على الشخصية الاستشراقية، وعليه فليس أمامنا من سبيل سوى المواجهة الإيجابية المتمثلة فى الخيار الثالث[2].

من هنا كان من الضرورى دراسة الكتابات الاستشراقية ونقدها.

أول ما يلفت النظر فى هذه الدراسات هى تبنيها للفكرة الصهيونية والعمل على نشرها من خلال استغلال النصوص القرآنية بخاصة، فى محاولة لإقناع المسلمين بهذه الفكرة، فالاتجاه العام فى هذه الدراسات يقر بوجود تشابه كبير بين اليهودية والإسلام من ناحية واعتراف الإسلام بالميراث اليهودى المتمثل فى التوراة من ناحية أخرى، وتأكيد هذه القضايا بصورة مستمرة من ناحية ثالثة لتهيئة النفوس لتقبل النتيجة التالية: أنه ما دام هناك تشابه فلا بد أن يكون هناك اتفاق بين الديانتين وأتباعهما فى كثير من القضايا، وما دام القرآن الكريم بنصوصه يعترف ببنى إسرائيل فلابد للمسلمين أن يقروا بذلك، وما دام القرآن بخاصة والإسلام بعامة استقى أسسه من الفكر اليهودى فلا مانع إذن من اتباع هذا الفكر حديثاً[3]

ففى محاولة لكسر حدة الموقف الإسلامى اليهودى، يقول المستشرق شالوم زاوى مطلوب إعادة تفسير القرآن ونقده تاريخيا من قبل المسلمين ليعرفوا ما يدينون به لليهودية ولبنى إسرائيل.

ولتخفيف حدة الصراع الإسلامى- اليهودى- الصهيونى ينبغى على المسلمين أن يلقوا بتراثهم خلف ظهورهم ويعيدوا النظر فى موقفهم تجاه الشعب المختار، وفى أثناء ذلك عليهم أن يَعُوا

---

(١) د. جلال إدريس- المرجع السابق.

(٢) د. جلال إدريس- المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

الحقيقة، وهى أن هذا الموقف القرآنى المعادى لليهود لا ينطبق على يهود روسيا ورومانيا والفلاشا وأمريكا وغيرها، إنما هو زمنى مؤقت، كان خاصاً بيهود الجزيرة العربية، حيث لا دليل على صلة نسب بين الصهاينة المعاصرين وبين هؤلاء اليهود فلا ينسلخ على (إسرائيل) المعاصرة أى حكم من أحكام الإسلام[1].

ويقول زاوى أيضاً: لا توجد آيه فى القرآن تقول بأن الأرض المقدسة للمسلمين وإن كان هؤلاء قد احتلوها خلال مئات السنين كما فعل من قبلهم اليونان والرومان والبيزنطيين، والآيات تلزم المسلمين الاعتراف بالحقيقة التاريخية التى أكدها الوحى فى التوراة والقرآن: الأرض لبنى إسرائيل.

وتركز الكثير من دراسات المستشرقين على الإقرار بحق اليهود فى العودة إلى فلسطين منها الدراسة التى قام بها شالوم زاوى- المصادر اليهودية فى القرآن- والتى جاء فيها:

أرض إسرائيل الصغيرة الموعودة لذرية إبراهيم وإسحق ويعقوب، والمعدة للشعب العبرى، وبعد ألف وتسعمائة عام فى المنفى قامت مرة أخرى وأصبحت وطناً لهذا الشعب الذى عانى أكثر من أى شعب آخر خلال تاريخه الطويل من الاضطهاد والمطاردات من معسكرات التجميع والموت.

ويقول أيضاً فيها: هناك أهمية كبرى لأن يتصالح المؤمنون بالإسلام مع اليهود ودولة إسرائيل، إن الإسلام والقرآن يستمدان جذورهما من التوراة.

ويضيف:

لقد جاء القرآن ليصدق توراة موسى، فهل يقبل كل توراة موسى بما فيها الوعد الإلهى لشعبه المختار دائماً بأرض الآباء، الأرض المقدسة.

وتهدف الدراسات الاستشراقية الإسرائيلية أيضاً إلى استخدام كل الأساليب لترويج أكاذيبها الخاصة بالقدس وبأنها يهودية وليست عربية.

يقول زاوى فى دراسته:

ليس هناك مرة واحدة ذكر فيها اسم أورشاليم فى القرآن، وبالطبع لا يوجد فيه ما يثبت أن القدس والأرض المقدسة وعد الله بها المسلمين أو الأمة العربية.

أما المستشرقة فالزروس فتذهب إلى الادعاء بأن تقديس القدس فى الإسلام هو جزء من التأثير العام لليهودية والنصرانية على بدايات الإسلام، ودليلها على ذلك أن المسلمين الأوائل اتجهوا للصلاة إلى القدس ثم حولوا قبلتهم إلى مكة، ومع ذلك حظيت القدس بمكانة مقدسة وحظيت ببعث خاص ذى طابع عربى فى فترة لاحقة؟[2]

---

(١) د. جلال إدريس- المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

وقضيــة القدس فى رأيها مــن القضايا الصعبة ومحل الاختلاف– على حد قولها– بيننا وبين جيراننا المسلمين، فالقدس مقدسة لدينا ولديهم على حد سواء.

وتتساءل كيف أصبحت مقدسة لدى المسلمين؟ وكيف دخلت دائرتهم الدينية وما هى مكانها لديهم؟ وهل كان كل المسلمين متفقين على تقديس القدس؟ أو أن هناك من يعترض على ذلك؟

ثــم تخلــص إلى قناعتها الغربية بأن تقديس القدس فى الإســلام جاء كجــزء من التأثير العام لليهوديــة والنصرانية عليــه، وترى أن الفتح العربى للقدس على أيدى الجيوش التى انتشــرت فى شــبه الجزيرة العربية، وهذا الحدث التاريخى الطارئ هو الذى أعطى دفعة جديدة لتقديس القــدس فى الإســلام، مؤكدة على أن اليهود ســعدوا بهذا الفتح الإســلامى المقــدس، ورأوا فيه الخلاص من الاضطهاد البيزنطى[1].

ليس غريباً أن تواصل افتراءها أيضاً بأن الهدف من بناء مسجد قبة الصخرة هو محاولة إسلامية لمنافسة كنائس بيزنطة، وأن بُناته كانوا من غير المسلمين ومن البيزنطيين النصارى ومن اليهود.

تقول فى كتابها:

[الســبب الأول لإقامة مســجد قبة الصخرة دينى واضح، فقد تقدست أرض إسرائيل بعامة، والقــدس على وجه الخصوص، وأخذ ذلك كثيراً فى الفكر الإســلامى فى إطار انتشــاره وتطوره ســواء من الناحية الدينية أم الجغرافية، وكلما اســتوعب الإسلام بلدان العالم التى يقتصها كلما عمل على أســلمة القيم التى استوعبها ومنها تقديس أرض إسرائيل بناتها ومياهها والحياة فيها وتبجيل الدفن فيها وما شابه ذلك.

أما السّبب الثانى لإقامة مســجد الصخرة فهو دينى أيضاً لكنه من نوع مختلف تماماً، وربما كان ذا طابع سياسى إلى حد ما، لقد عرف الإسلام من خلال فتوحاته خارج شبه الجزيرة العربية العديــد من الكنائس الضخمة الرائعة، لقد أراد إقامة مســجد له ينافس روعة كنائس النصارى، ومن ثم أقيم مســجد قبة الصخرة على ما يبدو بمســاعدة بنائين محليين نصارى وبيزنطيين وربما بمساعدة اليهود كذلك، حتى يثبت تفوق الإسلام على الأديان التى فتح أراضيها، ويلغى تواضع مبانى المساجد السابقة فى مواجهة الكنائس النصرانية].

وتشكك فى قصة الإسراء والمعراج فتقول: [كانت القصة فى البداية موجزة، لكن كل جيل من الأجيال طورها بأفكار عجيبة ومعجزة، وهكذا تقص علينا الروايات التقليدية الإسلامية:

ذات ليلــة جاء الملــك جبريل إلى بيت محمد فى مكة، وأحضر الملــك معه دابة رائعة توصف كالبغل، وكانت هذه الدابة غير طبيعية، ذات أجنحة نســر، وذيل طاووس، ووجه امرأة تكللها

(١) د. جلال إدريس– المرجع السابق.

أحجـار كريمـة وذهب وفضة، ركب محمد ومعـه جبريل على هذه الدابة المدهشـة من مكة إلى القدس، وقد ذكر اسم هذه الدابة فى المصادر الإسلامية «البراق» وهناك من الباحثين من يعتقد صلة كلمة «برق» أو الحصان الأبرق الذى يركب عليه وفق معتقداتنا- المسيح عند مجيئه إلى القدس.

وطبقاً للروايات الإسـلامية المتأخرة، ربط محمد دابته إلى الحائط الغربى للهيكل عند صعوده من جبل الهيكل إلى السماء، لذلك سمى هذا الحائط حتى اليوم بالعربية (البراق) وقدسه المسلمون كذلك، وفى أعقاب رؤى أخروية يهودية ونصرانية وصف صعود محمد إلى السماء وزيارته برفقة الملـك جبريـل، والأنبياء السـابقين، وقد رأى فى رحلته العجيبة هـذه جنة عدن وسمع صوت الله، بعد أن أزيلت من أمامه عشـرات الآلاف من الحجب النيرانية عبر محمد عـند خضـوعه لأمر الخالق بتعبير بنى إسـرائيل على جبل سـيناء، حيث قال: «نعمل ونسمع» وتذكر المصادر الأسـطورية أنه حتى ذلك الوقت تلقي محمد نصائح موسـى حول كيفية تأسـيس دينه الجديد والاكتفاء بخمس صلوات فى اليوم بدلاً من خمسين مثلما أراد قبل ذلك.

وتخليـداً لذكرى صعود محمد من القدس إلى السـماء فقد تحـدد أيضاً عيد خاص عيد المعراج فى السـابع والعشرين من الشهر السابع حسـب التقويم الإسلامى، ومن هنا أثمر الأدب العربى المكتوب حول القدس قصصاً عديدة من مصادر غير إسلامية.

وكان للبعد السياسـى أثره على ازدهار تعظيم القدس فى الإسـلام، وربما كان تعظيم الإسلام للقـدس قليـلاً لو لم ينظر إليها بـل ومدوا إليها أيديهم ليحتلوها، هكـذا كان الحال فى بواكير العصور- فيما يتعلق ببيزنطة- وهكذا كان احتلال القدس، فى أواخر القرن الحادى عشـر على أيدى الصليبيين. لقد سـاهم هذا الاحتلال مسـاهمة كبرى فى ازدياد تعظيم القدس فى الإسلام. وبعـد فترة من سـقوط المدينة فى أيدى النصارى وتحويل المسـاجد القائمة على جبل البيت إلى كنائس ثار علماء المسلمين ودعوا للجهاد لاستعادة القدس من أيدى النصارى.

وصاحـب هذه الثورة نوع من الإنتاج الأدبى الخـاص كان معروفاً من قبل وهو الإنتاج الأدبى الخـاص بفضائـل القدس، ولكن إذا كانوا قد كتبوا من قبل عـن فضائل القدس كمدينة من مدن المنطقـة فإنـه منذ تلك اللحظات تحول أدب فضائل القـدس إلى أدب دينى هام يعبر عن تعظيم القدس فى الإسلام].

إن الملاحظ هنا أن الكاتبة وقعت فى عدة أخطاء وهى: أنها لم تستشـهد بأية مراجع علمية لتسـتقى منها ما نسـبته للباحثين أو المسـلمين، ولم تبين لنا مصادر الروايات التى روتها وتضم مـن خلالها ما ليس فى الصحيح من الأخبار، كما أنها خضعت لمنهج التأثير والتأثر الذى غالباً ما يؤدى إلى زلات علمية خطيرة.

كما أنها ساقت بعض الآراء الخاطئة منها أن المسلم يتجه إلى الجنوب فى قبلته، وأن بناة مسجد قبة الصخرة كانوا من غير المسلمين، وأن هذا البناء تم كمحاولة لمنافسة الكنائس ببيزنطة، وأن هناك عيدا للمسلمين يسمى عيد المعراج، كما تناولت فى قصة الإسراء والمعراج تفاصيل لا نعرف مصادرها ورأت فى هذه القصة أسطورة حولها المسلمون إلى «حقيقة تاريخية» كما ربطت بين تعظيم وتقديس القدس عند المسلمين والأوضاع السياسية على مر التاريخ[1].

أما أحدث المدارس الاستشراقية والتى يتزعمها المستشرق اليهودى الأمريكى برنارد لويس والذى يعد الممثل الرئيس للمستشرقين الجدد، هؤلاء الذين يعتبرون الإسلام وأتباعه يشكلون خطراً على الإنسانية ومن ثم يجب أن تتوحد ضده كل الدول والمجتمعات التى تؤمن بالحضارة والتطور والسير نحو العالمية، يشدد برناردو لويس على أن المسلمين يشكلون خطراً عظيماً على الإنسانية مثل خطر ستالين وهتلر، وأن تنامى الإسلام ودوائره المرعبة أمر خطير لا يمكن السكوت عنه. لأن هذا التنامى فى العالم الإسلامى من جهة والمجتمعات الغربية عن طريق زرع الطابور الخامس من جهة أخرى يصنع خطراً محدقاً بالحضارة الغربية من الداخل والخارج.

لم يكن غريباً على لويس وهو المؤسس لفكر المحافظين الجدد المسيطرة على الإدارة الأمريكية والموجهة لسياستها لخدمة إسرائيل ومصلحتها- لم يكن غريباً أن يدافع فى مؤلفاته عن الصهيونية مؤكداً أنها ليست حركة عنصرية فى الأساس ولكنها شكل من أشكال القومية أو هى حركة التحرر الوطنى بالمصطلح الحديث، وهى كغيرها من الحركات تجمع تيارات مختلفة بعضها نابع من العرف والضرورة والبعض الآخر حملته إليها رياح التغيير والأنماط الدولية.

وفى كتابه الشهير «أزمة الإسلام» والذى صدر بعد أحداث سبتمبر ٢٠٠١ استند لويس على عدة مبادئ هى: عدم ادخار أى جهد لإلحاق أى وصمة عار بالإسلام والمسلمين وإبراز صورة إسرائيل بوصفها أفضل ممثلة للحضارة الغربية فى الشرق الأوسط.

ويعمد فى كتابه هذا إلى التقاط بعض الشواهد الفردية ويقوم بتعميمها على التاريخ الإسلامى، منها: زعمه أن اهتمام المسلمين بمدينة القدس اهتمام محدث يعود للقرن ١٩.

ومن أخطر آرائه أن معظم المسلمين ليسوا من الأصوليين، كما أن معظم الأصوليين ليسوا إرهابيين، لكن معظم الإرهابيين فى عصرنا من المسلمين.

الإسلام فى نظر لويس هو العدو الجديد للغرب. ويشكك فى أن الصراع العربى- الإسرائيلى يمثل القضية المركزية للعرب، ويرى أن تضخيم الصراع تتم عن عمد من مثل الأنظمة الغربية التى

---

(١) د. جلال إدريس- المرجع السابق.

وجدت فيه متنفساً للقمع الذى تمارسه ضد شعوبها، وأن هذه الشعوب هى التى تفرز النوعية الاستبدادية من الحكام.

ومن هنا يرى أن بنية المجتمعات الإسلامية تسمح بانتهاكات الحقوق المدنية والسياسية ومن غير المنتظر أن يكون للديمقراطية وجود حقيقى فى العالم العربى.

ومن الواضح أن الاستشراق العبرى لم يفتقد فقط للتأصيل العلمى، ويقع كثيراً فى أخطاء الفهم والتأويل والترجمة، إلا أنه أيضاً يضم بين جوانبه خطورة شديدة تتعلق بجوهر حياتنا وبقائنا. فهناك محاولات يهودية مستمرة لتشويه الإسلام فى إطار محاربته والقضاء عليه، من خلال نشر الآراء الخاطئة وتعمد توجيه الاتهامات الباطلة إليه، بل هناك اتجاه جديد تمثل فى استغلال الإسلام ذاته لتحقيق الأهداف الصهيونية الرامية للإقرار بدولة إسرائيل والاعتراف بالفضل اليهودى على الإسلام والمسلمين[1].

فكثير من المستشرقين المتعصبين للتاريخ اليهودى تبنوا وجهة النظر التوراتية فى قراءتهم المتعصبة لتاريخ المنطقة العربية وآدابها ومعتقداتها، وحضارتها بل وحاولوا توظيف علم الآثار والتنقيبات فى فلسطين لتأكيد ما ورد فى النصوص العبرية المقدسة[2].

من هنا كانت دعوة مجموعة من الباحثين إلى إعادة كتاب تاريخ المنطقة العربية خاصية التاريخ الفلسطينى معبراً عما اعتبروه مسلمات المستشرقين المنطلقة من العهد القديم. كما دعوا للاستفادة من جهود المؤرخين الجدد فى إسرائيل الذين قدموا وجهة نظر للتاريخ اليهودى لا تتناقض تماماً مع التوجهات العربية.

ومن المعروف أن الارتباط بين نظرة المستشرقين الدارسين للتراث المادى والروحى وبين أهداف الصهيونية ارتباط وثيق، وكثيراً ما اعتمد هؤلاء فى دراستهم لتراث فلسطين القديم وغيره من تراثيات الشعوب العربية القديمة معتمدين على آراء المستشرقين وإرهاصات غريبة بدأها علماء الغرب وهى تمتلئ بالسم والزيف وقلب الحقائق. وتهدف فى المقام الأول إلى تثبيت ما جاء فى الكتاب المقدس (التوراة) لتدعيم وجهة النظر القائلة بأن فلسطين حق مشروع لأصحاب هذه التوراة[3].

أما المناهج المعتمدة فى دراسة التراث فهى الاعتماد على دراسة النصوص الأثرية الكنعانية وغيرها لإثبات ما جاء فيها قدر ورد فى التوراة، الأثرية الكنعانية وغيرها لإثبات ما جاء فيها قد ورد فى التوراة، وأن التوراة هو الأصل التدوينى والنصوص الكنعانية وكشوفاتها هى فروع

---

(١) د. جلال إدريس- المرجع السابق.

(٢) د. مصطفى عبد المعبود، أستاذ الأدب العبرى، ندوة ترجمة المصادر التاريخية فى اللغات الشرقية مايو ٢٠٠٦.

(٣) التراث الفلسطينى بين نظرة المستشرقين والحقائق التاريخية (منتدى التراث الفلسطينى).

وتابعة. والاعتماد أيضاً على دراسة التوراة ومن ثم دراسة النصوص الكنعانية ليقال: إننا على ضوء الكتاب المقدس نستطيع حل رموز حضارة فلسطين وتراثها التى هى حق لليهود، وثالثاً الاعتماد على دراسة مكتشفات الآثار العربية والآشورية البابلية ليقال: إننا مع رأى القائل بأن اليهود يساهمون منذ أقدم العصور فى بناء حضارة الشرق لا سيما فى سوريا وفلسطين والأردن ولبنان والعراق ومصر، أى المنطقة التى يحددها حاخامات اليهود لتكون إسرائيل الكبرى وبالتالى يصبح لليهود دور فى بناء وتثقيف هذه الشعوب والحفاظ على مدوناتها.

والهدف من كل ذلك هو إثبات أن التوراة هى أقدم ما دون عن التاريخ التراثى للمنطقة وهو المرجع الأساسى لمعرفة كل ما يتعلق بماضى المنطقة وأن اليهود هم أقدم المتحضرين والمؤثرين فى مجرى أحداث الشرق وما عداهم شعوب متخلفة، متوحشة تحتاج دائماً لعبقرية اليهود وأفكارهم[1].

ولما كان اليهود يمدون أخطبوطهم إلى كل مكان وإلى كل عقل فإنهم استطاعوا التأثير على المستشرقين المسيحيين والذين أصبحوا بلا أدنى شك يؤمنون أن التوراة هى أساس الديانة المسيحية وهو المصدر الأساسى الوحيد لتدوين التراث التاريخى والدينى والأسطورى والاجتماعى فى العالم.

ومن خلال ذلك يبدو الخطر واضحاً من خلال أحادية الرؤية والقدرة على التأثير ومتابعة دراسة تراث فلسطين من جانب واحد وحسب رأى واحد هو رأى الجانب اليهودى الصهيونى والاستشراقى الذى ينضم إليه. وأمام ذلك فهو يحورها ويزورها حسب هواه ونحن غافلون عما يحدث من عبث فى أغلى ما يعزز وجودنا وهو التاريخ التراثى لشعبنا وأمتنا[2].

لذلك جاءت دراسة التراث الفلسطينى العربى على يد المستشرقين، كانت أشبه بمن يضع السم فى الدسم.

والمخيف أن هؤلاء صدروا كتبهم ودراساتهم لنا وضمن زمن بطىء بأسلوب يقال عنه (علمياً) حتى نصل بالنهاية إلى اقتناع أن لليهود الحق فى أرض فلسطين، ولما لم تكن الدراسات الواقعية موجودة أو محاربة فى العالم الغربى فإن ما يصلنا عن حقيقة تراث فلسطين يظل مشوشاً فى الأذهان لا تدعمه النظرة الموضوعية ولا الوثائق الواقعية التى نستطيع من خلالها- الصمود- تراثياً أمام الأخطبوط الصهيونى ومن هنا يأتى الرد الصحيح على كافة هذه الدراسات المستهدفة لخلق الاقتناع بأن فلسطين حق لليهود وليس للعرب[3].

---

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

إزاء ذلك لابد من التدقيق الواعى بما يكتبه هؤلاء المستشـرقون والباحثون عن تراث فلسطين، والكتابة الجادة والموثقة والمدعمة، والداحضة لمزاعم أحقية اليهود فى التراث الفلسطينى، وتدعيم وجهـات نظر الكتاب المنصفين فـى أوربا وغيرها، وتدوين المأثورات وحفظ الآثار والشـفاهيات الكنعانية وغيرها الداعمة للبحث العلمى الذى يبرهن على صحة الواقع.

فمهما زعم المستشـرقون ومهما حاولوا فإن حقائق الكشـوقات والدراسات التراثية تقف صلبة ثابتة إلى جانب الحق العربى الفلسطينى فى امتلاك تراثه والدفاع عنه ودحض المزاعم الصهيونية ورفضها أمام العالم(١).



---

(١) المرجع السابق.

الفصل الخامس

الأدب العبرى يكرس لثقافة الحرب

منذ اللحظة الأولى لميلادها سخر الأدب نفسه لتثبيت الأفكار الصهيونية وتشويه صورة العربى فى محاولة لإثبات مزاعمهم الكاذبة بأنهم شعب بلا أرض جاءوا ليسكنوا أرضاً بلا شعب.

وفــى البداية لعب الأدب العبرى دوراً كبيراً لمحاولة رفع معنويات المهاجرين الأوائل خاصة بعدما شــعر بكذب الشعار الصهيونى الذى أوهمهم بأنهم ذاهبون إلى أرض اللبن والعسل، لكنهم وجدوا أنفسهم فى جيتو أسوأ من الجيتو الأوربى الذى تركوه.

بعــد ذلك بدأ الأدب يعبر عن أشــكال المقاومة الفلســطينية التى رفضــت المهاجرين الأوائل واصطدمــت بهم، ومن ثم شــكلت هــذه المقاومة أحد الموضوعات الأساســية التى تناولها الأدب العبرى فى فلسطين فى البداية(1).

وبالطبع ســخر الأدب نفسه لخدمة الأفكار الصهيونية وتعمدت القصص العبرية تشويه صورة العربى والتقليل من شأنه وإظهاره بصورة همجية وحشية(2).

وبالرغم من أن الأدب فى التجربة الإنســانية وعلى مر التاريخ الإنســانى الطويل كان – ولا يزال– وســيلة الإنســان للدفاع عن الجمال والخير والقيم الإنسانية النبيلة ونافذته للتمتع بالتجربة الإنســانية وســبر أغوارها والتعرف إلى أسرارها وآلامها وأفراحها فإن تجربة الأدب الصهيونى هى التجربة التى شذت عن مسار الأدب الإنسانى عبر تجاربه الطويلة الغنية. وقد تكــون الأولى من نوعها التى توظــف الأدب للقيام بعمليات تضليل كبرى تربى عليها أجيالا متعاقبة من الإســرائيليين معبأة بالكراهية والحقد واحتقار الآخر، مزودة بالأكاذيب والتاريخ المزور والأضاليل(3).

ومــن ثــم يصبح من الصعــب على هــؤلاء أن فقهوا معنى الســلام أو أن يحترمــوا متطلباته وشروطه.

---

(1) دراسة د. محمد أبو غدير– سلسلة تحقيقات– آخر ساعة ٢ فبراير ٢٠٠٣.

(2) المرجع السابق.

(3) د. لطيفة النجار، مقال ٧– ٦– ٢٠٠٦ على موقع المجموعة ١٩٤.

والأدب العبرى أو الكتابات العبرية بصورة عامة هى ثمرة لعقلية إسرائيلية تختزل فى داخلها تجارب وخبرات مختلفة مرت باليهود منذ ظهورهم فى المنطقة الممتدة ما بين بلاد النهرين وحتى فلسطين الحالية تحت مسميات شتى تبدأ بالعبرانيين ثم اليهود وأخيراً الإسرائيليين[1].

وقد امتدت هذه المسيرة قروناً عديدة اصطدم اليهود خلالها بأمم وشعوب بادلتهم العداء والكراهية بسبب تمسك اليهود بمجموعة من المعتقدات والأساطير التى تجعلهم شعباً مميزاً لا يشبه الآخرين فى شىء حتى اعتبروا أن الله سبحانه تعالى هو رب اليهود فقط، وأنهم شعب الرب، أما الآخرون فهم من وجه نظرهم خارج هذا الإطار الذى يجمع بينهم فقط وبين الرب فى علاقة أزلية يحدد مسيرتها ويوجهها ما يسمى بالميثاق أو العهد الموقع بين رب إسرائيل وشعبه[2].

من هنا نرى أن اليهود عبر التاريخ قاموا بتحديد إطارها حتى لا يجمعهم بالأغيار من غير اليهود، والذين هم من وجهة نظرهم- بعيدون عن رحمة الله ومحبته، وكان طبيعياً أن يؤدى هذا إلى نوع من القطيعة أو الريبة المتبادلة بين اليهود وشعوب العالم كافة. وساعد على ترسيخ هذا النهج، ما تعرضت له الجماعات اليهودية خلال قرون من تجوالها فى أوروبا من ممارسات اتسمت فى بعض الأحيان بالشدة والغلظة، والتى نبعت فى أغلب الأحوال من العداء المختزن فى قلوب المسيحيين تجاه اليهود باعتبارهم من نسل هؤلاء الذين تربصوا بالمسيح عيسى بن مريم وكانوا سبباً فى النهاية التى آل إليها[3].

وإلى أن بدأت الهجرات الصهيونية الحديثة إلى فلسطين منذ بدايات القرن العشرين لم يكن المسلمون يحتلون فى الكتابات اليهودية ما احتله غير المسلمين، فحتى هذه الفترة لم يكن المسلمون من المتربصين باليهود أو المطاردين لهم فى كل زمان ومكان، بل اعترفت الأدبيات اليهودية بفضل المسلمين على اليهود نظراً لمعاملتهم معاملة إنسانية كفلت لهم العمل الجسمانى والعقلى، اليهودية تجربة تامة أثمرت صدور العديد من المؤلفات اليهودية التى تعترف فى كل صفحة من صفحاتها بفضل المسلمين تسامحهم مع اليهود[4].

ولخص المفكر الإسرائيلى المعاصر «وان بار أون» النظرة الإسرائيلية اليهودية المتوارثة إلى الأغيار عامة والمسلمين خاصة حين قال: بأنه من المتعارف عليه أننا نحن اليهود تحدد الموقف الخاص

---

(١) د. محمد أبو غدير- المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق.

بنا تجاه الأغيار من غير اليهود، وقد تغير هذا الطرف وتبدل بمرور الوقت إلى أن بات العرب أو المسلمون هم الطرفَ الآخرَ الأساسى والعدو الأول لنا[1].

وسبب هذا التحول فى الموقف الصهيونى من العرب والمسلمين هو الصراع الذى تفجر فى فلسطين بسبب الهجرات اليهودية والمخططات التى استهدفت إقامة وطن يهودى على أرض فلسطين، حتى إن هذا الصراع الذى تفجر على أرض فلسطين شكل فى نظر المؤرخين اليهود مصدر الدفع الرئيسى لبناء المجتمع الاستيطانى اليهودى فى فلسطين، أو كما ذكر دكتور إسرائيل لندراس من أن المجتمع اليهودى الحديث يدين بالشيء الكثير للصراع اليهودى العربى الإسلامى حتى إن الحركة الصهيونية نبذت فكرة الصراع المتوارثة مع الآخرين وجعلته قاصراً على العرب الذين يقفون فى وجه مخططاتها فى المنطقة[2].

وما إن وطأت أقدام المهاجرين اليهود أرض فلسطين أوائل القرن العشرين حتى اصطدموا بمقاومة فلسطينية ورفض متعدد الأشكال لهذا الزحف الذى يهدد مستقبل بلادهم، لذلك شكلت المقاومة الفلسطينية المدعومة عربياً أحد الموضوعات الأساسية التى تناولها الأدب العبرى فى فلسطين.

فكان مطلوب من الأدب العبرى– فى تلك الفترة– القيام بدور لرفع معنويات المهاجرين اليهود خاصة بعد أن شعر بعضهم بكذب الشعار الصهيونى القائل بأنهم ذاهبون إلى أرض بدون شعب، أرض الآباء والأجداد، أرض اللبن والعسل، لذلك بدأ بعضهم فى العودة إلى البلاد التى قدموا منها بعد أن شعروا أنهم تركوا الجيتو الأوروبى ليجدوا أنفسهم فى جيتو آخر أسوأ منه. من هنا عمل الأدب فى ذلك الوقت– على تشويه صورة العربى– والذى اختزل فى مصطلح المسلم– والتقليل من شأنه، فالعرب أو المسلمون فى القصص العبرية التى ظهرت قبل قيام إسرائيل هم قوم متخلفون لا يهتمون بنظافة أجسادهم ولا يعرفون الرحمة أو الشفقة يقتلون اليهود ويسرقون ممتلكاتهم[3].

وبرز الأديب موشيه سميلا نسكى فى هذا المجال وجعل من العرب المسلمين قوم غير متحضرين حتى إن بطل قصته التى تحمل عنوان «سافك الدماء» هو شاب مسلم يعشق ابنة شقيقه الأكبر التى تبادله العشق والغرام وتتفق معه على الزواج، لتتحول هذه القصة إلى أحاديث يومية يرددها جميع أهل القرية التى يعيشون فيها، بل ويتعاملون معها كأنها شيء طبيعى

---

(١) المرجع السابق

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

متعارف عليه وشائع فى الوسط الإسلامى، ويسهب الكاتب فى الحديث فى تفاصيل هذه العلاقة ويتحدث عن المرأة المسلمة كأنها دمية تباع وتشترى[1].

موقف سمبلا نسكى لا يقتصر فقط على تلك القصة وإنما تكرر ذلك فى العديد من قصصه التى تم جمعها فى ثلاثة مجلدات ضخمة حملت عنوان «أبناء العرب».

وإذا كان سمبلانسكى أظهر المسلمين على أنهم قوم متخلفون فإن الأديب «إسرائيلى زرخى» فى بعض أعماله أظهرهم فى صورة البشـر الذين لا يعرفون معانى الإنسـانية ولا يراعون حرمة الموت. فيصف فى إحدى قصصه كيف تصرف سكان إحدى القرى الفلسطينية مع جثث مجموعة من القتلى سقطوا فى معركة وقعت بين الأتراك والإنجليز أثناء الحرب العالمية الأولى– فجاء فى روايته:

أخذ المسـلمون يتسـللون إلى حيث تتناثر جثث القتلى من البريطانيين والأتراك ليجردوهم من كل شـىء ثمين، بل كانوا يقطعون أصابعهم التى بها خواتم ذهبية أو يقتلعون الأسنان المصنوعة من الذهب من أفواه القتلى[2].

وعلى هذا المنوال سـار أغلب الأدباء العبريين فى تعاملهم مع الإنسـان العربى أو المسلم الذى احتل فى أعمالهم القصصية والأدبية نفس الوضع الذى كان يحتله المواطن المسيحى الأوربى قبل بـدء الهجرات اليهودية إلى فلسـطين، حتى إن أحد المفكريـن الصهاينة يعلن بكل صراحة «ألم يكن على بنى إسـرائيل أن يحاربوا أو يقاتلوا أهل فلسـطين القديمة بعد خروجهم من مصر من أجل السـيطرة على الأرض وزراعة كرومها؟ وينتهى بالقول لولا ما فعله اليهود فى فلسـطين من العصر الحديث، لما تسنى لهم زراعة كرومها من جديد وفلاحتها[3]».

وكان من المنتظر أن تتغير طريقة تناول الأدب العبرى بعد قيام الدولة، وبعد أن أصبح لليهود وطن خاص بهم ولديه مؤسسـات وأجهزة عسـكرية ومدنية، ولم يعد سـكان إسـرائيل يعيشون بـين أغلبية غـير يهودية تحيط بهم من كل جانب كما كان الوضع فى مرحلة ما قبل الهجرات اليهودية إلى فلسـطين وقيام الدولة، لكن ما حدث هو العكس حيث اتسع مجال تناول شخصية العربى المسـلم فى الأدب العبرى ليشـمل إلى جانب الفلسطينيين أولئك العرب الذين ينتمون إلى العالم العربى المحيط بإسرائيل، والذى خاض معارك ١٩٤٨ والحروب الأخرى التالية[4].

---

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق.

وتحولت نظرة الأدب العبرى للفلسطينى من إنسان محارب إلى إنسان مستضعف فقد الجزء الأكبر من وطنه، ورحل غالبية أهله إلى الضفة أو القطاع أو هاجروا إلى الدول العربية المجاورة، فأصبح إنسانا بلا وطن وبلا هوية، بعد أن صورته رواياتهم الأولى باعتباره محاربا متربصا باليهود ومهاجماً لمستعمراتهم وقواعدهم العسكرية[1].

ولعب الأدب العبرى دوراً كبيراً فى خلق رأى عام مؤيد لإسرائيل. فقد خدمت رواية المؤلف- أكسودس (الخروج) الدعاية الصهيونية وإسرائيل أكثر من أى كتاب سياسى، ولعل الأثر النفسى الذى أحدثته كتابات وروايات «نيسكر» وهرتزل وأحادها عام لا يقل أهمية عن أثر كتاباتهم السياسية والأيديولوجية. كما ركزت جورج أليوت اهتمامها فى كتابها «دانييل ديروندا» على تفسير اصطلاح شعب الله المختار. وهى ترى أنه يعنى أن الله اختار اليهود لينقذوا الإنسانية، فوجود اليهود هو وجود فى سبيل الشعوب الأخرى. ويذهب البعض منهم أيضاً إلى القول بأن أسبقية الدين اليهودى تعطى للإنسان اليهودى أسبقية فى الوعى والقيمة على بقية البشر.

ويتمتع البطل اليهودى فى قصص العبرى بقدرات خارقة وبطولة غير عادية. ويمكن للمرء أن يدرك ذلك فى ضوء كون الإله يقف إلى جانب هذا البطل ويحقق له المعجزات، أما أن يظل هذا البطل كذلك فى الأدب المعاصر فهذا ما لا يمكن للمرء أن يستوعبه، لكن يبدو أن الروايات الصهيونية وضعت قاعدة البطولة والبطل المعصوم والمتفوق والتى تظهر فى كثير من الأعمال الأدبية، حتى البطلات اليهوديات يظهرن أيضاً جميلات متناسقات جسدياً، حتى الشخصيات المعوق جسدياً- تعانى من العرج مثلاً- فإن هذا العرج اليهودى له سحر خاص- يحمل رسالة تنوير ويتميز بالشجاعة والتضحية يحب البناء والعمل ويكره الكذب والظلم ويتميز بالنقاء والتفوق الأخلاقى.

وصورت القصص العبرية بين ١٩٤٨- ١٩٦٧ العربى فى أبشع صورة فقد كان العربى فى الأدب العبرى يشكل كابوساً مزعجاً تسيطر عليه نزعات الشر والعدوان ويهود كيان إسرائيل وحضارتها.

وصورة العربى عند الكاتب الإسرائيلى « هودا بورلا» مجرد من الشعور القومى فيه جشع للمال يميل إلى الخيانة كى يحصل عليه، بينما اليهودى مضح منكر للذات مخلص فى أداء واجبه، والعربى حيوان.

ويصور الأدب العبرى أيضاً العربى باعتباره شرها للجنس وتوجهه للمرأة هو توجه جنسى مجرد يهدف إلى الإشباع فقط لذلك فهو مزواج متعدد الزوجات.

كما يظهرهم أيضاً فى صورة البدناء المترهلون تتدحرج كروشهم أمامهم إن مشوا، سحنتهم داكنة قبيحة المنظر، وهى مرتع خصب للجدرى والملاريا والجذام وأمراض أخرى.

---

(١) المرجع السابق.

وقـد وصل الأمر ببعض الكتاب أن وضعوا اليهـودى إلى درجة قريبة من مرتبة الإله! أما الصهيونـى فنصف إله حيث يتميز بالقوة والنضال والجـرأة والعدل، وهو معصوم من الخطأ مستقيم، يثير الاحترام ومشاعر الهيبة والجلال والإعجاب فى النفوس، رومانتيكى، متفائل، مُضَحّ غير أنانى يفكر فى غيره قبل تفكيره فى نفسـه، وهى شـخصية أيضاً نبوءته تحمل إلى جانب حكمة القرون التى مضت توقعات المستقبل الآتى[1].

وهو على استعداد دائم للدخول فى صراع مر مع العالم من أجل العدالة وهو لا يناضل من أجل نفسه بل من أجل العالم، وهو يطلب الخير حتى لأعدائه[2].

أما الفلسطينى فقد ظهر فى أغلب القصص العبرية مهزومًا ضعيفًا، يعمل على توفير القوت له ولأسـرته، وظهر فى قصص أخرى فى صورة العميل للدول العربية المجاورة يتسـلل إلى إسرائيل ليقوم ببعض العمليات التخريبية ثم يعود لنفس الدولة التى جاء منها[3].

أما الفلسـطينى الذى بقى داخل إسـرائيل فقد صوره الأدب باعتبـاره مواطناً من الدرجة الرابعة داخل المجتمع الإسرائيلى، حددت له أنواع معينة من الحرف والأعمال المتدنية التى لا يرغب اليهود القيام بها[4].

بعـد حرب ٦٧ وما تبعها من تلاقى وتواصل بين الفلسـطينى فى إسـرائيل وأقرانهم فى الضفة والقطاع، دخل الأدب العبرى فى تناوله لشـخصية الفلسـطينى مرحلة جديدة حاول خلالها تخليق إنسـان جديد وتصويره بعد أن فقد كل مقدراته المالية وخابت آماله فى الأمة العربية التى خذلته فلم يعد أمامه إلا إسـرائيل كمصدر رزق وحيد، من هنا أظهرته الأعمال الأدبية فى صورة الإنسان المستأنس الذى انخرط تماماً فى منظومة المجتمع الإسرائيلى[5].

لكـن مـن الملاحظ أن حرب إسـرائيل على لبنان عام ٨٢ كان لها أكـبر الأثر على الواقع الثقافى الإسـرائيلى، انعكس ذلك على الأعمال الأدبية فأسـفر عـن ظهور نتاج أدبى جديد يرصد الظواهر المناهضة للحرب.

وتفجر هذا النتاج الأدبى المعارض تفجيراً هائلاً مقارنة مع ما أفرزته سائر حروب إسرائيل مـن نتاج مناقـض، والتى فرضت على الأدب قيوداً تحت ما يطلـق عليه «الإجماع القومى»

---

(١) المرجع السابق.

(٢) د. محمد أيوب– المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق.

(٥) المرجع السابق.

الــذى يفرض على الجميع الانطواء تحت راية المدافع. أو المحاولات المحدودة التى قام بها قلــة من الأدباء للخــروج عن خط هذا الإجماع فقد قوبل بحملة شرســة محرضة عليه كانت كفيلة بخنق صوته(١).

فالأديب عاموس عوز والذى كان من بين أوائل الذين رفعوا أصواتهم ضد نظرية الضم والاحتلال وضد اضطهاد الشعب الآخر، بدأ يهدأ صوته وكذلك الأديب فيرهارسميلانسكى والذى كان واحداً من أشد الساخطين شتاء ٦٧ خفت صوته هو الآخر، ولم تكن الحالة التى وصل إليها هذان الأديبان نتيجة مباشرة للهجوم والتحريض الذين تعرضا إليها فحسب، وإنما أيضاً بسبب اليأس والشعور بالعجــز وعــدم الثقة بقدرة الأديب الفرد على تغيير الأمور التى يصنعها وزراء وجنرالات وصحف وأحزاب بقوى مؤتلفة مستغلة لذلك كل الوسائل الحكومية التى فى حوزتها(٢).

وكان من الملاحظ أن الأدب الاحتجاجى الذى أفرزته الحرب الإســرائيلية على لبنان انصرف عــن الهموم الفنية الخالصة إلى هم مخاطبة جمهور قرائه بشــكل مباشــر، بهــدف التأثير على وعيهم السياســى ودفعهم باتجاه اتخاذ مواقف محددة نقيضة للحرب والعدوان وســقوط الإنسان فى الإنسان(٣)

وتميز الأدب العبرى فى تلك الفترة بعدة مميزات: أولها أنه أدب احتجاجى خرج عما يطلقه الســمات الرسمية للوثيقة الأدبية الإســرائيلية والتى تميزت بعدة سمات أولها التدخل فى حرية التعبير الأدبى الإســرائيلى، إذا ما جنح إلى مخالفة جوهر أهداف السلطة الإسرائيلية الحاكمة، وهى سمة تســتهدف تجنيد الأدباء الإسرائيليين بالإغراءات والضغوط من أجل الدعوة إلى مفاهيم السياسة الإسرائيلية ومرتكزات الفكر الصهيونى عموماً.

ثانياً: الأدب فى إسرائيل يواكب أهداف السلطة ويدق لها الطبول وهو أداة فى يدها لتحريك الجماهير اليهودية، وهو أدب يحمل سمات الصنعة والافتعال.

وثالثاً: هو أدب يتحرك فقط لخدمة الدعوة الصهيونية، لما يسمى القومية اليهودية وارتباطها التاريخى بفلسطين(٤).

وإن كان صــوت أدب الاحتجاج الإســرائيلى قد ارتفع صوته بعض الوقت، وفوق كل شــىء إلا إنه يصعب الجزم الآن بأنه أدب جماهيرى على رغم كونه قد حمل قضية الجماهير وجســد

(١) أسطورة التكوين (الثقافة الإسرائيلية الملفقة) أنطوان شلحت.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق.

عذاباتها وطموحاتها، فهو لم يكتسب شرعة (الشارع الأدبى)،وإن كان يمارس على نطاق ضيق للغاية دوراً فعالاً فى التأثير على الواقع يوازى موضوعياً عملية خدش صخرة صماء[1].

لكن يبدو أنه حتى هذا الدور له حدود وهو ما ظهر بشكل واضح فى رواية «الطريق إلى عين جالوت» للكاتب الإسرائيلى عاموس كنيان، فبالرغم من أنها تندرج تحت ما يسمى بالأدب الاحتجاجى أو «أدب القسوة الإسرائيلى» الذى أفرزته حرب الإبادة على الشعب العربى الفلسطينى فى لبنان، وبالرغم من خروجه من منظور الأدب الصهيونى الكلاسيكى، إلا أن الكاتب لم يصور الإنسان العربى أو القضية العربية بشكل محايد، وظهر إصرار واضح على التأكيد «بأن لليهود حقوقاً تاريخية فى فلسطين».

وظهر واضحاً أيضاً فى الرواية إعجاب المؤلف الشديد بالعسكرى الإسرائيلى المتشبث بعنفوانه وعجرفته، ومناقضاً له ثم تصوير الجنود السوريين (ويراد لهم استيحاء صورة متكاملة للعسكريين العرب) فى هيئة القساة المتوحشين غلاظ القلوب وهى مقارنة تخفى عنصرية ذات رؤية أشد رجعية فى تبرير التفاوت الحضارى للمجتمعات على أساس انتماء الشعوب إلى أجناس عليا وأخرى دنيا فاتحه الباب بذلك لمفاهيم استعمارية من نوع خاص تغفل الزمان والمكان وتختزل التاريخ والحضارة[2].

وتأتى رواية «نادية» للكاتبة غليلة رون فيدر والتى تحكى قصة فتاة عربية تتلقى تعليمها فى مدرسة يهودية تصنف بدورها كواحدة من روايات الأدب الاحتجاجى إلا إنها هى الأخرى تقدم رؤية فوقية إزاء العربى بعد ممارسة عملية تكوين مصطنع بحقه على حساب طمس قسمات وجهه ومعالم وجوده وفى اتجاه تدعيم الكيان الخاص بإسرائيل[3].

فى ضوء ذلك يمكن القول بأن رواية «نادية» كتبت أساساً وبشكل رئيسى لإعادة صياغة العربى الفلسطينى المقيم فى إسرائيل صياغة روحية ونفسية وقومية لتزيين الدعوة إلى ذوبانه فى المجتمع اليهودى[4].

فنادية منغلقة داخل الإطار الإسرائيلى تمارس دورها فيه بوصفها جزءاً من أقلية مغلوبة على أمرها، وحركتها مرتبطة تماماً بحركة اليهودى المتنور، هذه المعادلة تقول بلا مواربة: إن على العربى فى إسرائيل العمل على تحقيق وجوده الخاص داخل المجتمع الإسرائيلى وأن يطرح

---

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق.

عنه كل الحقائق التاريخية، معنى هذا أن الرواية تصادر الهوية القومية للشخصية العربية فى مقابل اغتصاب الأرض واغتصاب حقوق أصحاب الوطن الشرعيين وأولها حقه فى العودة إلى وطنه الشرعى[١].

ولعل قراءة سريعة للرواية تقدم صورة العربى الإسرائيلى الجديد وبطاقته الشخصية ليس كإنسان يسأل وإنما كإنسان يسرق[٢].

فنادية الفلسطينية ابنة الرابعة عشرة تقرر أن تصبح طبيبة، وفى سبيل ذلك تغادر قريتها وتتجه إلى مدرسة يهودية داخلية وتردد فى نفسها: سأصبح طبيبة، وعلى أن أسجل فى الجامعة العبرية فى القدس، وأعد نفسى للتعلم فى مدرسة ثانوية يهودية، وهكذا فقط ستكون للشهادة قيمة مغايرة. وفى انتقالها إلى المدرسة اليهودية تخلى نادية العربية عن مكانها لنادية الإسرائيلية المعاصرة التى كانت إسرائيل بالنسبة لها تعنى التقدم والتفوق ولا يتأتى ذلك إلا بعد اقتلاع الجذور العربية والذوبان فى الثقافة الإسرائيلية.

رواية نادية تعزز الاتجاه الرافض الذى يكون ذاته وكذلك العربى الذى يطالب برفع القيود التى تحول بين العرب وبين الاندماج فى المجتمع الإسرائيلى الذى يعيشون فيه على أساس الاعتراف بحق شعبه التاريخى بالعودة إلى وطنه الشرعى وإقامة دولته المستقلة.

وأفرز العدوان الإسرائيلى على لبنان- ١٩٨٢ نوعين من الأعمال الإبداعية أحدهما تحلى بواقعية والثانى ظل يعانى التأزم بتأثير الأزمات التى توالت على الصهيونية.

من بين الكتاب الذين تحلوا بالواقعية فى تلك الفترة- يهودا يعرى الذى جاء فى كتابه «صوتاً من السكون».

[يصبح من الواضح أن يستحيل إيجاد حل بالقوة لأمر يستحيل حله بالقوة لا يتم إحراز السلام بالقوة مثلما أن الحب لا يتم تحصيله بالقوة، كذلك الأمر بالنسبة للحبيبة والجيرة الحسنة لا يمكن تنصيب رئيس بالقوة وبالقوة لا يمكن نشر الفرح.

الذى يمارس الذبح مصيره أن يمارس الذبح به ذات يوم والذى يجيز الذبح تقوده حياته فى النهاية إلى هوة سحيقة والذى يسيطر بقوة الحراب ستنغرز الحراب فى مؤخرته ذات يوم الذى يقطع المياه عن الأولاد تنقطع مياهه عنه وعندما يصرخ الكارثة الكارثة سيجيبونه للسان «الكارثة»][٣].

---

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

(٣) شلحت- المرجع السابق.

هكـذا ظهرت كتابات تناهـض الحرب والقتل بمنطق يميل إلى اليأس من إيجاد مخرج تحت علامـات اسـتفهام كبرى ماذا بعد؟ وإلى أين يقودنا العار؟ مـاذا يمكننا أن نفعل، يظهر ذلك فى قصيدة الشاعر أربيه سفيان يقول فيها:

ماذا يفعل شاعر يشك بأن ملكه ليس سوى الشيطان؟

يجلس على طاولته وينظم قصيدة جيدة.

يذهب بعيداً يغنى ويضع شهادته.

ويعطى من خلالها تعبيراً رمزياً من شأنه.

وبأسلوب الكشف والتستر الدقيق.

جرياً على فهم القصيدة الصحيحة.

أن يظهر الجرعة الزاحفة عليه مثل أفعى سام.

يقرأها الذين يفهمون يتمزقون ألماً.

يشكرون الشاعر بنفس صاخبة على قصيدته الرائعة حتى العظم.

وفى هذه الأثناء يبقى الشيطان واقفاً.

يخطط لمؤامرة رهيبة[1].

وإذا كانت القصيدة تدعو إلى الرفض والتذمر فإنها فى النهاية تشير إلى الانخراط فى الإجماع القومى الصهيوتى.

وعلى إثر المذبحة البشـعة فى مخيمى صابرا وشـاتيلا أفرز المجتمع الإسـرائيلى نوعين من الثقافة كما حددها الكاتب الإسـرائيلى عامـوس إيليون- هما ثقافة الذين بقيت فى عروقهم ذرة من إنسانية وثقافة الذين يمجدون «سياسة المجازر والقتل والتدمير».

من بين كتاب المجموعة الأولى:

الشـاعر والكاتب السـاخر الإسرائيلى يهوفتان بتفين الذى كتب يقول: المرة الأولى فى حياتى أشعر بالخجل لكونى مواطناً فى دولة إسرائيل. دولة ينعدم فيها القلب والعقل وتبقى العضلات والأكاذيـب. هـل حضارتنا للأغيار هى القنابل المضيئة للجزارين؟! لن تفلت من العقاب يا وزير الحربية فليس جميعنا سـاذجاً وليس جميعنا أعمى وليـس جباناً، نحن خجلون ولهذا خرجنا إلى الشوارع.. إننا نفخر بانتسابنا إلى معسكر الخجل «إلى معسكر الكذب» بالسيد بيجن، لقد آن الآوان لأن تستيقظ وتقيل حكومة الظلام وفى كل مناسبة تقول أولادنا.

---

(١) شلحت- المرجع السابق.

فمــن أجل أولادنا نقــول: دع أولادنا يكبرون بدون وصمة قايــين. ومن أجل أولادهم- أفعل شــيئاً- فأولادهم هم أولادنا أيضاً، قنابلنا المضيئة ليســت مناراً للأغيار وإنما موت للأغيار وعارٌ لليهود، إننا خجلون وخجلنا هو لجنة التحقيق معكم.

إلا أن هــذه الأصــوات ظلت ضعيفة وأقل تأثيرا من تلك التى تدعو إلى الإبادة والعنصرية وهو ما حدث أيضا بعد الانتفاضة الفلســطينية الأولى التى تفجرت عام ١٩٨٧، وما أسفرت عنه من وجه فلسطينى مقاوم وصامد أمام قسوة وشراسة القوات الإسرائيلية وهو ما دفع الأدب العبرى إلى تغيير نظرته ورؤيته عند تناول شخصية الإنسان الفلسطينى الذى استخدم الحجارة فى مواجهة الأسلحة الحديثة التى يمتلكها الجيش الإسرائيلى، من هنا ظهر تيار أدبى جديد يعرف «بأدب الانتفاضة» تناول تأثير تلك الانتفاضة على الفلســطينيين والإســرائيليين على السواء، وعبر عن مدى خوفه من المستقبل الغامض الذى تنتظره إسرائيل إذا ما استمرت هذه الانتفاضة[1].

وقــد بــرزت العديد من الأعمال القصصية العبرية التى حذرت من أن التاريخ يعيد نفســه من جديد، وأن داوود الذى فاز على خصمه جوليات بالمقلاع ظهر الآن من جديد فى صورة الشــاب أو الطفل الفلسطينى الذى يتصدى للإسرائيليين بالحجارة والمقلاع[2].

من هنا شــكل الأدب العبرى فى سنوات الانتفاضة الأولى مصدر إزعاج للسلطات الإسرائيلية، وحذرها من أن الاحتفاظ بالمناطق الفلســطينية، واحتلالها ليس فى صالح إسرائيل بسبب القنبلة السكانية التى يشكلها التواجد الفلسطينى، إلى جانب إظهار إسرائيل فى صورة القوة الاستعمارية لتطبق نفس الوســائل التى ادعت أن أعداء اليهود اســتخدموها ضدهــم فى أوربا خلال الحرب العالمية الثانية وما قبلها[3].

وأثرت الانتفاضة فى شكل ومضمون الأدب العبرى وجعلته يلجأ إلى استخدام عنصر الأسطورة فى تناوله للإنسان الفلسطينى وكأنه مخلوق قادم من كوكب آخر، مخلوق لا يخشى الدبابات أو الطائــرات ويتصدى لها بصدره العارى وبمجرد حجارة يمســكها فى يده، إلا أن إيمانه بقضيته وحتميــة انتصار إرادته زادت من قوته وصموده، ومن أبرز الأعمال القصصية التى عكســت هذه الرؤيــة روايــة «جذور فــى الماء» للأديبة روث المــوج، والتى أكدت فيها على اســتحالة تحقيق أى تعايش إســرائيلى فلسطينى فى ظل اســتمرار الاحتلال الإسرائيلى لجميع أراضى فلسطين،

(١) د. محمد أبو غدير- آخر ساعة.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

وانتهت إلى أن الخلاص أمام الإنســان اليهودى يتمثل فى الانتقال إلى خارج إسرائيل والاستقرار فى مكان آمن[1].

من المؤكد أن روث تعد حالة نادرة وشاذة فى إسرائيل، فقد ذهبت بأفكارها وخيالها إلى أقصى مــا يمكن أن يحلم به أشــد المتفائلين العرب بوضع نهاية للصراع العربى- الإســرائيلى برحيل الصهاينة عن أرض فلســطين، وأعتقد أنه لولا الديمقراطية التى ننعم بها فى إســرائيل لتعرضت للمحاكمة بتهمة الخيانة العظمى للمبادئ الصهيونية.

لكن بالطبع يبقى صوت هذه الكاتبة مجرد نغم شــاذ وســط صخــب الأصوات الأكثر قوة فى إسرائيل، والتى تؤمن بحتمية الحرب ضد العرب لينتهى الأمر بإبادتهم.

فالعنصرية هى الســمة المميزة للمجتمع الإســرائيلى، ولا يشذ الأدب عن تلك القاعدة، وليس أدل على ذلك من «الصراع الدائر الآن داخل إســرائيل» بين اليهود الشــرقيين والغربيــين، هى حرب يرصدها الأديب الإســرائيلى العراقى الأصل (سمير النقاش) على أنها حرباً ثقافية وأدبية وليست حربا اجتماعية أو طبقية أو سياسية فقط، والغلبة حتى الآن لصالح الثقافة الغربية، ومن غير المحتمل مستقبلاً أن تتساوى الثقافتان فالإشكنازيم- اليهود الغربيون- لا يتصورون وجود أديب يهودى يكتب باللغة العربية مثلاً[2].

ولم يكتف اليهود الغربيون من مصادرة اللغة العبرية ونفى أصلها الشــرقى، بل عمدوا أيضاً إلى تغيير نطق بعض حروفها غير الموجودة فى اللغات الأوربية حتى تبدو مناسبة لرغبتهم العنصرية فى اعتبارها رمزاً للانتماء إلى إسرائيل التى يرفضون أن يكون أى وجه من وجوهها شرقى الأصل.

وإذا كان موقف يهود إســرائيل الغربيين على هــذه الدرجة من العنصرية تجاه ثقافة يهودها الشرقيين، فإن موقفهم من ثقافة السود ولا سيما الإثيوبيين المعروفين بـ (الفلاشا) هو أشد عنصرية لأنــه يقــوم على عدم الاعتراف بأيــة ثقافة خاصة كانت لهم قبل تهجيرهم إلى إســرائيل، وهو ما يؤكده الكاتب الإســرائيلى مردخاى أرتســتلى بقوله: «ما يزال باقى سكان إسرائيل يعتبرون الإثيوبيين أناساً بدائيين عديمى الحضارة والثقافة أو هم أقرب إلى قبيلة من الأفارقة السود الذين يحاولون إيجاد وســيلة للاندماج فى ســكان إســرائيل البيض الذين مازالوا يعارضون مثل هذه المحاولة، بل وحتى إذا وجد بين اليهود الغربيين من يعترف بامتلاك الفلاشا ثقافة خاصة فإنها تظل من وجهة نظر الإشكنازية العنصرية مجرد ثقافة بعيدة ومتخلفة يبدو أصحابها لباقى سكان إسرائيل كأناس معقدين ومتخلفين[3].

---

(١) المرجع السابق.

(٢) محمد توفيق الصواب التجريد العربى/ شبكة المعلومات.

(٣) المرجع السابق.

وهو ما يعنى على حد قول الكاتب الإسرائيلى (نال شاحف) أن على الإثيوبيين أن ينسلخوا عن ثقافتهم الأم وأن يذوبوا تماماً فى ثقافة إسرائيل الغربية لكى يصبحوا إسرائيليين صالحين[1].

وفى ظل العنصرية التى يتسم بها المجتمع الإسرائيلى والتى تتحكم بشكل صارخ فى رسم سياستها، من الصعب أن تتصور إمكانية تحقيق السلام، فمزاعم التفوق العنصرى تبدو وكأنها قاعدة وأمر ملم يؤمن به غالبية الإسرائيليين، لذلك لم نلمس حتى الآن أثراً واضحاً لعمل فكرى أو أدبى يطرح صورة مغايرة، فما زالت صورة العربى فى النتاجات الفكرية والأدبية لا تخرج عن تلك الشخصية النمطية المنفرة التى تحتشد كل الملامح السلبية المنفرة فى توصيفها[2].

وباعتراف الباحث الإسرائيلى الدكتور حزاى بوروش فإن شخصية العربى فى كتب التدريس والأدب الإسرائيلية لم تتغير ملامحها السلبية، فقد ظلت تلك الشخصية النمطية المشوهة واللاواقعية إلى حد بعيد، الأمر الذى ساهم فى شحن نفسية الإسرائيليين بكراهية العرب وكراهية العملية السلمية، وكل ما يمت بصلة، لأنها تعنى فى أحد نتائجها المحتملة إمكانية التعايش على نحو ما مع العرب دون حروب وصراعات وهو ما يبدو أن المجتمع الإسرائيلى غير مؤهل حتى الآن لتقبله[3].

فالتمييز العنصرى الذى تمارسه إسرائيل ضد العرب يبدو متعمداً ومقصوداً ويدخل فى صميم البنية الأيديولوجية للصهيونية، ويعد من بين أهم أهدافها وأهداف السياسة العليا لقادتها.

وبشهادة الكاتب الإسرائيلى «موشيه بيجلين» والتى جاءت فى كتابه «الثقافة اليهودية» فإن تلك الثقافة مليئة بالتراث العنصرى الذى يحض على كراهية الغير وشن العدوان عليهم، تراث ملىء بأقوال وفتاوى الحاخامات اليهود والذين ينادون بشن الحرب والقتل والدمار ضد غير اليهود، ويصفون كل من هو غير يهودى بصفات لا إنسانية[4].

ويطالب بيجلين الحاخامات بالتعامل مع التراث على هذا الأساس، باعتبار أن التراث اليهودى على مدار التاريخ لم يلتفت لإمكانية وصفه بأنه تراث عنصرى، واكتفى القائمون على إعداد هذا التراث بالعمل على تقوية مصطلحاتهم العنصرية والترويج لها مثلما فعل العديد من دعاة العنصرية من أبناء القوميات الأخرى.

---

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

(٤) أمين محمد زكى- شبكة الأخبار العربية- محيط ٧- ١١- ٢٠٠٦م.

وضرب مثالا على ذلك ما جاء في التراث اليهودى بأن الجزء الأفضل من غير اليهود يجب أن يكون القتل وهو ما يعنى أن جزاء الطيبين المخالفين من هذه العقيدة هو القتل[1].

محاولات الحاخامات اليهود المعتدلين تغيير هذا التراث باءت بالفشل، وهو ما يؤكد مدى تغلغل الفكر الصهيونى المتطرف داخل المجتمع الإسرائيلى، ومثال على ذلك يأتى باعتراف أحد الحاخامات المعتدلين الذى حاول إقناع تلاميذه بالتعامل بالرأفة مع غير اليهود ليفاجأ فى اليوم التالى بتلاميذه يأتون له بدمية على شكل مواطن عربى وأخذوا يمزقون الدمية بأسلوب مهين تعبيراً عما يؤمنون به.

أى محاولة لتغيير ثقافة التطرف الصهيونية، تواجه بالتهمة الجاهزة وهى معاداة السامية، وهذا ما تعرض له بيجلين نفسه بعد محاولته تنقية الثقافة اليهودية حيث شنت عليه قوى اليمين المتطرف هجوماً ضارياً انتهى باتهامه بمعاداة السامية.

أيديولوجية الحركة الصهيونية نجحت بشكل كبير جداً فى اختراق عقلية أجيال عديدة من الشباب ولعب الأدباء الصهاينة دورا كبيرا فى ذلك فكتب الأدب العبرى فضلاً عن المناهج التعليمية توجه الشباب اليهود إلى احتقار العرب والتقليل من شأنهم، وهى تخلو من الدعوة للتسامح مع العربى باعتباره مواطناً له حقوق المواطنة الكاملة[2].

وتأتى المبالغة فى الاستهتار بالعربى وتحقيره ضمن سياق محاولة تبرير عملية الاجتثاث العربى ورفض إيجاد مجال للحوار بين الطرفين باعتباره عقبة ومصدر إزعاج وباعتباره لصا وقاسيا حتى بالنسبة للقمح الذى يطحنه وبين الأدباء الذين ركزوا على هذه الصورة، الكاتب الإسرائيلى عجنون والذى حصل بفضل كتاباته على جائزة نوبل فى الآداب عام ١٩٦٦ بالرغم من تعصبه وتدنى مستواه الأدبى.

ولا نجد فى الأدب العبرى شخصية عربية تحقق نجاحاً أو حتى تعمل فى مهنة مرموقة فلا نجد من يعمل طبيباً أو مهندساً أو أستاذاً جامعياً أو أديباً، ولا نجد رجل قانون عربيا أو عالم آثار، وحتى بفرض وجودها فهى تظهر أقل من نظرائها من الأجانب أو اليهود[3].

والعربى فيها أيضاً شاهد زور حتى أصبحت شهادة الزور جزءاً من شخصيته وهو قاتل بحيث أصبحت الجريمة طبيعة له وهو غادر متخلف كسول. ووضع الكاتب بلانكفورت العربى فى مرتبة أدنى إلى الحيوانية منها إلى البشرية، وهو يجيد الجريمة ويحمل عوامل فنائه فى داخله، وهو مهزوم دائماً فى صراعه مع اليهود.

---

(١) المرجع السابق.

(٢) د. محمد أيوب «ديوان العرب» ٢ مايو ٢٠٠٥- العربى فى الأدب العبرى.

(٣) المرجع السابق.

والعربى فى نظره جندى أمى هزيل مريض على درجة من المبالاة بحيث إنهم لا يهبون للقتال ما لم يكونوا محاصرين من زاوية.

وصـور الكتاب الإسـرائيلى أرثر كوسـتلر فى روايته (لصوص فى الليـل) الضباط العرب وهم يقاتلون بالسيوف فيطلق اليهود عليهم النار ليتساقطوا كسيقان الحنطة عند الحصاد[١].

وإذا كان هنـاك بين الكتاب اليهود من حاول الخروج عن الخط التقليدى السـائد فى الأدب العـبرى من خلال تقديم شـخصيات فردية عربية بدلاً من الشـخصية النمطية إلا إنهم اعتبروا العربى الإيجابى هو العربى الموالى للصهيونية، ومع ذلك فإنهم يضعونه فى مرتبة ثانوية قياسـاً للإنسان اليهودى[٢].

من هؤلاء يتسحاق شامى الذى وصفه وصفاً خارجياً وجسدياً كما اختار بنيامين تموز شخصيات عربية متدنية الثقافة.

كما شعر بعض الكتاب اليهود بالذنب تجاه العربى فقاموا بكتابة بعض القصص التى يعترفون خلالهـا، ما ارتكبه اليهود ضد العرب، وتعاطف أحدهم- شـامير- مـع العربى ضد اليهودى المسـتغل وذلك من خلال انحيازه لصرخة الكادحين المظلومين بغض النظر عن قوميتهم، كما لم يخـف الكاتب- تموز- عن تعاطفه مع عرب القرية الذين طردوا من أراضيهم فى قصة شـجرة الزيتـون، كما أنـه لم يخف نفوره من المهاجرين الجدد الذين اسـتولوا على أراضى العرب وقد جعل شجرة الزيتون رمزاً لعراقة أصحابها، فالعربى عريق فى هذه البلاد، وتضرب جذوره فيها كما تضرب شجرة الزيتون جذورها. وهو يعتبر العرب أبناء البلاد الحقيقيين[٣].

هؤلاء الكتاب الذين عارضوا الصهيونية بعد خيبهم أملهم فيـها إلا أن أصواتهم هم- وغيرهم- مازالت الأضعف وسط النغمة العنصرية السائدة.

أكثر من باحث أدبى إسـرائيلى أمسـوا يدركون- فى ضوء أحداث السـنوات الأخيرة أن اسـتمرار الاحتلال الإسـرائيلى وانعدام أية تسـوية سياسـية فى الأفق نتيجة لسياسة الحكام الإسرائيليين، يؤديان إلى ازدياد نفوذ العناصر المتطرفة من أمثال كهانا وإلى تفشى الروح الفاشية فى المجتمع.

وأخطر مظاهر العنصرية ليس فى ممارسـة الإسرائيليين اليومية أو فى تقاعسهم عن بذل الجهد لوقف سياسـة الإبادة التى تمارسها إسرائيل ضد الشـعب الفلسطينى قمعاً وتنكيلاً

---

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

واختلاساً وسرقة ونصباً على ما فى كل ذلك من خطورة لا يستهان بها، ولكن أخطر مظاهر العنصرية هو فى كونها ثقافة، تحدد نمط أو أسلوب حياة المجتمع الإسرائيلى. فلكى يضمن الكيان الإسرائيلي وجوده السياسى الجائر على حساب الشعب الفلسطينى، أرضاً وكياناً ووجوداً أو حقوقاً فإنه أرسى ويرسى ثقافة عنصرية ولكى يجرد مواطنيه من أية هوامش إنسانية بسهولة أكثر وبهدوء أكثر فإنه لا يضع الأغلال التى تكبل إنسانيتهم فى أيديهم أو فى أقدامهم فحسب وإنما يضعها فى «منبت رءوسهم» وعن طريق ذلك تدير الصهيونية، عملية إدراج شعبها لمحركين (بفتح الراء) فى الممارسات الاجتماعية المختلفة فى المواقع المختلفة التى تحددها وكذلك عن طريق وضعهم فى قالب نفسى وثقافى مع ما تتطلبه مهامهم وأدوارهم[1].

يتضح من ذلك أن الوظيفة الأساسية للثقافة فى إسرائيل مشوهة بشكل خطير، وهذا التشويه شامل ومؤثر على المجتمع كله، وهكذا ينشأ نمط معين من الإدراك والتفكير يتولد تلقائياً من مسائل أشبه بالبديهيات المسلم بها (راسخة فى العقل)[2].

وعندما يقول مراقب ثقة: إن المجتمع اليهودى فى إسرائيل غير متجانس تماماً فلا ينقل بذلك الواقع كما هو؟ فإن هذا الوصف لا يستمد مشروعيته الواضحة فقط من الهوة الاجتماعية العميقة ومن الفوارق الكبيرة فى شرائحة الاجتماعية المختلفة.

وإنما يستمده كذلك مما هو قائم من صراع حضارى يخفى وراءه قمعاً حضارياً قاسياً بين الغرب والشرق فى الثقافة اليهودية ذاتها. ولعل الصراع الراهن العنيف الذى تشهده مساحة علم الاجتماع حول ما إذا كانت إسرائيل دولة غربية أم دولة شرقية كاف للتدليل على عدم التجانس الذى نتحدث عنه[3].

ولا يقتصر هذا الصراع على علم الاجتماع دون سائر مضمارات الثقافة اليهودية بل ينسحب على النتاجات الأدبية والفنية التى تسهم بشكل كبير فى تأطير انتماء إسرائيل الحضارى.

ففى هذه النتاجات نجد بداية أن البطل الإشكنازى الأجنبى المتحكم يتمتع بمواصفات تكرس فوقيته تجمع بين القوة والعلم والحنكة فى حين لا يتمتع (البطل) السفاردى والشرقى من المواصفات المذكورة وإنما هو نموذج بدائى ومتخلف ولا يدنو من الحضارة الأمر الذى يبرر دونيته. لذلك فإن الأدب الذى نقرأه فى إسرائيل والفن الذى نشاهده أو نسمعه فيها ليلى إلا أدباً وفناً

---

(١) شلحت— المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

يقومـان على القمع الحضارى لفئات واسـعة يفترض أن تكون مـن مريديهما ناهيك عن موقفهما العنصرى الشوفينى إزاء شخصية العربى عموماً[1].

ففى جميع النتاجات الثقافية دون استثناء تعرض البطل السفاردى- الشرقى- إلى عملية تجريد سلبية- قولية على صعيدى الشكل والحضور، أما على صعيد المضمون فإن هذا البطل يخجـل من حضارته البدائية ومن أصله «القذر» ولا يعمل ويعيش على الإجرام ضمن منبوذى «العالم السـفلى» فى المهن البسـيطة التى لا يحتاج صاحبها إلى التمتع بذكاء خارق وموهبة وثقافة واسعة [2].

ومن الواضح أن الأدباء اليهود لم يقدموا صوراً إيجابية حقيقة للعربى، وظلوا أسـرى لنظرية الفراغ السـكانى، والتى اسـتند الكتاب اليهود إليها والتى تزعم أنه خلال الألف أو الألفى عام الماضيـة لم يكن هناك أى وجود فيها- أرض بلا شـعب- ومنهم من زعم أن الحروب الصليبية قضت على الوجود العربى فى فلسطين، وفى إحدى الروايات- الغبية- صورت مؤلفتها- يائيل ديان- فلسطين على أنها صحراء فضاء وأنها فارغة تأكيداً على عدم وجود أية حياة فيها.

وعلى العكس صورت الأعمال الأدبية اليهودية- اليهودى على أنه داعية سلام يمد يده عارضاً السـلام علـى العرب ولكن هؤلاء يرفضـون اليد المدودة لأن العربى لا يؤمن بالسـلام ولا يحكم العقل، لأنه يفتقد الشفقة وصاحب ضمير مخرب.

هنا كانت دعوة الأدب الصهيونى بعد مفاوضات كامب ديفيد إلى السيطرة الفكرية على العرب لأنها تحقق ما لم تحققه الجيوش دون خسائر مادية أو بشرية.

ولأنه أسـير للفكر الصهيونى وأداة توظيف لخدمة السياسـة لذلك يظل الأدب العبرى مجرد «أدب دعائى فج ومباشر مفتقداً للعناصر الفنية والإبداعية».

الصلة بين المؤسسة الحاكمة والأدب تبدو وثيقة للغاية، وفى وزارة الخارجية مكتب لترجمة الأدب العبرى إلى اللغات الأجنبية. والدولة الإسرائيلية تشرف بنفسها على تسويق الأدب العبرى عالمياً[3].

هكذا يتم توظيف الأدب لخدمة السياسـة الإسـرائيلية وهو ما كشـفه الشـاعر الفلسطينى محمود درويش بقوله: [ثمة حال من الصراع بين الشعر الفلسطينى والشعر الإسرائيلى، صراع فى اللغة حول من يمتلك المكان واللغة وحول من يسيطر على موضوع المكان أفضل من الآخر، فالصراع قائم.

---

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

(٣) الحياة- حوار: محمود درويش- سبتمبر ٢٠٠٥.

ويضيف: عندما أقرأ لشــاعر إســرائيلي يتغنى بأرض فلسطين أشــعر بأن الصراع بيننا ليس عسكرياً فقط وإنما نحن مدفوعون إلى صراع ثقافى عميق.

ويضيف: هناك شاعر كبير إسرائيلى أحب شعره هو يهدا عميحاى لم يدع مكاناً فى فلسطين التى يسميها أرض إسرائيل- إلا وكتب فيه قصائد وبعضها جميل جداً. وتحرج الشاعر الفلسطينى فهو لم يشــعر بأنه محتاج إلى تقديم براهين على حقه بالمكان، وعلاقته بالأرض تلقائية وعفوية ولا تحتاج لأيديولوجية أو تبرير أما الشــاعر الإسرائيلى الذى يعرف كيف تم مشروعه وماذا كان قبل إسرائيل ويعرف أن هذا المكان له اسم آخر هو فلسطين يبدو أنه فى حاجة لشحذ كل طاقته الإبداعية من أجل امتلاك المكان، باللغة كجزء من المشروع الاستيطانى وهذه مسألة مخيفة فعلاً من يكتب المكان بشكل أجمل يستحق المكان أكثر من الآخر؟ قد يكون هناك شعب لا شعراء له، فهل يكون من حق الآخر أن يحتله فالجدارة الأدبية لا تعطى حقاً للسلاح أن يملك شرعية. فى إســرائيل يحاولون بالطبع تجريد الشــعب الفلسطينى من ثوراته الإبداعية كى يقولوا إنهم جاءوا إلى أرض شعبها غير متحضر وغير متمدن وأنهم يحملون رسالة التحضير والتحديث[1]].

كتابات الأدباء والشــعراء تعكس مدى الوهم المســيطر على العقلية الإسرائيلية بما فيها عقلية المثقفين أنفسهم.



---

(١) محمود درويش- المرجع السابق.

الفصل السادس

السينما الإسرائيلية بوق للدعاية الكاذبة وترويج الأساطير

يصعب على أرض الإرهاب أن تثمر فناً. فرحم العنف لا يفرز إلا القسوة والمشاعر المفطومة على طعم الدم ولون الدمار لن تبدع إلا شراً.

لم يكن غريباً أن تتحول السـينما الإسرائيلية إلى بوق الدعاية الصهيونية المجوجة وأن تتفنن فى العزف على أوتار العنصرية ليصب هدفها دائماً فى اتجاه تشـويه الآخر- العربى- وإظهاره بأبشع صورة.

ولأنها تعجز بمفردها عن تحقيق هذا الهدف كان التسلل للسينما العالمية هو المدخل الرئيسى لها للتأثير على الجمهور السينمائى العالمى.

مـن هنا كان تركيز الصهيونية على هوليود لتتحول إلى إحدى مشـكلاتها الحصينة المروجة لأفكارها المثبتة لمزاعمها وأساطيرها.

والحركة الصهيونية انتبهت منذ مؤتمرها الأول فى بال عام ١٨٩٧ أى بعد سنوات قليلة جداً من ولادة السينما إلى أهمية هذا الاختراع الحيوى وأهمية الدور الإعلامى والدعائى الخطير الذى يمكن أن يلعبه سياق الترويج لفكرة الصهيونية[1].

وإذا اسـتطعنا اسـتيعاب المضمون السياسى للسـينما الصهيونية نتمكن من تكوين فكرة ثابتة عـن الطاقة المعنوية التى حصل عليها الكيان الصهيونى من وراء ترويج أفكاره وتشـكيل الصورة التى يريدها لنفسـه فى ذهـن العالم، وقد اسـتعمل الكيان الصهيونى، لذلـك العناصر الدرامية السيكولوجية والتاريخية الدينية والجمالية ووظف التصرفات النازية لحسابه الخاص جاعلاً قصة ستة الملايين يهودى مذبحة التاريخ المعاصر الوحيدة وضحية ذلك التاريخ التى لا تغتفر[2].

وبرز اليهود والصهاينة- كعادتهم- لاستغلال العنف السينمائى منذ نشأته وأجادوا استغلاله تحقيقاً لدعاياتهم وأهدافهم ذات النزعة العنصرية، وبرعوا وأبدعوا فى تصنيع تقنياته لخلق جو

---

(١) السينما الصهيونية- شاشة التضليل- المكتبة السينمائية- محمد عبيدو.

(٢) المرجع السابق.

ملائم لدعايتهم. والسينما الصهيونية بالطبع لا تنتمى مكانياً إلى إسرائيل فحسب بل هى متغلغلة فى العالم أجمع، حيث يمتلك اليهود أكبر الشركات السينمائية العالمية منذ بداية القرن العشرين منها (متروجولدن ماير- كولومبيا- وارنر بارامونت- فوكس- يونيوفرسال)(١).

من هنا تمكنت السينما الصهيونية من المساهمة إلى حد كبير فى تدعيم المقولات والمبادئ والدعاية الصهيونية. وكانت النتيجة أن المواقف السياسية السلبية التى تتخذها دول العالم الغربى تجاه القضية الفلسطينية مدعومة بقناعات شعبية ساهمت فى ترسيخها الدعاية الصهيونية وخاصة فى حقلى السينما والتليفزيون.

ويلعب الاطلاع على واقع السينما الصهيونية دوراً شديد الأهمية فى إطار الصراع الوجودى بيننا وبين الكيان الصهيونى: أولاً لأنها سينما نجحت فى بلوغ الجمهور السينمائى العالمى العريض وهذا يعنى أن أساليبها واستراتيجيتها جديرة بالمعرفة، وثانياً لأنها تساهم فى تحطيم صورتنا وتشويه شخصيتنا لدى العالم، وكما لا يتمكن الجندى من اقتحام موقع واحتلاله دون أن يدرس خريطة مسبقاً ويطلع على ظروفه المفضلة، فنحن لا نستطيع التغلب على السلاح السينمائى الصهيونى إلا إذا فهمناه واستوعبناه تماماً(٢).

وظهرت البصمات الصهيونية الأولى فى السينما العالمية فى هوليود حيث كان هناك سبع شركات سينمائية كبرى هى متروجولدن ماير وفوكس بارامونت، كولومبيا، يونيفرسال، وارنر ويونيتد أرتست، وكل مؤسسى هذه الشركات من اليهود، فقد أسس وليم فوكس شركة فوكس للقرن العشرين، وأسس أدولف زوكور شركة بارامونت وأسس هارى كوهين شركة كولومبيا، وأسس كارل لايملى شركة يونيفرسال وأسس جاك وارنر شركة وارنر.

وحينما رأت الصهيونية حالة ملكية اليهود للشركات الكبرى لصناعة السينما فى هوليود منذ بداية القرن العشرين توجهت إلى مدينة هوليود بكل ثقلها، وبمرور الزمن راحت تركز على صناعة السينما الهوليودية، وبذلك تحولت هوليود شيئاً فشيئاً إلى إحدى قلاع الصهيونية على صعيد السينما، إلا أن كثرة عدد اليهود فى السينما لم يكن مخططاً له بقدر ما هو رغبة من اليهود بالانتماء للمجتمع الأمريكى الجديد(٣).

وبدأ اهتمام اليهود بالسينما من خلال المؤتمر الصهيونى الذى عقد فى بال بسويسرا عام ١٨٩٧ وأكدها هذا المؤتمر فى بنده الثالث على أهمية الإعلام التثقيفى لخلق إسرائيل وضرورة نشر الروح القومية والوعى القومى بين اليهود والعالم.

---

(١) حكاية السينما الصهيونية- شبكة المعلومات- منتديات الجزيرة- توك.

(٢) المرجع السابق.

(٣) عبيدو- المرجع السابق.

وتنقسم السينما الصهيونية قبل إنشاء إسرائيل إلى قسمين: الأول الأفلام التى تم إنتاجها على أرض فلسطين عقب مؤتمر بال الصهيونى وحتى عام ١٩١٧ حيث تم إعلان وعد بلفور، والثانى الأفلام التى تم إنتاجها على أرض فلسطين منذ وعد بلفور وحتى عام ١٩٤٨ حيث تم الإعلان عن قيام دولة إسرائيل(١).

ويخطئ من يظن أن ميدان السينما الصهيونية مقتصر فى حدود على الكيان الصهيونى المغتصب لفلسطين المحتلة، والحقيقة أن ميادين السينما الصهيونية متنوعة وممتدة مثل الأخطبوط، فالسينما الصهيونية هى التى تخدم بشكل كبير أو غير مباشر المفاهيم والأهداف الصهيونية التى تسهم إسهاماً وثيقاً جزئياً أو كلياً فى حملات الدعاية الصهيونية، وليست السينما الصهيونية بالتالى هى التى يصنعها السينمائيون اليهود، ولكنها السينما التى يضعها هؤلاء وغيرهم وتتبنى الدعاوى الصهيونية وتبرير كافة الأعمال القمعية الوحشية التى يرتكبها الصهاينة داخل وخارج الأرض المحتلة، وتحاول تشويه الإنسان العربى وحقيقة الصراع العربى- الصهيونى(٢).

منذ قيام الكيان الصهيونى وحتى اليوم و السينما الصهيونية سواء داخل الكيان أم خارجه تعمل من أجل خدمة الأغراض السياسية والاقتصادية والعسكرية للكيان الصهيونى وتحاول أن توهم المشاهد بأن إسرائيل ما هى سوى واحة الديمقراطية وسط صحراء الجهل والتخلف العربى، وأن اليهود إنما عادوا إلى أرضهم الموعودة، وأن العرب متوحشون وإرهابيون وأن الإرهاب جزء من تكوينهم النفسى والجسدى، وهى تعمل فى إطار الأفلام السينمائية جاهدة قدر الإمكان لتزوير الحقائق بعناية وتقنية عالمية(٣).

وركزت السينما الصهيونية فى البداية على إبراز صور الاضطهاد الذى عانى منه اليهود فقام جورج ميليه- أحد الرواد الأوائل للفن السينمائى بإخراج فيلم قضية ريلفوس الذى يحكى قصة الاضطهاد الذى عانى منه اليهود فى أوربا، ويعد هذا الفيلم أول عمل خيالى يعرض لقضية اضطهاد اليهود ويحكى قصة ضابط فرنسى اتهم بالخيانة العظمى لأنه يهودى.

وتوالت بعد ذلك الأفلام التى تكرس لمبادئ الصهيونية من خلال ستار خفى فظهر عام ١٩٠٠م فيلم الماعز تبحث عن الحشائش، تدور قصته حول عائلة يهودية تصل إلى فلسطين وتناضل من أجل توصيل صوتها فى أن تعيش حرة، وفى عام ١٩٠١ ظهر فيلم شمشون ودليلة والابن الضال، وكلها أفلام تحكى قصص العهد القديم، وهو أولى مراحل السينما الصهيونية التى اعتمدت على

---

(١) على نبوى عبد العزيز- دراسة السينما الصهيونية- أقنعة القتلة سطور ٩٨.

(٢) عبيدو- المرجع السابق.

(٣) عبيدو- المرجع السابق.

القصص التوراتى، وكان الدافع وراء ذلك هو التأكيد على أن فلسطين هى أرض الميعاد، وأن هذه هى أولى المراحل لتحقيق الوجود لها.

وبعد وعد بلفور ١٩١٧ وإعلان فلسطين الجديدة هى أرض الميعاد وصار أمام اليهود مرحلة التهجير إلى هذه الأرض وتجميع شتاتهم، وهنا وصلت السينما مرحلة بث هذه الفكرة من خلال أفلام مثل ابن الأرض والوصايا العشر والتى أنتجت عام ١٩٢٥، صابرا الذى أخرجه الكسندر فورد عام ١٩٣٢ [١].

لكن بالرغم من أن أغلب هؤلاء المخرجين من اليهود وأن أفلامهم من إنتاج شـركات أسسـها ويملكها اليهود ولهم دور فى وجود هذه الأفلام، لكن الهدف منها لم يكن دينياً بأى حال تماماً كما هو هدف الصهيونية من اسـتخدام الديانة اليهودية، أما الهدف الرئيسـى فكان إنتاج أفلام تبهر المتفرج بالملابس والديكورات التاريخية والمجاميع الهائلة والمعارك العنيفة[٢].

خـلال هذه الفترة أيضـاً تم تصوير العرب فى موقع عدائى مـع الأوربيين فجاء فيلم «ملامح لطيفة» عام ١٩٢٩ ليصور الأوربيين وكأنهم محاصرون ويواجهون موجات من القتلة الملثمين وهم يمتطـون الجيـاد (العرب) بينما صورت أفلام أخرى الوطن العربـى على أنه صحراء قاحلة غير مضيافـة كما فى فيلم- أغنيـة الصحراء- عام ١٩٢٩ الذى صور جبال الريف المغربية على أنها جرداء قاحلة مغطاة بالرمال والصخور[٣].

وعلى ذلك لم يكن (عرب) هذه الأفلام سـيئين بشـكل مطلق، ففى فيلم لص بغداد عام ١٩٢٤ ظهر العربى كسولاً ولكن ساحراً وجذاباً، وكان فالنتينو فى فيلم (الشيخ) عام ١٩٢٦ حامى الدم غير أنه كان أيضاً شريفاً ونزيهاً.

أما السـينما الإسرائيلية- بشـكل خاص- خلال هذه الفترة فقد ركزت على السير على نفس الدرب الذى سلكه الأدب العبرى الحديث فى فلسطين منذ أواخر القرن التاسع عشر والذى اهتم فى بداياته بتناول أعمال الرواد الذين يعيدون الحياة إلى الأرض الخراب، ولم يبدأ ظهور العرب عـبر هذه الروايـات إلا بعد عقود، واقترن ظهوره بالعنف المؤدى إلى تطهير درامى ينتهى بوضع البطل اليهودى كشهيد، وفى السينما فإن المرحلة الأولى من التركيز على الرواد حدثت فى الأفلام التسـجيلية الأولى فى حين لم يكشـف الحضور العربى عن نفسـه إلا فى الثلاثينات فقط حيث شكلت الأفلام الروائية جزءا من سياق متنام للصراع القومى الذى يسود كل الروايات العبرية[٤].

---

(١) حكاية السينما الصهيونية- شبكة المعلومات- منتديات الجزيرة- توك.

(٢) سمير فريد- مدخل إلى السينما الصهيونية.

(٣) عبيدو- المرجع السابق.

(٤) إيلات شوحات- السينما الإسرائيلية وسياسة التفرقة العنصرية- ترجمة محمود على.

وحتـــى لـــو لم يتصدر الموضوع القومي بؤرة الاهتمام كما فى فيلـــم أوديد التائه فإنها تلمح إليه عن طريق إبراز الصراع الثقافى بين الغرب والشـــرق وهـــو الصراع الذى ينتهى بالضرورة بانتصار الغرب السلمي والمنطقى.

وهناك أيضاً فيلم صابرا (الصبار) وتدور قصة الفيلم الذى يعد أول فيلم روائى طويل ناطق حول مجموعة من اليهود المهاجرين الذين اسـتقروا بجوار قرية عربية بعد شرائهم قطعة أرض مجدبة من أحد الشـــيوخ العرب، على رغم الترحاب بهم يجدون أنفســـهم مع حماســـهم للأرض فريسة لمضايقات العرب تحت ادعاء أن سحرهم هو سبب القحط الذى حل بهم وما إن يعثروا على الماء حتى يهاجمهم العرب بتحريض من شيخهم المستغل، ولا يتوقف تعطشهم للدم إلا بعد إدراكهم دور شـــيخهم فى إغلاق البئر مما يكشـــف لهم عن طبيعته الجشعة، وإزاء كرم الصهاينة ينتهى الفيلم بتدفق المياه ليعم السلام بين الجانبين.

ويركز الفيلم على إظهار الطقوس العربية بشكل سلبى، فنجده فى أحد مشاهده يصفق رجال القبيلة ويرقصون بالســـيف، ثم تنتقل الكاميرا فى لقطة قريبة إلى الشـــيخ مبتسماً وهو يقول للرواد «هكذا نرقص دائماً فى أفراحنا، ومآتمنا أو عند اقتراب العدو».

هـــذه الصـــورة العدوانية تظهر أولاً عبر شـــريط الصوت المصاحب لرقصة الســـيف وثانياً على مســـتوى الحوار الذى ينطق به الشـــيخ حول الأعداء وفى لقطة قريبة أخرى تبدو نظرة الشـــر فى عينيه، يقول بعد أن يقدم دليل إدانته مع قومه «نحن شعب فقير ومتوحش» لتنتقل الكاميرا على لقطة الصحراء بينما نســـمع تعليق الشـــيخ للرواد «وأنتم تنزلون فى أرض جميلة خصبة» ويوحى الفيلـــم بـــأن الأرض التى ســـتئول إلى الرواد قد بيعـــت قانوناً، وأن هؤلاء بمـــا يملكون من عقلية وتكنولوجيا متطورة سيعود بالثمار على هذه الأرض المتخلفة- وعلينا أن نتذكر أن اعتبار المنطقة قاحلة مهملة كان أحد تبريرات الغزو الاستعمارى- ضمن هذا السياق فهم المثالية الساذجة التى تبرر الصورة البطولية لهؤلاء الرواد وممارستهم السياسية فهم يحملون النزعة الإنسانية والتحررية للمشروع الصهيونى، كما يحملون معهم راية العالمية والمهمة الحضارية[١].

ومـــن أبـــرز أفلام تلك الفـــترة أيضاً فيلم «حياة اليهـــود فى أرض المعياد» إخـــراج يعقوب بن دوف ويعتبر أول شـــريط سينمائى على أرض فلســـطين تم تصويره بموافقة ومساعدة الإمبراطورية العثمانيـــة، ويكـــرس هذا الفيلم بعض الآراء الصهيونية عن صلة اليهود بفلســـطين وتدور أحداثه حول حياة التجمع العبرى فى أرض الميعاد والاحتفال باستقبال المهاجرين[٢].

---

(١) إيلات شوحات- السينما الإسرائيلية وسياسة التفرقة العنصرية- ترجمة محمود على.

(٢) على نبوى عبد العزيز- دراسة- المرجع السابق

واتخذت الأفلام فى المرحلة الثانية الطابع الدعائى لفكرة الوطن القومى اليهودى فى فلسطين، ومحاولة تثبيت الوعى القومى بالحق الدينى والتاريخى، واستخدام التوراة كمصدر رئيسى للعقيدة اليهودية لتخدم الأغراض السياسية الآنية والمستقبلية فى نفس الوقت، مع التأكيد على قصص الهولوكست وإبراز آلام اليهود وما لاقوه من تعذيب واضطهاد على أيدى النازى، بهدف إثارة الشفقة والتعاطف الإنسانى لدى الشعوب حول القضايا اليهودية والترويج فنياً وإعلامياً وثقافياً لحق اليهود فى أرض فلسطين من جهة أخرى[1].

خلال هذه الفترة أنتج فيلم «ابن الأرض» الذى يعتبر بداية مرحلة جديدة فى السينما الصهيونية، والفيلم يسجل كفاح شباب اليهود ضد الاستعمار البريطانى وضد ما أسموه بالاستعمار العربى لفلسطين، وينتهى بمشهد موت بعض الشباب اليهود برصاص العرب، فيسقطون جميعاً ويرفعون أيديهم ويهتفون قائلين «نحن أبناء هذه الأرض» إنها أرضنا وسنواجه أعداءنا[2].

وخلال هذه الفترة أيضاً أنتجت عدة أفلام صهيونية على أرض فلسطين منها الفرقة اليهودية الذى أخرجه يعقوب بن دوف عام ٢٣ والشريط التسجيلى ها هى ذى أرضك ١٩٣٢ الذى أخرجه باروخ أجادنى ليكون أول شريط يتكلم باللغة العبرية، تلك اللغة التى ستفرضها الصهيونية على السينما الأمريكية فنسمع جولى اندروز وهو يغنى فى فيلم «ملى» بالعبرية، ونسمع ماريابيترسون وهى تتزوج بها فى فيلم «كبارية»[3].

وأنتجت أيضاً فى هذه السنوات عدة أفلام تسجيلية كانت عبارة عن دعاية صهيونية تصف الاستيطان الزراعى، ومولت المؤسسة الصهيونية هذه الأفلام، وعرضتها فى البلدان الأوربية والأمريكية لجمع التبرعات ولتطوير السياحة ولتشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين، ومن هذه الأفلام «عوديد التائه» من إخراج ناثان اكسل رود عام ١٩٣٢ وهو يتحدث عن المستوطنات الصهيونية المزدهرة المملوءة بالبساتين اليانعة والحقول الخضراء، مقابل الأراضى القاحلة، فيقول المدرس لطلابه اليهود فى أحد مشاهد الفيلم «إن سهل مرج ابن عامر كان صحراء قاحلة إلى أن جاء أباؤكم من روسيا حولوه إلى مصدر للحياة والعمل».

وهناك أيضاً أفلام مثل نبوءة وواقع عام ٣٧ إخراج ناثان اكسلورود «وفون الخرائب» عام ٣٨ وصوت قريب ٣٩ بنفس المخرج. الأرض عام ٤٧ إخراج هيرفل لارسكى، ومن الملاحظ أن كل هذه الأفلام تروج للاستيطان اليهودى، فتظهر الفلسطينيين- فيلم الأرض- أصحاب الأرض على

---

(١) المرجع السابق.

(٢) محمد عبيدو- المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

أنهم كسالى بلهاء يستخدمون الوسائل البدائية فى الزراعة ويتم توجيه اللوم إليهم وانتقادهم بشره بسبب إهمالهم للأرض المقدسة لعدة قرون، ولأنهم يعيشون حياة متخلفة فقد جاء اليهودى المتحضر المتواكب مع ركب الحضارة وأحضر معه علوم وثقافات الحضارات الأوربية والأمريكية المتقدمة، لذلك نرى فى مقابل الشخصية الفلسطينية الضعيفة الصهاينة الشباب ممتلئ حيوية ونشاط يسيرون فى الحقول حيث يعملون فى الزارعة[1].

وكان أكبر الأفلام التسجيلية انتشاراً فى تلك الفترة هى التى تدعو إلى التبرع لدعم الصهيونية، وأنتجت هذه الأفلام بواسطة منظمات يهودية خاصة مثل «منظمة الدعوة اليهودية المتحدة» والمنظمة الوطنية اليهودية، ومؤسسة فلسطين المتحدة، وكان الهدف من تلك الأفلام الإشادة بدور المستوطنين الصهاينة فى فلسطين والدعوة لدعم الحركة الصهيونية سواء مادياً من خلال التبرعات أو بشرياً بالتطوع بالعمل المجانى[2].

وخلال الأشهر السابقة على إعلان الكيان الصهيونى وتمهيداً لهذا الإعلان أنتجت على أرض فلسطين ثلاثة أفلام طويلة هى الوعد الكبير للمخرج يوسف ليبتزو وبيت أى للمخرج هربرت كلين، وتدور أحداثه حول صبى صغير أنقذ من معسكر اعتقال ألمانيا النازية ويبحث عن أبيه فى فلسطين ولا يجده وإنما يجد وطنه الجديد.

وفيلم الأرض للمخرج هلمر لرسكيز أداماه وهو يحكى مغامرات شاب نجا من الموت النازى فى معسكرات الاعتقال الهتلرية واسترد ثقته بالنفس وإيمانه بالحياة بفضل الحياة داخل مستعمرة يهودية بفلسطين[3].

كان تأسيس إسرائيل عام ٤٨ علامة فاصلة فى تاريخ العلاقة بين يهود السينما فى هوليود والعقيدة الصهيونية، وبعد أن كان هناك تردد من جانب اليهود فى إنتاج أفلام دعائية مباشرة، أقبل هؤلاء على تسخير إمكانيات هوليود الكبرى من أجل دعم الدولة الجديدة.

وخلال الفترة ما بين ٤٨ وحتى ٦٧ ظهرت مرحلة جديدة فى السينما الصهيونية حيث بدأ الإعلام الصهيونى يأخذ طريقاً جديداً مختلفاً عن السابق ويستعد لخطة جديدة ليصبح من خلالها قادراً على غزو الرأى العالمى بوجود دولة جديدة تمثل نواة للعالم المتحرر[4].

---

(١) على نبوى- المرجع السابق.
(٢) عبيدو- المرجع السابق.
(٣) المرجع السابق.
(٤) المرجع السابق.

خلال هذه الفترة بدأ النشاط السينمائى الإسرائيلى أكثر تنظيماً مع ازدياد دوره ليس من أجل الدعايـة الصهيونية فى الخارج فقـط، بل وفى تطبيع المهاجرين الجـدد فى الداخل، وركزت الأفلام فى ذلك الوقت على إظهار بطولات خارقة للإسرائيليين على أرض الواقع[1].

عام ١٩٥٣ دعا «موشـى شـرتوك» أول وزير خارجية إسـرائيلى مجموعة من رجال الأحزاب الصهيونيـة وتحدث إليهم عن الخط الإعلامى الذى سـتقوم وزارة الخارجية تنفيذه على النطاق العالمـى، وطالب بضرورة إعطاء الأفلام التسـجيلية والدعائية قـدراً أكبر من الاهتمام، وتم وضع جدول زمنى تسـتطيع من خلاله الأفلام التسـجيلية تحقيق أهـداف الحكومة الصهيونية، كما طالـب بضرورة الاسـتعانة بكبار المفكريـن والفنانين فى وضع اسـتراتيجية محددة لهذه الأفلام واعتبارهم دون غيرهم أساساً للأفكار التى ستقدم[2].

وركزت الأفلام التسجيلية التى تم إنتاجها فى تلك الفترة على موضوعين رئيسيين الأول موجه للرأى العام العالمـى لتصوير الاغتصاب الصهيونى كمظهر حضارى فى المنطقة المتخلفة، والثانى موجه إلى يهود العالم لحثهم على الهجرة إلى فلسطين.

وخلال هذه الفترة كان غالبية المنتجين والمخرجين العاملين فى السـينما الإسـرائيلية إما من الأجانب وإما من المهاجرين الجدد من أمثال المخرج البريطانى ثورولد ديكسنون الذى أخرج فيـلم (التـل ٢٤ لا يجيـب) والأمريكى اليهودى لارى فريش الذى أخرج فيلم (عمود الملح)، والعراقى اليهودى، نورى حبيب مخرج فيلم (بلا وطن)، وقد ساهم هؤلاء وغيرهم فى مولد صناعة السينما الإسرائيلية، وجاءوا أساساً بناء على دعوة من وحدة «السينما» بالجيش التى شكلتها قوات الدفاع الإسـرائيلية عام ٤٨ لإخراج أفلام تعليمية للجيش، فعلى سـبيل المثال أخرج ديكتسـون الفيلم التسجيلى «الخلفية الحمراء» عن سلاح المشاة[3].

ويعد فيلم «التل ٢٤ لا يجيب» من أبرز الأفلام الإسرائيلية فى تلك الفترة وتكلف إنتاجه ٤٠٠ ألف دولار– وهى ميزانية مرتفعة نسبياً بمقاييس هذه الفترة– وحقق الفيلم بعض النجاح التجارى فى الخارج والداخل وفاز بجائزتى تكريم فى مهرجان (كان) السينمائى، وتدور أحداثه عام ١٩٤٨ حول القصص الشـخصية لأربعة مقاتلين هم إيرلندى (إدوارد مولهر)– ويهودى أمريكى (ميشـيل واجد) ومقاتل من الصابرا (إريك ليفى) ومقاتلة من السفارى (مارجرليت أوفيد)، وقد كلفوا بمهمة الدفـاع عـن أحد التلال خارج القدس لضمان وصول إسـرائيل إلى المدينة، ويبدأ كل منهم وهم فى

(١) إيلا شوحات– المرجع السابق.
(٢) عبيدو– المرجع السابق.
(٣) إيلا شوحات– المرجع السابق.

طريقهم لأداء المهمة، فى سـرد تفاصيل تجاربهم العسكرية السابقة وجذور معتقداتهم الصهيونية، وبانتهاء قصصهم يصلون إلى التل ليلاً لينتهى دورهم بسماع طلقات البنادق، وفى الصباح تصل سيارة جيب تحمل ضابطاً فرنسـياً رسمياً من قبل الأمم المتحدة للفصل بين دعاوى العرب والإسـرائيليين حول ملكية التل، لكن المسـئول الفرنسى يكشف أن العلم الإسرائيلى فى قبضة المقاتلة الإسرائيلية وهو دليل على أن موتها يدل على صدق المزاعم الإسـرائيلية بامتلاكها للتل، ثم يعلن أن التل من حق إسـرائيل، ويسـعى الفيلم إلى إظهار التضحية بالنفس.. التى يقدمها الإسـرائيلى- من أجل الوطـن ويتميز بالاسـتغراق التربوى الهادف إلى خلـق نوع من التآلف بين المشـاهد مع المقاتلين الصهاينة ويبدو ذلك صارخاً إذ إن عدم الاهتمام بإمداد المتفرج بأية معلومات عن العرب، وهو بذلك يتعمد إغفال هوية العدو كضرورة حتمية فى بناء شخصياتها الشريرة المجردة(١).

وهو أيضاً ما وقع فيه فيلم عمود الملح الذى أظهر الجنود العرب بصفتهم الممثلون للعنف، أما فيلم «أعطنى عشـرة رجال بائسـين» فلا يظهر العرب بل يقوم بدور السرد كرسل الموت، خاصة وأن موت البطل يأتى على يد العرب الذين وضعوا لغماً لقتله، أى الظهور الشـاحب لاثنين من المسئولين العرب فى فيلم (التل ٢٤ لا يجيب) فليس له من هدف سوى تأكيد، الانطباع بحصار إسـرائيل ولا يبدو العرب- سـوى- من خلال لقطات طويلة عامة ليصبح تأثيرهم ضعيفا لتنحاز الكاميرا دائماً لصف الجنود الإسرائيليين ولربط المشاهد بالجانب المؤيد لهم(٢).

وبدءًا من عام ١٩٤٩ تدخل الأفلام الإسـرائيلية مرحلة جديدة، المتعمد فيها فقط الهجرة من أوروبا إلى إسـرائيل، بل تعظم من شـجاعة الإسـرائيليين ابتعادهم على الخط السـلبى لضحايا الشتات، من أبرز أفلام تلك الفترة سيف فى الصحراء، والمحتال وهو أول فيلم يصور بالكامل فى إسرائيل، وكذلك فيلم (الخروج) الذى يحتفى بتحول وانضمام أمريكية ذات أصول انجلوسكسونية إلى إسـرائيل (لعبـت الدور إيفا مارى سـنت) وذلك بعـد رؤيتها لكفاح الإسـرائيليين من أجل البقاء، وارتباطها بضابط من الصابرا (بول نيومان) الأمر الذى يجعلها تناصر الصهيونية بحماس بالانضمـام إلى حبيبها فى إسـرائيل، هذه النهاية التى توصى بالإندماج بين إسـرائيل وأمريكا وتعكس توافق المصالح بينهما(٣).

ومن الملاحظ أن السينما الصهيونية التى صورت على الأرض الفلسطينية فى تلك الفترة اهتمت بالدرجة الأولى بتشويه صورة العربى، ففى فيلم (عمود من نار) تظهر قرية صهيونية تناضل ضد

(١) إيلا شوحات- المرجع السابق.
(٢) إيلا شوحات- المرجع السابق.
(٣) إيلا شوحات- المرجع السابق.

العرب الذين تظهر صورهم كمخلوقات وحشـية كاسـرة يملكون السلاح في مواجهة قرية صغيرة معزولة، وهذا التناول يعد مخالفاً للواقع والحقيقة بشكل كبير جداً[1].

ويظهـر فيلـم (كانوا عشـرة) اليهود باعتبارهم من قاموا بتحرير فلسـطين، أمـا فيلم «غيوم فوق إسـرائيل» إخراج إيلان الداء فيعتبر أحد الأفلام القليلة التي تناولت حرب ١٩٥٦ وصورت العدوان الثلاثي على مصر وكأنه حرب فرضت نفسها على إسرائيل دفاعاً عن نفسها، وهو يقلب العلاقة رأساً على عقب فيما يتعلق بالعلاقة بين الفلسطينيين واليهود والمستوطنين في أرض فلسطين العربية.

وفـي عـام ٦٤ أنتج فيلم «ثوار الضوء» والذى تدور أحداثه في الفترة التي سـبقت إعلان قيام الدولة الصهيونية ويحكي عن شـيخ عربي يعلن انحيازه إلى جانب القوات الصهيونية، لتظهره بصورة الخائن لقضية من أجل تأييد إسرائيل.

أما فيلم «حقيبة القاهرة» فيمجد الجاسوسية الإسرائيلية في مصر ويحكي عن ابنة عالم ألماني تعيش في القاهرة يختطفها جاسـوس إسـرائيل ليتمكن من معرفة المعلومات العلمية عن أسلحة مصريـة، فيهرب بالفتـاة إلى روما وتدور مطاردة طويلة بين المخابرات المصرية وبين الجاسـوس تنتهي بقتل مدير المخابرات المصرية، وتعود الفتاة إلى والدها، ولكن في الكيان الصهيوني[2].

ويصور فيلم الظل العملاق الذى أخرجه كلفيل شافلوف عام ٦٦ الصراع ضد العرب وكأنه صراع ضد النازية، كما يكشف عن العلاقة القوية بين الإمبريالية الأمريكية والكيان الصهيوني من خلال أحد الضباط الأمريكان الذين اشـتركوا في الحرب العالمية الثانية ضد النازية ومن ثم يشـارك في الحرب العربية الصهيونية إلى جانب الإسرائيليين بالطبع.

والصورة التي يقدمها هذا الفيلم للعرب تعتبر من أكثر الصور التي قدمتها السـينما الأمريكية معاداة للأجناس الأخرى على الإطلاق، فالعرب فيه فاشيون من دعاة إبادة اليهود يأكلون طعاماً مقززاً ويحيطون أنفسـهم بالجاريات، يسـاوم أحد شـيوخهم بطل الفيلم من أجل الحصول على أكـبر عدد من الجمال مقابل إرشـادهم إلى مداخل القدس ويبدو الأسـلوب العام المتبع في صنع الفيلم مطابقاً مع أسـلوب وطريقة تصوير الأفلام الويسـترن الأمريكية، هنا أيضاً يستبدل بالهنود الحمر العرب ويستبدل بالأمريكيين الصهاينة، وتستبدل بفكرة القيم المسيحية للرجل الأبيض في الأرض الجديدة، القيم التوراتية اليهودية التي تجعل اليهود على اسـتعداد للتضحية حتى آخر رجل حسب أسطورة الماساداة اليهودية[3].

---

(١) عبيدو- المرجع السابق.

(٢) عبيدو- المرجع السابق.

(٣) أمير العمري «سينما الهلاك».

ومن الملاحظ أنه فى الستينات تحولت الأفلام الصهيونية إلى التحدث باللغة العبرية مما يعتبر نقطة تحول فى تاريخ السينما الصهيونية التى بدأت تعزز إنتاجها داخل فلسطين المحتلة متنقلة من الأفلام التسجيلية إلى أفلام روائية طويلة[1].

بعد عام ١٩٦٧ تغيرت أهداف السـينما الصهيونية تبعاً لتغيرات أولويات السياسـة الصهيونية فأخـذت تركـز على تبرير الاحتلال وإظهار الكيان الصهيونى دولـة متقدمة ومتطورة لها الحق فى الهيمنـة على المنطقـة العربية المتخلفة، وفى الوقت نفسـه تتحدث عن الفـردوس الموعود لليهود وتحاول معالجة القضايا الاجتماعية الداخلية والعادات والتقاليد وصولاً إلى ترسـيخ ثقافة إسرائيلية ذات خصوصية فضلاً عن محاولة المسـاعدة فى ندوات جمع التبرعات للكيان الصهيونى من بلدان أوروبا وأمريكا وأفرزت نتائج عدوان ٦٧ سينما نشطة متسمة بأيديولوجية صهيونية كاملة وبغطرسة عنصريـة لا مثيـل لها فى العـالم. وتعتبر مرحلة ما بعـد ٦٧ من أخطر مراحل الفيلم السـينمائى الصهيونى، فعقب الحرب حدث اجتماع بإدارة الإعلام التابعة للخارجية الصهيونية حضره المسئولون بمكتب الإعلام المركزى التابع لوزارة الإعلام، وعلى ضوء هذا الاجتماع تقرر تغيير خطة إنتاج الأفلام السـينمائية والدعائية الصهيونية على ضوء الموقف الجديد الـذى أصبح فيه الكيان الصهيونى بعد الحرب، واتجه الرأى إلى ضرورة التركيز على قيادة الكيان الصهيونى للتقدم والديمقراطية فى الشرق الأوسط وأن الحروب الصهيونية كانت من أجل إحراز الأمن الصهيونى[2].

ومع بروز حركة المقاومة الفلسـطينية على الساحة والتأييد الكبير الذى حظيت به فى العالم. أصبحـت هناك ضرورة لظهوره فـى صورة أخرى جديدة ترتكز بالطبع طوال الوقت على الصورة التقليدية للعرب كشعوب بدائية مناقضة للحضارة الأوربية لإسـرائيل التى تأسست على شاكلة الغرب «المتحضر» وكان البديل الذى تبنته السينما الصهيونية فى هوليود هو تشويه الفلسطينيين والطعـن فى حركة المقاومة الفلسـطينية وإظهارهـا أمام العالم كجريمة إرهابيـة، بينما أضافت الدعايـة الصهيونيـة إلى أهدافها التقليدية بعد حرب ٦٧ أن تل أبيب تحارب من أجل السـلام وأنها تدافع عن مبادئ العالم الحر فى منطقة يسيطر عليها النفوذ الشيوعى[3].

وظهـرت بعد حـرب ٦٧ أفلام عديدة تدعو العرب إلى نسـيان قضية فلسـطين وتقبل وجود الكيان الصهيونى، وأن فلسطين كانت حقاً مسلوباً لليهود واستعادوه بعد الحرب. ومن أهم أفلام

---

(١) عبيدو- المرجع السابق.
(٢) عبيدو- المرجع السابق.
(٣) عبيدو- المرجع السابق.

هذه المرحلة معركة سـيناـ ٦٨، اهمس باسمي ٧٢ـ لجيمس كوللر[1]، ٦٠ سـاعة إلى السـويس للمخرج كوبى بايجر، والهدف تيران ـ ٦٨ إخراج رفائيل نوسباوم وخمسة أيام فى سيناء ـ ٦٩ للمخرج ماورشـيو لو سيدى ودورية الاستكشاف ـ ٦٧، راشيل ـ راشيل ـ ٦٧ وملحمة الخلاص وكل لقيـط مالك ـ ٦٨، والحرب من أجل السـلام ومعركة سـيناء ـ ٦٨، إنها أرضه ٦٩ لجيمس كوللر، والذى يحكى عن حق الكيان الصهيونى فى الأراضى التى احتلتها بعد حرب ٦٧، ولماذا إسـرائيل ـ ٧٠ إخراج كولد لانزمان، ويعبر عن إعجابه بالدولة الصهيونية، ويحاول أن يقدمها إلى العالم باعتبارها ركيزة لتحقيق الاشتراكية فى الشرق الأوسط.

ويركـز فيلم أرثن روبنسـتين على التأكيد على يهوديـة القدس من خلال بطله عازف البيانو اليهـودى الذى نراه فى القدس المحتلة أمـام حائط المبكى يقول: إننى فخور بوجودى هنا، إن الآلاف من أرواح أجدادى كانت تتطلع إلى هذه اللحظة[2].

أما فيلم: الأطفال يسألون لماذا ـ ٧٢ إخراج نيوزانشيتى فيتناسى كل أبعاد الصراع العربى الصهيونى ويدعو من خلال قصة حب بين فتاة صهيونية وفتى عربى إلى التعايش مع الصهيونية.

بعـد حرب ٧٣ كان الاتجاه الأكبر وجه فى الأسـاس لتلك الأفـلام التى تحض على كراهية العرب وإبراز التفوق الإسرائيلى واستعراض مهارات جهاز المخابرات من هذه الأفلام فيلم البرعم للمخرج أوتوبريمنجر، ويدور حول قيام فدائيين فلسطينيين باختطاف يخت بحرى اسمه البرعم تلكيه، نرى يهوديا فرنسيا يقوم باحتجاز خمس فتيات ينتمين لأسر سرية ويجعل زعيم المجموعة رجلاً إنجليزياً متطرفاً اعتنق الإسـلام لكراهيته الشديدة لليهود ويدعو إلى شن حرب مقدسة ضد إسـرائيل، ويصور المجموعة الفلسـطينية فيصورهم باعتبارهم من القتلة الساديين المعقدين نفسياً فيطالبون أولاً ببث فيلم يصور العملية فى كافة شبكات التلفزيون فى أوروبا وأمريكا ثم يطلبون أن يعترف صاحب اليخت ببيع الأسلحة لإسرائيل ثم يطالبون بفرض مقاطعة اقتصادية ضد إسرائيل بعد أن قاموا بتحويل مسـار اليخت إلى الشـرق الأوسط، ويتعاون رجل المخابرات الأمريكية مع رجل المخابرات الإسـرئيلى فى القضاء على الفدائيين وإطلاق سـراح الفتيات، ويركز الفيلم على إظهار رجال الموساد فى صورة تتسم بالشجاعة الكبيرة[3].

أما فيلم (كازبلان) والذى أنتج عام ٧٥ وصور فى يافا والقدس عن قصة مهاجر مغربى يهودى ومشـاكله وبطولته داخل الجيش فقد كان أول فيلم إسرائيلى تتبنى توزيعه شركة أمريكية كبرى هى متروحجولدن ماير.

---

(١) حكاية السينما الصهيونية ـ المرجع السابق.

(٢) عبيدو ـ المرجع السابق.

(٣) عبيدو ـ المرجع السابق.

وفى العام نفسه تم إنتاج أحد الأفلام الأمريكية الصهيونية هو فيلم شارع أستر لمخرجته جوان ماكلين سـيلفر، ويدور حول الاضطهاد الذى وقع على اليهود فى روسـيا وبولندا ومصر، وهنا لا تكمـن الصهيونية لهذا الفيلم فى هذه الإشـارة الواضحة إلى اضطهاد اليهود فى مصر، وإنما فى إدانتـه الواضحة لليهود الذين يريدون الاندماج فى المجتمع الذى تعيش فيه وتمجيده لليهودى الذى يرفض الاندماج وينتظر العودة إلى أرض الميعاد.

أما فيلم الرجل التالى والذى أنتج عام ٧٦ فيحكى عن شـخصية عربية مسئولة تسعى لتحقيق السلام مع إسرائيل وتبوء محاولتها بالفشل بسبب التطرف الفلسطينى.

ويركز فيلم الأحد الأسود، إخراج جون فرن كهيمر ويستخدم عمليات المقاومة الفلسطينية فى الخارج لتبرير ممارسـات الموساد الإسـرائيلى ضد الفلسطينيين والإيحاء بوجود مخطط فلسطينى لإرهاب الشعب الأمريكى.

بينما تعمد الفيلم الصهيونى «القرصان» الذى أنتج عام ٧٨ التشويه المتعمد لقيم الحياة العربية، وقدم الإنسـان العربى هزيلاً أمام النماذج الصهيونية التى يعرضها الفيلم، ويكون الخيار الوحيد للعربى ليتقدم فى حياته أنه يمد يده إلى الصهاينة طالباً العون.

وفـى نفـس هذا الإطار أيضاً قام المخـرج جيمس كاميرون عام ٧٨ بتقديم فيلم تسـجيلى عن إسـرائيل عرض فى الذكرى الثلاثين لتأسيس الكيان الصهيونى، يختم الفيلم بمشهد مصمم لكى ينقل الإحسـاس بالحياة فى شـوارع إسـرائيل الحديثة، ويعقبه مباشرة مشهد مكون من لقطات لمجموعة من النسـاء الإسرائيليات يرتدين الملابس العصرية، وتتداخل هذه اللقطات مع لقطات لنساء متقدمات فى العمر محجبات يرتدين الملابس السوداء، ويسرن فى بطء وترهل فى الشوارع القذرة ويحملن لفائف ضخمة فوق رءوسـهن وتحيط بهن أطفال يبكون ليظهر إسـرائيل مجتمعاً متحضراً بينما العرب ينتمون إلى مجتمع رجعى متخلف.

على جانب آخر ظهرت بعد حرب ٧٣ مجموعة من الأفلام يمكن أن تنتمى إلى ما يطلق عليه سينما إسرائيلية معادية للصهيونية.

وهذه السـينما تنتج خارج إسـرائيل، وأفلامها ممنوعة من العرض داخل إسرائيل، منها فيلم تسجيلى (كفاح) أنتج عام ٧٧ إخراج ماريو افنبرج، وفيلم طريق السعد إلى فلسطين الذى أنتج عام ١٩٧٨ لنفس المخرج وهو إسرائيلى يحمل الجنسية الألمانية، وهذه الأفلام صودرت داخل إسرائيل[١].

---

(١)حكاية السينما الصهيونية.

مــع عقــد الثمانينات دخل الســينما الصهيونية مرحلة الاختراق الكبير لمهرجانات الســينما العالمية، ومحاولات السيطرة المباشرة، وغير المباشرة، على شركات الإنتاج السينمائى، وبخاصة هوليــود، إضافة إلى اســتقطاب عــدد كبير من الســينمائيين فى العالم لتحقيق أفلام ســينمائية وتليفزيونية لخدمة أغراض الصهيونية فى الدعوة إلى الحق اليهودى التوراتى على أرض فلسطين وسد الطرق على الدعاوى العربية والحق العربى وتحقيق التغطية المطلوبة لأى عملية عدوانية أو هجوم توسعى أو برنامج استيطانى على حساب العرب[1].

فــى عــام ١٩٨٠ أنتج فيلم الولد الأحمــر الكبير «المخرج صامويل فوللــر» وصور فى الأراضى الإســرائيلية، ويتضمن دعاية فجة وصريحة للجيش الأمريكــى وللصهيونية، كما يتضمن دعاية عنصرية ضد العرب[2].

أما المخرج ســتيفن سبيلبرج فقام بإخراج ثلاثة أفلام هى غزاة الكنز المفقود ٨١، اندبانا جونز والمعبــد الملعون ٨٤، اندبان جونز والحملة الصليبية عام ٨٩ وهى ثلاثة أجزاء لشــخصية واحدة وفيها يضع العرب والنازيين فى كفة ميزان واحدة.

وتبــدو صــورة العرب على درجة كبيرة من التشــوه والعنف من خلال فيلــم الخطأ والصواب ١٩٨٢. للمخرج ريتشارد بروكس ويحكى عن مجموعة من الإرهابيين العرب يعملون تحت زعامة أحد القادة العرب يقتلون واحدة من نساء المخابرات الأمريكية فى اللحظة التى اكتشفت فيها أن واحداً من كبار مهربى الأســلحة على وشــك بيع قنبلتين ذريتين إلى قائد عربى يعيش فى بلاده التى تقوم فوق بحيرة من النفط.

أما فيلم شيشــى وشونغ فبالغ فى تشــويه صورة العربى ويظهره قبيح الشكل وجاهلا متخلفا يفتقد للذوق، ومقززً فى تصرفاته شريرا مؤذيا إلى أقصى حد، شبق لأقصى حد للنساء والمال، كما يظهره فى صورة المبتز للغرب بماله وبتروله.

ويظهر فيلم الجنود الفلسطينيون على أنهم إرهابيون وأنهم يخربون مصالح الاتحاد السوفيتى فى منطقة الشــرق الأوســط الملتهبة أو يبرر بذلك قيام الضابطة التابعة لجهاز الموساد– بتعذيب وإرهاب الفدائيين الفلسطينيين لانتزاع معلومات منهم[3].

ويســخر فيلــم أفضل دماغ– ١٩٨٤ من العرب، وتظهر الــدول العربية فيه كبلدان تملك المال لشراء الأسلحة المتطورة ولكنها لا تعرف كيفية استخدامها.

---

(١) عبيدو– المرجع السابق.

(٢) عبيدو– المرجع السابق.

(٣) عز الدين المناصرة– ملاحظات حول السينما الصهيونية

أما فيلم قوة دلتا إخراج مناحيم جولان- ١٩٨٦ فهو يعمل على الوقيعة بين الأديان على نحو ممجوج، والإساءة المتعمدة للدين الإسلامى مع تملق المشاعر المسيحية اليهودية[١].

وتصل العنصرية فى المشـهد الأخير حيث تنهال القذائف فوق رءوس المسلمين وعلى الأخص فى أعقاب هتافهم باسم الجلالة أو تكبيرهم وفـى إحدى اللقطات تأتى العبارة التالية «لا أتمنى أن يكون لى رب كرب المسلمين»[٢].

ويسـخر فيلم الجنة للمخرج سـتيورات كلنارد- ١٩٨٦ من العرب ويتعمد الإساءة للشخصية العربية من خلال عرضه لشـخصية أمير عربى مزعـوم يقوم بأعمال تجارة الرقيق وأعمال أخرى سـيئة من غدر وخداع واصفاً تلك الشـخصية بالتخلف والهوس والجنس الذى يتحكم بتصرف وسـلوك هذه الشـخصية التى لا تتوانى عن ارتكاب أى جريمة فى سـبيل تحقيق أهدافها غير الإنسانية والتى تثير حنق واشمئزاز المشاهد.

فى التسـعينات وحتى وقتنا هذا لا تزال السـينما الصهيونية تقوم بنفس المرسـوم المحدد لها وهو تشويه صورة العرب والمسلمين والتحقير من شأنهم وفى المقابل إعلاء من قيمة اليهود وتعظيم شأنهم وإلصاق صفات الشجاعة والتفوق والتفرد بهم.

فيلم «الشرق هو الشرق» والذى أنتج عام ٢٠٠٣ تبرز صورة مقززة ومشوهة لحياة المسلمين داخل المجتمع البريطانى، كما يتعرض بالتجريح المباشر للمسلمين.

وتضرب رواية الحاج مثالا آخر على مدى تغلغل الفكر العنصرى فى السينما الصهيونية حيث يقدم الرؤية الاسـتعمارية التقليدية «ودونية» شعوب العالم الثالث، حيث يصف العرب بالكسل والمغتصبون والقتلة، فى حين يظهر الشخصيات العربية وهى تدين نفسها بأنها تعيش فى كراهية ويأس وظلام، أما اليهود فهم جسـر العرب لخروجهم من الظلام، كما يعبر طبيب عربى، أحد شـخصيات الرواية- فى تشـويهه للذات قائلاً: إن الإسلام لا يمكنه أن يعيش مع أحد.. ونحن العرب الأسـوأ، ولا يمكننا التعايش مع العالم.. والأكثر فظاعة لا يمكننا العيش فيما بيننا. وفى النهاية لن يكون الصراع بين اليهود والعرب، بل بين العرب والعرب سوف ينضب البترول يوما ما ومعه القدرة على الابتزاز.. إننا لم نسهم بشىء فى إصلاح البشرية طوال قرون. إلا إذا اعتبرنا الاغتيال والإرهاب هبة إنسانية.

ولا تترك الدوائر الصهيونية فرصة عالمية إلا استغلتها لصالحها فنجحت فى اجتذاب الفنانين والسـينمائيين لتصوير أفلامهم فى إسـرائيل ونجحت أيضاً فى إقناعهم بتبنى المواقف السياسية

---

(١) أمير العمرى- المرجع السابق.

(٢) عبيدو- المرجع السابق.

الإسرائيلية مستغلة التمويل السينمائى أحياناً والدين أحياناً أخرى لربط عدد من الفنانين اليهود بها، وبذل الحاخات جهداً كبيراً فى تأكيد الشعور باليهودية لدى الفنانين بالرغم من محاولاتهم إخفاءهـا، فضلاً عن لجوء آخرين بتهويد بعض فنانى هوليود مثل إليزابيث تايلور التى اعتنقت اليهودية عام ٧٥ وتزوجت من مايك نود ثم من برى فيشـر وكان حاخام هوليود ماسـك توسباوم صاحب الفضل فى ذلك وهو الذى أجرى مراسم الزواج الأخير.

لم يكن غريباً أن يتبارى فناتو هوليود فى جمع التبرعات لإسرائيل أثناء حرب ٦٧ فأقام جاك وارنـر حفلاً ضخماً لجمع التبرعات افتتحه بمبلغ ١٥٠ ألف دولار، وتبرع هارى البرت بـ ٢٥٩ ألف دولار وسـاهم جولدوين بـ ٥٠ ألف دولار وليوفاسـرمان بـ ٥٠ ألف دولار كما بلغت قيمة ما تبرعت به اليزابيث تايلور خلال عامين ٢٥٠ ألف دولار[١].

وتتنوع ميادين الإنتاج السـينمائى الصهيونى فما تقوم به شـركات إسـرائيلية داخل الكيان الصهيونى من خلال تمويلها لأفلام تروج للسياسة العدوانية الصهيونية وتعرضها بشكل دفاع عن النفس من أجل البقاء فضلاً عن تشـويهها لصورة العربى وحركات التحرر الوطنى، وهناك إنتاج صهيونى- أجنبى مشترك يتبنى أيضاً نفس التوجهات فضلاً عن وجود منتجين عالميين يروجون للمفاهيم الصهيونية، ولا يسلم الأمر أيضاً من تعاون خفى يتم خلف الكواليس يتم فيه تقديم المال مقابل دعاية واضحة تخدم المخططات الصهيونية[٢].

وتلجأ إسـرائيل إلى وسيلة أخرى وهى تشجع السينمائيين على تصوير أفلامهم داخل أرضها وإغرائهـم علـى ذلك بالترويج لجمـال طبيعتها وأنها ملتقـى ثقافات متعددة وعـادات وتقاليد متنوعة، فضلاً عن قلة تكاليف الإنتاج فيها حيث تقدم الحكومة الإسـرائيلية تسـهيلات مغرية فى الافتراض والمشاركة فى صناعة السينما[٣].

ونجحت السينما الإسرائيلية فى تحقيق تقدم ملموس منذ قيام أوديد التائه وصابرا.. وانتقلت من سـينما ناشـئة هشة كانت ترى وظيفتها الأساسـية أن تكون أداة سياسية دعائية إلى صناعة قدمـت مجموعة من الأفلام الهامة، ونجح مخرجوها فى أن يشـكلوا منها أداة تعبير شـخصية وقومية، صناعة السـينما الإسـرائيلية تملك الآن عدداً كبيراً من المخرجين والفنانين ذوى الموهبة وجمهـور اعتاد مشـاهدتها إلى جانب الإنتاج الأجنبى، فضلاً عن أنهـا حققت حضوراً لا بأس به على المسـتوى العالمى، لكن من المؤكد أن السـينما تشـبه المجتمع الرسمى بشكل عام حيث

---

(١) سمير فريد- مدخل إلى السينما الصهيونية.

(٢) عبيدو- المرجع السابق.

(٣) عبيدو- المرجع السابق.

تكشف عن ازدواجية إزاء وضعها كدولة فى الشرق لكنها حسمت موقفها على ألا تكون منه، سينما كالمجتمع الذى تعيش فيه ما زال يطاردها شبح الشرق من خلال القضية الفلسطينية، أفلام تنم غالبيتها عن افتقار الشجاعة الثقافية وشكل من الخيال السياسى برفضها التخلى عن النموذج المتهالك الذى يعتمد على السرد المسيطر للصهيونية، وهى ثقافياً سينما تدور فى فلك أوروبا ترفض أى حوار مع الشرق، وتركز على الشخصيات ذات النزعة الغربية وعلى وجهة نظرها الغربية[1].

كما أن صورة الشخصية العربية الفلسطينية فى السينما الإسرائيلية لم تختلف كثيراً عن المفهوم السياسى الإسرائيلى لهذه الشخصية، وعلى ذلك لم يقدم مخرجو السينما الإسرائيلية أى تصور للعلاقات بين اليهود والعرب فى فلسطين قبل الاحتلال من خلال إنتاج المراحل الأولى من عمر تلك السينما وهذه الظاهرة تعكس بوضوح الرغبة الأكيدة فى تجاهل الشعب الفلسطينى من ناحية وتجاهل لهذا الشعب حقوقاً مشروعة مغتصبة من ناحية أخرى، لأن التطرف الذى حدث فى الأفلام المعالجة للشخصية العربية الفلسطينية يتم على أساس أنها شخصية هامشية فى الحياة اليهودية على أرض فلسطين وأنها أدنى بكثير من الشخصية الإسرائيلية وأنها مجرد مخلوق يجب التخلص منه بشكل أو بآخر، وإذا كان مخرجو السينما الإسرائيلية قد تعمدوا تجاهل طرح أى تصور لحل المشكلة العربية فى نفس الوقت الذى أسهبوا فيه فى وصف قدرة الاستعمار الاستيطانى الصهيونى على فرض إرادته على الأرض الفلسطينية، فإننا نجد بين ثنايا بعض الأعمال إشارة إلى نموذج عربى فلسطينى جديد سيمثل طرحاً جديداً للشخصية الفلسطينية وهذه الشخصية المتخيلة لن تكون مشحونة بعبء الأجيال السابقة، وتحمل بين جنباتها صرخة الثأر لاستعادة الوطن السليب وقيام الدولة الفلسطينية[2].

بالرغم من أن السينما الإسرائيلية فى مجملها تعد أداة وبوقا للدعاية الصهيونية إلا إن مساحتها لا تخلو أيضاً من بعض الأصوات الرافضة لهذه السياسة، وترتفع بين الحين والآخر منددة بالجرائم التى ترتكبها الدولة العبرية.

منها الخطاب مفتوح للمشاركين فى المهرجان الثامن للفيلم العربى الذى جرت فاعلياته بباريس نوفمبر ٢٠٠٦ حيث سعى عشرات السينمائيين إلى إظهار تضامنهم مع زملائهم بفلسطين ولبنان وجاء فى الخطاب: نحن صناع السينما الإسرائيلية نحيى جميع السينمائيين العرب المجتمعين فى باريس بمناسبة المهرجان، نريد أن ننقل عبركم رسالة صداقة وتضامن لنظرائنا اللبنانيين والفلسطينيين

---

(١) إيلا شوحات– المرجع السابق.

(٢) على نبوى– المرجع السابق.

الذين يعيشــون حالياً تحت الحصار والقصف على أيدى جيش دولتنا، نحن نعارض بشــكل قاطع الهمجية والوحشــية التى تنطوى عليها السياسية الإسرائيلية التى وصلت إلى مستويات غير مسبوقة فى الأسابيع الأخيرة. ليس هناك ما يمكن أن يبرر استمرار الحصار والقمع فى فلسطين. ليس هناك ما يمكن أن يبرر قصف الســكان المدنيين وهدم البنية التحتية فى لبنان وفى قطاع غزة. اسمحوا لنا أن نقول لكم: إن أفلامكم التى نحرص على مشــاهدتها ونشــرها بيننا مهمة جداً بالنســبة لنا. فهى تساعدنا فى التعرف إليكم وفهمكم، وبفضل هذه الأفلام أصبح لهؤلاء الرجال والنساء والأطفال الذين يعانون فى غزة وفى بيروت وفى كل مكان يســتخدم فيه جيشــنا العنف أسماء وملامح، نود توجيه الشــكر لكم وتشجيعكم على مواصلة التصوير السينمائى على رغم كل الصعاب. ومن جانبنا سنواصل التعبير من خلال أفلامنا ومن خلال رفع صوتنا ونشــاطاتنا الشــخصية- عــن موقفنا المعارض تماماً للاحتلال. سنواصل الإعراب عن أملنا فى الحرية والعدلة والمساواة لجميع الشعوب فى المنطقة[1].

وكان مــن بين الموقعين على هذا الخطاب: أفى موجرابــى، أفراهام هفنر، حادتمان، رام ليفى، أمير هريتل، كيرن يدعيا، بى زدجولدبرج، عنان إيفن أوفك إيليل الكسندر، سيمون بيتون، عيران توربيتر فيليب كوفرسكى، الينوركوفرسكى، عودنا كوفرسكى، اوسنات طرابلس، شاى كرميلى بولك، إياك سيفان، أرى بولمان، أفنير فاينجلرت، داليا كريل، جولى مثليز وسامى شالوم شطريت.

يقــول أفــى موجرابى: أحد معدى الخطاب، العمليات الإســرائيلية فى لبنــان تعد درباً من الجنون فالاعتقاد بأن الطبقة الوحيدة لإحراز تقدم منذ لحظة اختطاف الجنديين الإسرائيليين هى عن طريق تدمير كل البنية التحتية فى لبنان، وضرب محطات الكهرباء وقصف السكان المدنيين يعد جنوناً فى نظرنا، لقد شعرنا بضرورة أن نعرب عن تضامننا مع ضحايا هذا الحادث وأن نقول لهم: إننا لا نشــارك فى احتفال الحرب الذى بدأته إسرائيل بشكل آلى متعجل دون التفكير ولو لثانية فيما إذا كان هذا ضروريا وحتميا، ولا يوجد طريق آخر غيره. ويؤكد موجرابى قائلاً: نحن مواطنو إسرائيل وهذا الجيش هو جيشنا نحن أيضاً وهو يعمل باسمنا ونحن غير راضين عما يفعل ولذلــك فمــن واجبنا إسماع صوتنا والأمر هنا لا يتعلق بموضوع بســيط وإنما تقتل المئات وبحرب أسفرت حتى الآن عن نصف مليون لاجئ متشرد وليس لديهم أى وسائل معيشية.

وأضاف: مجتمعنا مصاب الآن بالهوس ورائحة الدم والغبار مسحت عقول الجميع.

وإعتراف وجرابى أن هناك بعض المؤرخين الإسرائيليين عارضوا صيغة الخطاب التضامنى، وهنــاك مــن رفضوا التوقيع . وهو من رأيه أمر مشــروع تماماً فليس هناك اتفاق تام فى الرأى فى إسرائيل.

---

(١) ميراف يود يلوفيتش- المنظمة العربية لمناهضة التمييز.

أمـا رأى بولمان– أحد الموقعين علـى الخطاب فعلق قائلاً: نريد أن نقول بكل وضوح: إنه لا يمكن حل النزاعات العنيفة بمزيد من العنف لو أن خطاباً كهذا نشر في عام ٨٢ ربما كان البعض سـيطلق علينا وصف الطابور الخامس، فماذا يعنى ذلك؟ يعنى أن هناك شـيئاً ما يتغير. أى إن الحل العسكرى الذى اعتمد آنذاك لم يجد نفعاً هو الآخر.

إن نصف مليون لاجئ ومئات القتلى لن يولد سوى أجيال أخرى من الكراهية ونحن نعتقد أنه يمكن حل الصراع بطريقة أخرى بوسـيلة بسيطة هى: الحوار. فالعدوانية المرضية التى تتصرف بها إسرائيل الآن لن تحل المشكلة[1].

المخرجة إلينيل الكسندر ترى أن إسرائيل كان يمكنها التوصل لحل مع حماس ولكن أولمرت وبيرتـس تصـرف بعدم عقلانية وبدلاً من الحديث إلى هنيـة قادونا إلى تصريحات قاطعة وقوات مدرعـة، فالقول بعدم وجود خيار هو حل شـديد السـهولة، نحن فى وضـع حرج خارج نطاق السـيطرة، لا يوجد لدى من يقودون كل هذا الهوس سـوى الحلول العسـكرية وليس هناك أى حديث عن خطوات سياسية. وعندما لا تكون هناك حلول سياسية فإننا سنواجه حرباً ممتدة قد تنتهى بسقوط آلاف القتلى.

ويـبرر المنتـج أمير هرئيل معارضته علـى الحرب بقوله: فى حالة عـدم الاعتراض على أى افـتراض أو إجـراء وفى حالة وجود إجماع تام على معان وتبعـات ونتائج فعلنا، لابد أن تتردد أصوات أخرى، لا يجب أن يتحدث الجميع بصوت واحد، فهذا وضع غير قويم والادعاء بأننا نخوض حرباً وأن الجميع يجب أن يكونوا على قلب رجل واحد هو ادعاء شائك وخطير، أعتقد أن إسـرائيل تسـتخدم القوة بشكل يخالف مبدأ التناسـبية. صحيح أننى قليل الخبرة بالشئون العسـكرية، ولكننى عندما أنظر إلى الخسـائر التى جلبها علينا كبار خبرائنا أعتقد أن من حقى التعبير عن رأى. حان الوقت لتجريب اسـتراتيجيات أخـرى. وعدم تكرار نفس الأخطاء والتى شكلت الواقع الجيو سياسى فى المنطقة ويستطرد: فى كل حرب تنطلى علينا أكاذيب العسكريين السابقين الذين أصبحوا حالياً مقررى المصائر وكمدنيين يفسرون إخفاقاتهم ويعدوننا بنظام سياسى جديد وواقع مختلف لكننى لم أعد طفلاً وقد انطلى على هذا اللغو فى الماضى.

لقد انتهت الحرب ولم تتبعها خطوات دبلوماسية حقيقية، واليوم من المباح القول بأننى أشك فى القدرات العسـكرية والسياسية الخارجية والداخلية لقادتنا على مر السنين، لقد بدأنا عملية أهدافها غير واضحة وأسـفرت عن دمار وخراب وقتل. لقد سـقط قتلى من كلا الجانبين والسبب فى ذلك أننا لا يمكننا حل المشـكلات على المسـتوى السياسـى فمن السـبب فى وقوع ذلك لنا

---

(١) ميراف يود يلوفيتش– المنظمة العربية لمناهضة التمييز.

وبالتالى فإننا نقضى على ما تبقى لنا من مشـاعر أخلاقية. إن الاسـتخفاف بحياة الإنسان يتزايد من جانب الطرفين. وطالما سـقط عدد كبير من القتلى فالمشـكلة فى مقتل المزيد. هذه هى نتائج المواجهة المستمرة التى يغرق فيها السكان المدنيون.

إننا نؤمن بفكرة متكررة تفيدنا بأننا نريد سلاماً وهم يهدمون السلام. وهذه فكرة خاطئة. فنحن لا نريد سلاماً ولو كنا نظن أن ما لا يتم حله بالقوة سيتم حله بالمزيد من القوة فإننا لا نعتزم حل أى مشكلة أولا توجد أمامنا فرصة لحلها.

لسـنوات وهم يوضحون لنا أسـباب عدم الحديث مع منظمة التحرير الفلسطينية وحزب الله وحماس. وهذا الخط يمثل اسـتمراراً للتصور العسـكرى الذى يسيطر علينا ويدفعنا مراراً وتكراراً للأماكن الملعونة ذاتها. وهذا التصور حولنا إلى مجتمع عنيف ويميل لاستخدام القوة[1].

أصـوات ربمـا تنطق بالصدق لكنهـا لا تزال ضعيفة محدودة التأثير وسـط صخـب الدعاية الصهيونية صاحبة الصوت الأعلى والتأثير الأقوى.

العنصريـة لا تقتصـر فقط على موقف الإسـرائيليين من العرب، لكنها تنسـحب أيضاً على التفرقة بين اليهود الشـرقيين (السفارديم) والغربيين (الإشكناز) ,يعانى المجتمع الإسرائيلى كله من هذه العنصرية، وتتسـم الأفلام الإسـرائيلية التى أنتجها وكتبها وأخرجها يهود اشكنازيون وتعرضت بالرصد والتحليل لليهود السـفارديين تتسـم كافة بلا استثناء إلى قسمين: الأول أفلام مناحيم جولان، جولان، مثل الدورادو وفورتونا ومملكة الشارع وكازبلان وغيرها التى تتميز بإبراز واقع أن اليهود والسـفارديين يعيشـون على هامش المجتمع اليهودى ليس لأن هناك من يحاول تهميشـهم وإنما لأن معظمهم مجرمون وزناة. مقابل ذلك نقيضاً له فإن كل الشـخصيات صاحبة المواقـف الدرامية المؤثرة والقوية يؤديها ممثلون من أصل غربى (إشـكنازى)، أما القسـم الثانى فيسـمى أفـلام (البوركامى) وجميعها أفلام كوميدية مبنية على خلفيـة طائفية يبدو فيها بدائياً يتكلـم لغة ركيكـة وصاحب حيلة وخديعة. يضاف إلى هذه التوزيعـة عنصر لا يقل أهمية عنها وهو أن جميع الأفلام حتى التجارية الدعائية منها والأغانى عن اليهود السفارديين هى نتاجات كوميدية. وهو عنصر يحمل أكثر من دلالة محددة المعنى. فالمجتمع الإشـكنازى اليهودى يعيش فى أجواء يشـعر فيها بخطر الهيمنة لنمط الحياة الشـرقى على الشارع الإسرائيلى، لكن يخشى من المجاهرة بمخاوفه تلك لما تعكسـه من مواقف استعلائية فجة؟ ووجد فنانوه أن أسهل طريقة لتنفيـس هـذه المخاوف والتلويح بها تمر عبر الكوميديا التـى يمكن فى إطارها وبحدودها تصوير نمط الحياة الشرقى بما يشبه النكتة.

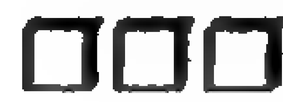
---

(١) ميراف يود يلوفيتش- المنظمة العربية لمناهضة التمييز.

وكانت هذه الوسـيلة هى التى نجح الإشـكناز بواسطتها فى تمرير هجومهم الاستعلائى على الثقافة الشرقية وأصحابها[1].

المجتمع الإسـرائيلى يتعامل مع اليهود الشرقيين كأنهم لقطاء يتصرف معهم كأنهم حشرات يجب رشها بمادة (د. د. ت) وتم عزلهم وسحقهم وإهانة كرامتهم، وربما شعر اليهود الغربيون بالانتصار عليهم، إلا أن هذا الأمر يبدو صغيرا وهو ما اعترف به بعض الأكاديميين الإسرائيليين- السـفارديم- مؤكدين على أن الحضارات الأوربية العديدة التى مرت بإسرائيل لم يبق لها وجود على عكس حضارة الشرق التى ظلت وحدها هى الباقية- أما سائر الحضارات فلم يبق بها سوى بقايا متهالكة.

الدولـة العبرية التى قامت على العنصرية، بالطبـع لا يؤمل منها أن تتخلى- يوما ما- عن هذا النهج، فهو الأساس الذى نشأت عليه، لكن فى النهاية سيصبح المعول الذى يقود صرح هذه الدولة، وهو يتوقعه الكثيرون.



---

(١) شلحت- المرجع السابق.

المراجع

١- هكذا يربى اليهود أولادهم.

د. ثناء عبد اللطيف.

٢- التوجهات العنصرية فى مناهج التعليم الإسرائيلية

خليل السواحرى، د. سمير سمعان.

٣- (أسطوة التكوين) الثقافة الإسرائيلية الملفقة.

أنطوان شلحت.

٤- تربية العنصرية فى المناهج الإسرائيلية.

د. صفا محمود عبد العال.

٥- عجز النصر- الأدب الإسرائيلى وحرب ٦٧.

د. رشاد الشامى.

٦- وجه قبيح فى المرآة.

إدير كوهين- ترجمة غازى السعدى.

٧- تعليم الحقد- قراءة فى تشكيل العقل الصهيونى.

حمد الوعد.

٨- الاستشراق الإسرائيلى فى المصادر العبرية.

د. جلاء إدريس محمد.

٩- مونتجمرى وات- فضل الإسلام على الحضارة الغربية.

ترجمة: حسين أحمد آية.

١٠- شبهات حول الإسلام.

محمد قطب.

١١- الاستشراق وأبحاث الصراع لدى إسرائيل.

إبراهيم عبد الكريم.

١٢- السينما الصهيونية شاشة التضليل.

محمد عبيدو.

١٣- مدخل إلى السينما الصهيونية.
سمير فريد.
١٤- السينما الإسرائيلية وسياسة التفرقة العنصرية.
إيلا شوحات- ترجمة: محمود علي.
١٥- سينما الهلاك.
أمير العمرى.
١٦- ملاحظات حول السينما الصهيونية.
عز الدين المناصرة.
١٧- الصراع العربى الصهيونى فى السينما.
سمير فريد.

الدوريات والمواقع الإلكترونية:

مجلة الوحدة عن مؤسسة الوحدة للصحافة والطباعة والتوزيع- اللاذقية- سوريا.
د. فوزى الأسمر الشخصية العربية فى قصص الأطفال العبرية التجارية- مجلة رؤية العدد: ٣٩.
السيد نجم. أدب الطفل العبرى دراسة «مجلة الوطن السورية».
إيلى فودا باحث إسرائيلى- الوطن- ٦ نوفمبر ٢٠٠٦.
صالح النعامى عسكرة التعليم فى إسرائيل- مظاهر وتداعيات. مجلة الدفاع الوطنى- موقع الجيش اللبنانى.
عبد القادر ياسين آخر ساعة- دراسة.
إحسان مرتضى «العسكرتارية الإسرائيلية» دور العلاقات بين العسكريين والمدنيين فى إدارة شئون الدولة- مجلة الدفاع الوطنى.
التراث الفلسطينى بين نظرة المستشرقين والحقائق التاريخية________________منتدى التراث الفلسطينى.
محمد أبو غدير دراسة مجلة آخر ساعة ١٢ فبراير ٢٠٠٣.
د. لطيفة النجار المجموعة ١٩٤ مقال ٢٠٠٧- ٢٠٠٦.
د. محمد أيوب العربى فى الأدب العبرى- ديوان العرب «مجلة.... ٢٧/ ١/ ٢٠٠٧».
توفيق الصواب- العنصرية الإسرائيلية تعددت الوجوه والجوهر واحد.
أميرة محمد زكى ....محيط ٧/ ١١/ ٢٠٠٦.

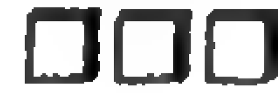
تابع الدوريات والمواقع الإلكترونية

عنصرية الفكر الصهيونى خطر يهدد الأمن والسـلم العالمى. محمود درويش– حوار– الحياة– سبتمبر ٢٠٠٥.

علاء نبوى عبد العزيز– دراسة السينما الصهيونية– أقنعة القتلة– مجلة سطور ١٩٩٨.

حكاية السينما الصهيونية– منتديات الجزيرة.

* السينما الصهيونية حنان عثمان إسلام أون لاين.
* ميراف يودمليوفيتش– المنظمة العربية لمناهضة التمييز.
* الشخصية الإسرائيلية فى الأدب العبرى– دراسة السيد نجم– مجلة الوفاق ٩/ ١/ ٢٠٠٤م.
* التراث الفلســطينى بين نظرة المستشرقين والحقائق التاريخية______________ منتدى فلسطين للتراث.
* الأسرى الفلسطينيون فى الشيفرة الثقافية الإسرائيلية– عيسى قراقع.
* آخر ساعة– سلسلة تحقيقات– أعداد: يناير، فبراير ٢٠٠٣.
* آخر ساعة– عدد ٤/ ١٠/ ٢٠٠٦م.



فهرس موضوعات

الصفحة

طبع بمطابع دار المعارف

فــى الوقت الذى يوجه فيه الغــرب أصابع الاتهام إلى مناهج التعليم فى الدول العربية لتتفق مع ما أطلقوا عليه «ثقافة السلام» يَغُضُّ هــؤلاء الطـرف عما تزخـر به مناهج التعـليم الإســرائيلية وكتابات أدبائها وباحثيها المستشرقين، بل وحتى قصص الأطفال فيها. فكلها تزخر بالعنصرية وتتعمد تشويه صورة العرب والمسلمين ووصفهم بأبشــع الصفات لبث الكراهية فى نفوسهم والنفور منهم وزرع بذور الاستعلاء والغطرسة فى المجتمع الإسرائيلى.

فمن منا يحتاج إلى التحلى بثقافة السلام؟! من منا يحتاج إلى تعديل مناهجه وكتبه لغرس روح التسامح فيها ؟!

أمام ازدواجية المعايير التى تصم المجتمع الدولى تشتد حاجتنا لكشف الوجــه القبيح الذى تخفيه إسرائيل، وإظهــار كيف يبدو «العربى» فى كتبها المدرسية وقصص أطفالهــا ورواياتها وأفلامها السينمائية ليعرف الجميع من العدو الحقيقى للســلام، ومن الذى يتبنى ثقافة الحرب والقتال .





دار المعارف

٠٣٠٧٤٧/٠١

